معجم البلاغة العربية

تأليف

الدكتور بدوي طبانة
أستاذ الكرسي ورئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة
والأستاذ بكلية التربية بجامعة طرابلس

المجلد الأول

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

ص. ب. ١٠٥٠ ــ هاتف ٤٧٧٧١٢١
الرياض ــ المملكة العربية السعودية

دار العلوم
للطباعة والنشر

١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م
الرياض

مُعْجَم

البَلاغَة العَرَبِيَّة

تأليف

الدكتور بدوي طبانة

أستاذ الكرسي ورئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

والأستاذ بكلية التربية بجامعة طرابلس

المجلد الأول

دار العلوم

للطباعة والنشر

١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

المؤلف في سطور

الدكتور بدوي أحمد طبانه

- ولد بمدينة «الشهداء» بمحافظة المنوفية بجمهورية مصر العربية، في اليوم الثامن من شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ م.
- حفظ القرآن الكريم، وأتم الدراسة الابتدائية في مسقط رأسه.
- رحل إلى القاهرة، وأتمّ بها دراسته الثانوية، والتحق بكلية دار العلوم، وحصل منها على درجة «الليسانس» في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية، بتقدير «ممتاز» سنة ١٩٣٨ م.
- عيّن عقب تخرجه مدرساً بوزارة المعارف المصرية.
- حصل على درجة «الماجستير» في النقد الأدبي والبلاغة، بتقدير «ممتاز» من جامعة القاهرة سنة ١٩٥١ م.
- حصل على درجة «الدكتوراة» في النقد الأدبي والبلاغة، بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٣ م.
- تنقّل في درجات التدريس الجامعي، مدرساً، فأستاذاً مساعداً، فأستاذاً، فأستاذ كرسي ورئيساً لقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.
- اختاره المجلس الأعلى للجامعات في جمهورية مصر العربية عضواً في اللجنة الدائمة العليا لترقية الأساتذة والأساتذة ذوي الكراسي في الجامعات المصرية.
- شارك في عدد من المؤتمرات العلمية، ومؤتمرات الأدباء العرب.
- أشرف على عدد كبير من حملة الدكتوراه والماجستير المتخصصين في البلاغة والنقد الأدبي.
- انتدب أستاذاً في جامعتي بغداد وطرابلس.
- يعمل الآن أستاذاً للدراسات العليا في كلية الغة العربية، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثانية

«ربّ أَوْزِعْني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

لا يسعني، وأنا أقدم هذه الطبعة الجديدة من «معجم البلاغة العربية»، إلا أن أتوجه إلى الله بهذه الدعوات، وأناجيه بهذه الكلمات، كفاء ما أنعم وتفضل، وما أعطى فأجزل.

وماذا يجد المخلوق الضعيف، والعبد الفاني، وهو مستغرق في آيات ربه الكبرى، وفي كل شيء له آية، وغارق في بحار أنعمه، وليس لنعمة منها نهاية، ماذا يجد إلا أن يسبح بحمد ربه، ويخرّ ساجداً أمام جلال عظمته ومجده؟!

* * *

وبعد، فهذه ثمرات أعان الله على اقتطافها من غراس الأسلاف، وخلاصة مركزة لما وعينا بفضل الله من تراث خاصة العلماء والمفكرين في علم من علومهم الأصيلة التي شرعوها لخدمة دينهم، والذبّ عن معجزة نبيّهم، وهي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بإثبات إعجازه، وتحدّيه للمكابرين، وإفحامه للملاحدة والمعاندين، عن طريق إبراز صور البيان الرفيع التي تحدّى بها ذوي اللسن، وأعلام الفصاحة والبيان فيهم.

وكانت الغلبة لله ولرسوله ولمعجزته الكبرى التي بقيت على الأيام شاهدة خالدة، وستبقى بأمر الله ناصعة هادية، حتى يقوم الناس لـرب العالمين.

وقد اتسعت سرادقات هذا العلم العربي الأصيل، ليتجاوز القرآن، وقضية الإعجاز، إلى وضع معالم ومنارات للبيان الرفيع، يهتدي بها أولئك الذين يتطلعون إلى أن يُسلكوا في سلك الأدباء صنّاع الكلام. . .

ولم تكن تلك المعالم الهادية، أو الفنون البلاغية التي يقوم عليها هذا العلم إلا ثمرة بحث، وخلاصة استقراء طويل، وتأمل عميق، وتذوق فني واع لعيون الأدب وروائعه، وهداهم ذلك النظر والتأمّل والتذوق إلى مواضع الإحسان، وعناصر الجمال التي يمتاز بها التعبير الفني الممتاز، فحصروا تلك المواضع، وحددوا هذه المعالم الجمالية، ثم صبّوها في قوالب العلم، والمعرفة المستثيرة، التي تلتقي فيها الحدود والتعريفات بالمصطلحات والتقسيمات.

وأصبحت البلاغة بذلك علمًا من علوم الأدب، بل لقد كانت البلاغة أوّل علم استقلّ وتميزت مباحثه من بين العلوم الأدبية أو العلوم الجمالية. ثم انقسم هذا العلم الواحد إلى ثلاثة علوم، كما هو معلوم، وتحددت معالم كل علم منها وتميزت مباحثه، وتعددت روافده، حتى كان ذلك التراث الهائل من البحوث البلاغية التي زخرت بها المكتبة العربية.

وقد تأثر البحث البلاغي في أثناء مسيرته الطويلة بكثير من العوامل التي أثرت في حياة هذه الأمة، وساعدت على تكوين مزاجها الفني. فقد غلب الطابع الأدبي والمزاج الذوقي ببساطته في القرون الأولى، ثم جنح إلى التأمل العميق، وقياس الأشباه والنظائر، والإفادة من النظرات الجديدة الوافدة على البيئات العربية والإسلامية في عصور الحضارة الزاهرة، وانتهى

إلى التعقيد العلمي الذي تأثر بمبادىء الفلسفة والمنطق، ومباحث الأصول، وعلم الكلام.

وقد تشبعت عقول كثير من البلاغيين بتلك الثقافات، فجرت آثارها على أقلامهم، وانعكست معالمها على كتاباتهم في هذا الفن البلاغي الذي أصبح على أيديهم غير خالص للنظرات الجمالية، وتبيُّن نواحي الابداع، وضروب الافتنان في الأعمال الأدبية، كما كانت طبيعة البحث البلاغي وغايته منذ شرع التفكير فيه.

ولعل شيئاً من ذلك كان من جملة الأسباب في ركود ريح البلاغة في العصور المتأخرة، فقد صعب محملها على كثير من الراغبين فيها، وفرّ منها من رهب وعورة المسلك وجور الطريق، ومئونة التحصيل.

وبذلك أصبح الناس في زماننا تجاه البلاغة رجلاً من رجلين، إمّا جاهلاً بها، يمقتها ويجتويها، لا يكتفي بجهله، ولكنه يتجاوزه إلى تنفير غيره من الخوض في غمار البلاغة، أو التعرض لأهوالها. وإمّا حافظاً لقواعدها وأقسامها وضوابطها، ولكنه ضعيف المنّة، حرم ذوق الأديب، وخبرة الناقد البصير، ومثل هذا لا يتوقع منه تمهيد لبعث البلاغة، أو إحياء لما كاد يدرس من معالمها. وتلك حال تدعو إلى الأسف من غير شك.

فما أبعد الفرق بين بلاغة الأمس تذبّ عن القرآن، وتنبه إلى وجوه الإعجاز البياني فيه، وتحكّم في الآداب، وتوجهها إلى حيث ينبغي أن تكون، وبلاغة اليوم، وهي في أحسن أحوالها عند نابتة هذا الزمان حدود تذكر، وأقسام تحصر، وشواهد تستظهر.

وهيهات لبلاغة تصير إلى هذا المصير أن تنبّه خاملا، أو توقظ غافلا، أو تنشط ملكة بيان، أو تحلّ معقود لسان، أو تعين على نقد أو تمييز!

ولا تتحمل البلاغة وحدها هذا الوزر، فإن البلاغة معرفة مستنيرة

بفنون الأدب وأصولها ومظاهر الإبداع فيها، ترفدها أذواق النخبة الواعية من ذوي البصيرة بالفن الأدبي.

وقد أصاب البلاغة ما أصاب غيرها من معارف هذه الأمة ومقوّماتها الأصيلة في العلم والفكر والفن. وهي تحاول الآن أن تنفض عن نفسها غبار الأحداث.

والأمل كبير في عون الله على تحقيق هذه الغايات إذا أخذت هذه الأمة أمورها مأخذ الجد، وشقّت لنفسها بنفسها طريق المجد. وقد عبده الأسلاف، ولم يكونوا يملكون من الأسباب أقل ما يملك أخلافهم في هذا الزمان. ولكنهم بلغوا ما بلغوا من المنازل الرفيعة بالجد المخلص، وبالعزم الصادق، حتى تخطوا الحواجز والسّدود، ووصلوا بتوفيق الله إلى الهدف المنشود.

* * *

وإذا كان (معجم البلاغة العربية) الذي أقدم اليوم طبعته الجديدة مجتمعاً لبحوث البلاغة وفنونها ومصطلحاتها، بما يلمّ من شتاتها المتفرق في عشرات الأسفار، ويحفظ تراثها من تصاريف الأيام، فإن هذا الجهد الذي أترك للتاريخ تقديره والحكم عليه، يدعمه جهد آخر بذلت له من نفسي ووقتي بمقدار ما حملته طاقتي.

ويتمثل ذلك الجهد في كتابي (البيان العربي) وهو دراسة عميقة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب، ومناهجها، ومصادرها الكبرى. وقد ظهرت منه ست طبعات حتى الآن، وأفاد منه خلق كثير في بيئات الفكر العربي الحديث، ومن أراد الوقوف على خط سير التفكير الفني عند العرب من أولئك الذين يؤرخون لحضارات الفكر الإنساني.

وبهذا وذاك أستطيع أن أقرر في غير نفج أو ادعاء أنني خدمت

البلاغة العربية في جانبها الفني الذي دونت خلاصته في هذه الموسوعة. «معجم البلاغة العربية» وفي جانبها التاريخي في كتاب (البيان العربي) الذي تابعت فيه مسيرة التفكير البلاغي عند هذه الأمة العربية، في مدّه وانحساره، وفي تدفقه وتراخيه، منذ نشأته حتى وصلت به إلى زماننا هذا.

ويبقى بعد هذين العملين الكبيرين عمل ثالث لا يقلّ عنهما خطراً، ولا يقل عنهما نفعاً. وهو إخراج (البلاغة الجديدة) التي بنيتها بخير ما في القديم الموروث، وانتفعت في سبيل ذلك بما جدَّ من دراسات في علم الأسلوب، وإدراكي للآفاق التي يمكن أن يصل إليها البحث البلاغي، حتى يتجدد الأمل في بعث جديد، لهذا العلم العربي العتيد.

وما يزال ذلك الأمل يراودني منذ حين، وما أزال أعمل على تحقيقه، وأجتهد في تنسيقه، حتى ييسّر الله بفضله أن يقارب الكمال، ليرى نور الحياة، ويحقق ما صبوت إليه من الآمال.

* * *

ومما تبنغي الإشارة إليه أن هذه الطبعة الجديدة من (معجم البلاغة العربية) تمتاز عن سابقتها بزيادة فنون جديدة، ندّتْ عن الطبعة الأولى.

وقد بلغت عِدّة ما زيد في هذه الطبعة ثلاثة وعشرين فنًّا، أو مصطلحاً بلاغياً، اهتديت إليها بإدامة النظر، ومتابعة البحث والتنقيب في أصول البلاغة ومصادرها.

كما تمتاز بالتنقيح، وتصحيح ما وقعت عليه العين من أخطاء ظهرت في الطبعة الأولى التي اقتضت الظروف أن يراجع تجاربها أحد الزملاء الفضلاء نيابة عني.

ولا يفوتني ـ وأنا أقدّم هذه الطبعة الجديدة ـ أن أقدِّم الشكر خالصاً للأخ الصديق الأستاذ عبدالله العوهلي، مدير مؤسسة «دار العلوم» للطباعة

والنشر بالرياض، على ما أولى هذا الجهد العلمي من عناية ورعـاية في إخراج هذه الطبعة ونشرها على هذا الوجه امن الأناقة والاتقان. جزاه الله عني وعن العلم الذي أخلص نفسه لخدمته خير الجزاء.

وعلى الله قصد السبيل، وله الحمد في الأولى والآخرة.

وكتب في الرياض ظهر يوم الاثنين
١٩ من ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ
٢٣ من فبراير (شباط) سنة ١٩٨١م.

بدوي أحمد طبانة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

أحمد الله تعالى حمد معترف بأفضاله التي لا تحصى، ونعمه التي لا تستقصى، سبحانه تفرّد بالكمال، بيده الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأصليّ وأسلّم على خير خلقه، وأشرف رسله، سيدنا ومولانا محمد ابن عبدالله، أفصح من نطق بالضاد، الذي أرسله ربّه رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعثه بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعل معجزته الكبرى قرآناً حكيمًا، وكتاباً مبيناً، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويهديهم إليه صراطاً مستقيمًا. وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... آمين.

وبعد، فهذا «معجم البلاغة العربية» يراه الناس للمرة الأولى وهو ينضم إلى ذلك التراث الخالد الذي خلّفته الأمة العربية، فملأت به الآفاق علمًا ونوراً، ويحتل منزلته بين نتاج الفكر الانساني، ليشهد لمبدعيه بالأصالة، والقدرة على التصرف في فنون المعرفة، والافتنان في الغوص على شواردها ونوادرها.

* * *

وقد مضت سنون طوال وأنا أهمّ بنشر هذا الأثر، ثم لا ألبث حتى

يغلب التردّد فأحجم عن هذا النشر. ولذلك ظل هذا الجهد المضني الذي بذلت فيه من الوقت والجهد ومن نور العينين ما لا يعلمه إلا الله، وما لا يقدره إلا من عرّض نفسه لمثل هذا الابتلاء الذي بلوت نفسي به - ظل هذا الجهد حبيساً بين أعزّ ما كتبت مما لم يسمح الزمان بنشره بين الناس حتى الآن...

وقد يكون من دواعي العجب أن يكون الدّافع إلى الإقدام على نشر هذا المعجم اليوم وثيق الصلة بالدافع الذي كان يدعو إلى التردّد والإحجام عن ذلك النشر عاماً بعد عام، على الرغم من حرص بعض الناشرين على القيام بطبع هذا المعجم ونشره، إذا قرءوا في ذيل كل كتاب من كتبي المطبوعة اسم هذا المعجم في بيان الكتب التي ألفتها وأعددتها للطباعة والنشر.

نعم! كان عامل الإقدام وعامل الإحجام ينبعث كلاهما عن إحساس صادق بضرورة هذا العمل الذي أعدّه ديناً في عنقي وأعناق غيري من المتخصصين في مجالات البحث البلاغي على قلتهم في هذا الزمان. وهو دين واجب الأداء، وفاءً لأمتنا وتاريخها وتفكيرها وتراثها الجدير بالبقاء. كما كان كلاهما ينبعث عن رغبة صادقة أيضاً في أن يكون هذا العمل الخالص لوجه الله ووجه العلم ووجه الثقافة العربية وتراثها في المعرفة ناضجاً وافياً بالمقصود من كتابته ونشره. وذلك ما كنت أشفق على نفسي منه كل الإشفاق، وذلك أيضاً ما دعاني إلى أن أبذل فيه جهد الطاقة، أو طاقة الجهد، حقبة من العمر تجاوز عشرين عاماً قضيتها في البحث والمراجعة ومحاولة الاستقصاء، حتى لا يندّ عنه في موضوعه فكرة من الفكر، أو مصطلح من مصطلحات هذا الفن الأصيل في مجالات التفكير العربي.

ولعلّ من أعظم الآمال التي كنت أمنيّ النفس بها أن يرى هذا العمل النور وأنا ما أزال في قيد الحياة، حتى يكون ذلك أيضاً سبباً من أسباب

الكمال الذي نشدته له. وذلك إذا ما أتيح للعارفين أن يقرءوه، وأن يقفوا على ثغرات نقص فيه، يستطيعون أن ينبهوا إليها مؤلف الكتاب ليتداركها، ويقوّم منآدها، إذا وقعت عيونهم على نقص في الاستقراء، أو خلل في التأليف، وذلك ما لا أنزّه هذا المعجم ولا أي أثر من آثاري المطبوعة عن الوقوع فيه، فأنا واحد من جملة البشر الذين استولى عليهم النقص، وإن كنت لم أقصّر في نشدان الكمال!

ذلك أنني كنت أشعر دائمًا بأن ما أقدم عليه من محاولة إخراج معجم جامع لمصطلحات البلاغة العربية وأدواتها وفنونها ليس بالشيء اليسير، فلا يستطيع جهد واحد من المختصين أن يوفيه حقه كاملاً إلا بعناية الله، وعون منه، لعظم المئونة، وفداحة العبء، والحاجة إلى التفرغ الذي تهون فيه الأعمار إذا كان أصحابها يؤمنون بالعمل الذي تقضى فيه، ويصدقون مع أنفسهم في الإحساس بضرورة هذا العمل، والاعتقاد بفائدته المحققة للأجيال التي يعنيها الوقوف على تراث الأسلاف، والحفاظ على كل ما هو نافع وأصيل فيه، ثم التعرف على مدى الجهد الذي بذلوه راضين محتسبين جزاءهم الأوفى عند الله...

ومن الحق أن أقرّر صادقاً أن الاقدام على تأليف كتاب أو معجم جامع لفنون تلك الثقافة البلاغية عند العرب، كان عبئاً ثقيلاً، وكنت أول من يحس بفداحة هذا العبء، وبعد أثره في الحفاظ على هذا التراث.

وربما كان من المناسب في هذا المقام أن أذكر للتاريخ أنني قدمت أصول هذا المعجم كاملة إلى صديق عربي رأيت أنه يشاركني في الاختصاص، ليعيد النظر فيه، ويضيف إليه ما يرى أنه فاتني، وشرحت له شفوياً وفي كتب متبادلة بيننا النحو الذي ينحوه في العمل كما أراه، وأعطيته الحق في أن يضع اسمه بجانب اسمي، وأن يشرف على طبع هذا المعجم فقد يكون عنده من قوة الجسد، وقدرة الشباب ما لا أجد. وقد ظلت أصول هذا

المعجم بين يديه خمس سنوات كاملة، ثم كان أن ذهبت إلى بلده العربي الشقيق مشاركاً في أحد المؤتمرات العربية التي أقيمت فيه، وكانت المفاجأة أن يعيد إليّ ذلك الصديق أصول هذا المعجم قائلاً إن ما صنعته فيه الكفاية والكمال المنشودان، وإنه لم يستطع في هذه السنوات الخمس أن يعدّل في الكتاب شيئاً، أو يضيف إليه فنّا. فشكرته وحملت أصول كتابي معي إلى القاهرة!

* * *

هكذا كانت دواعي الإقدام شديدة الاتصال بأسباب الإحجام. فقد كنت أقدم لأني أؤمن إيماناً شديداً بحاجة المكتبة العربية إلى هذا المعجم الذي تتم أو تكاد أن تتم به حلقات سلسلة المعاجم وأصول التراث التي تيسرها هذه المعاجم فيها. وأقدم أيضاً لأنني رأيت من واجبي أو من حق العلم علي وحق التخصص والمعاناة المتصلة أكثر ما سلف من الحياة أن أقوم بهذا الواجب وأتحمل وحدي عبء النهوض به.

ومع الإحساس بهذه الضرورة كنت أتردّد وأحجم تقديراً مني لخطورة العمل الذي عقدت عليه العزم، وأعددت له عدته من الجدّ الموصول، والأناة في تخطي عقبات الطريق واجتيازها في سبيل الغايـة التي نشدت الوصول إليها.

وأخيراً صحّ العزم، وتغلبت دواعي الإقدام قبل أن يتصرّم حبل الأجل، وتبقى أصول هذا المعجم عرضة للضياع وعاديات الزمان، وكأن صاحبه لم يصنع فيه شيئاً، فاستخرت الله، واستمددت منه العون والتأييد، لأخرج ما صدقت عليه العزم في الصورة التي رأيتها، تاركاً للزمن سدّ ثغراته، ولأهل الدراية من المختصين أن يمحّصوه، وأن يضيفوا إليه ما يعنّ لهم مما قد يكون فاتني تسجيله في هذا المعجم، إذا لم تمتد بي الحياة، ولم

أستطع الإفادة بنفسي من نظراتهم وملاحظاتهم واستدراكاتهم في حياتي، ثم استدراك ذلك كله في طبعة لاحقة، فإن الفائدة المرجوّة من مثل هـذه الأعمال ينبغي أن تظل خالصة لوجه العلم والمعرفة، لأن الحقيقة هي التي ينبغي أن تبقى خالدة ما دامت السموات والأرض، وخدمتها دين في أعناق الذين يملكون أسبابها في كل زمان ومكان.

❊ ❊ ❊

ومن الإنصاف أن أقرر أن كثيراً من علمائنا المتخصصين في ضروب الثقافة الإنسانية بعامة، والثقافة العربية بخاصة، قد أدّوا كثيراً مما وجب عليهم من خدمة تـراث أمتهم الحافـل في شتى فنون المعـرفة، وعملوا مـا وسعهم الجهد عـلى صيانـة هذا التـراث في النواحي التي حـذقوهـا أو تخصصوا فيها.

والمكتبة العربية تزخر بطاقة هائلة من المصنفات التي عنيت بخدمة هذا التراث. وفي طليعته التراث اللغوي الذي حفظ التاريخ منه ثروة طائلة من كتب اللغة ومعاجمها منذ مسّت الحاجة إلى تدوينها والتأليف فيها. وقد عني أولئك المؤلفون بإحصاء ألفاظها وضبطها، والإبانة عن دلالاتها الإفرادية والتركيبية، وألوان التصرّف في هذه الدلالات عبر الزمان، وعبر الأجيال المتلاحقة التي تداولت هذه الألفاظ والصيغ التعبيرية، وطوّعتها لمقتضيات الحياة والبيئات والعصور وألوان الحضارات.

واستطاعت هذه المعجمات أن تحافظ على أصول اللغة ودلالاتها، كما استطاعت أن تصل حاضر هذه اللغة بماضيها، وأصبحت بذلك عاملاً مهمًا من عوامل الحفاظ على اللغة ومتابعة إصلاحها وتقويمها لمتابعة ركب الحياة ومقتضيات الحضارة المتحركة المتجددة، فأسدت بذلك فائدة كبرى في بعث اللغة وإحيائها وتجديدها، وهي اللغة التي يفيدهـا عامـة المتعاملين بهـا وخاصتهم في هذا الزمان وفي قرون سبقته بالتعلم والتلقين، لا عن طريق

الفطرة الواعية التي اكتسبتها هذه اللغة في أول عهدها عن طريق السماع والمزاولةالمتأثرة بوحدة البيئة ووحدة المفاهيم التي أدت إلى وحدة اللسان في التعبير عنها، حتى أصبح هنالك عرف لغوي عام،هو الذي نعبر عنه بقولنا «الدلالة اللغوية» أو «الدلالة الوضعية» أو «الحقيقة اللغوية». وفي هذا اللون من ألوان الدلالة وحدة، وفيه أيضاً دقة وتحديد يعرفهما واضعو اللغة وأصحابها الأصليون، وهم دائمًا الحجة التي يعتدّ بها، والمرجع الذي يعتمد عليه في إدراك ما خفي من أصول التعبير وأسراره.

ولا مجال للتعريف بتلك الآثار اللغوية النافعة، ولا بمعجمات اللغة، فإنها تستعصي على الحصر، وتعزّ على الإحصاء والاستقصاء، ولا يتعلق بها الغرض في هذا المضمار. ولكن لا سبيل إلى إنكار جدواها على كل مرتاد لها أو باحث عنها من أهل الحرص عليها، وذوي البصيرة بها.

وأذكر أيضاً في هذا المجال أن هنالك طبقة أخرى من العلماء يمتّون إلى علماء هذه اللغة العربية بأوثق الأسباب، مع ثقافة أخرى أفادوها في فن من فنون المعرفة. وقد استطاع أعلام من هذه الطبقة أن يجردوا من ألفاظ العربية ودلالاتها ألفاظاً ميّزها العرف الخاص في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو في صناعة من الصناعات، بدلالة خاصة، فأصبحت بها ذات مفهوم خاص عند أرباب هذهالمعارف والصناعات. واستطاع أولئك العلماء المختصون أن يجمعوا تلك المصطلحات في معاجم مختصة بضروب خاصة من المعارف والعلوم والفنون... فكانت هنالك معاجم للطب، ومعاجم للنبات، ومعاجم للحيوان، ومعاجم للبلدان، ومعاجم للرجال، ومعاجم للموسيقى، وغيرها مما حرص أولئك العلماء على جمعه وتدوينه مما استطاعوا إحصاءه، ليسهل الرجوع إليه والإفادة منه على طالبي المعرفة، وفهم ما يدل عليه في العرف الخاص لكل ضرب من هذه الضروب الثقافية، العلمية منها والفنية على السواء.

وذلك بالإضافة إلى حشد كبير من الموسوعات ودوائر المعارف، التي اتسع فيها نطاق البحث ليشمل ضروباً شتى من المعارف والثقافات التي تعم بها الفائدة لجماعات الباحثين في الثقافة الإنسانية على اختلاف تخصصاتها...

* * *

وبقيت بعد ذلك «البلاغة العربية» من غير معجم يلمّ شمل فنونها، ويضم شتات مصطلحاتها التي كانت لها دلالات وضعية عند أصحاب اللغة الأولين، ثم جنح بها العرف البلاغي الخاص إلى تحديد المفهوم الخاص لكل دلالة من تلك الدلالات الوضعية، لتصبح مصطلحاً بلاغياً محدود المعنى، واضح المفهوم.

نعم! بقيت البلاغة العربية من غير معجم حتى هذا الزمان، مع أن علم البلاغة كان في طليعة العلوم المرموقة بين العلوم اللسانية والعلوم الأدبية، وكان في الوقت نفسه من أغنى علوم العربية، وأغزرها بالدلالات الخاصة والمصطلحات الفنية، لأنه العلم الجمالي الذي يبحث في صناعة الأدب، الذي يمتاز بالعبارة الفنية الممتازة، ويحصي أسرار القوّة والجمال والوضوح، ومظاهر الإجادة في التعبير الفني.

وتلك الأسباب هي التي دفعتني إلى تأليف هذا المعجم منذ أحسست بفراغ مكانه في المكتبة العربية، وبالحاجة الملحّة إلى ملء هذا الفراغ منذ جنح بي التخصص العلمي إلى البحث البلاغي والنقد الأدبي منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

* * *

ومن نافلة القول أن مؤلفي المعاجم في كل علم أو فن لم يكونوا هم الذين ابتدعوا تلك الدلالات أو المصطلحات التي اشتملت عليها معجماتهم، ولم يخلقوا شيئاً لم يكن موجوداً من قبلهم. ولكن الفضل الأول

في ذلك الصنيع كان لأصحاب تلك العلوم والفنون الذين محصوا مسائلها، ودرسوها مفصلة في أبوابها وفصولها، حتى استطاعوا حصر مباحثها وموضوعاتها، وعاشت الفكرة في الزمن، وانتقلت من عالم إلى عالم، ومن عصر إلى عصر، وانضم جهد إلى جهد، ليتكون أخيراً الصرح العام لتلك العلوم والمعارف في الإنسانية، وتصبح ذات ضوابط ورسوم ومصطلحات يعرفها كل خبير بلون من ألوانها، ويلقنها الراغب فيها والحريص عليها، ليقف عند حدود المعرفة والتحصيل، أو يضيف إليها ما يستطيع استخراجه بالنظرة الممعنة، والبصيرة الواعية، والإدراك العميق.

ولست أحبّ أن يفهم من هذا الكلام أن أصحاب المعاجم أو ما أصبح يسمى في زماننا بدوائر المعارف كانوا بمعزل عن تلك الثقافات التي ألّفوا معجماتها، بل إن العكس هو الصحيح.

ذلك أنه لا يستطيع أن يتصدى لإحصاء المصطلحات والكشف عن دلالاتها الخاصة في لون من ألوان المعرفة إلا من كان حاذقاً فيه، عالماً بمباحثه، عارفاً بأصوله وفروعه، خبيراً بمظانّه،وأصول البحث فيه، قادراً على الموازنة بين الآراء، ليمخض زبدتها، ويستخرج الصالح النافع منها.

* * *

تلك بعض الخواطر التي عنّت لي وأنا أقدم هذا الكتاب، وبدا لي أنها توقف على شيء من طبيعة هذا التأليف ونظائره، أرجو أن يكون في تسجيلها فائدة لمن يقرأ هذا المعجم، أو يكون له شيء من الملاحظات الجادة التي تعين على تحقيق الغاية المرجوّة من تأليفه.

ولا بد من الإشارة إلى أنني استعنت في تأليف هذا المعجم بجميع ما استطعت الوصول إليه من أصول البلاغة ومراجعها المعتمدة منذ بدأ التفكير والتدوين فيها، ثم تابعت الآثار المختلفة التي سجّل فيها الأسلاف

من علماء هذا الفن خلاصة جهدهم، وثمرات تتبعهم، في سبيل تنميته وازدهاره، حتى نضج واستوى على سوقه، وأصبحت البلاغة على أيديهم علمًا متكاملاً، وما أكثر المراجع أو المصنفات التي خلّفوها وبذلوا فيها ما لا يقدره إلاَّ أهل الخبرة والممارسة.

وقد فتح المتقدمون منهم باب التأليف في البلاغة ومحاولة استخراج فنونها الباب في سبيل ذلك على مصراعيه، ولم يقل واحد منهم إن صنيعه في ذلك هو نهاية المطاف. وإمامهم في ذلك عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) الذي كتب في كتابه «البديع» بعد فنونه الخمسة التي أحصاها في أول كتابه، وهي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وبعد أن همَّ أن يختم كتابه بها، وينهي تأليفه بإحصاء هذه الفنون الخمسة، عاد بعد ذلك ليقول «قد قدّمنا أبواب البديع الخمسة، وكمل عندنا، وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال: البديع أكثر من هذا»! ثم يتبع هذا بقوله «نحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدّعي الإحاطة بها، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره. وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين، ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً، من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة. فمن أحبّ أن يقتدي بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، وارتأى غير رأينا فله اختياره»!

فقد شجع هذا القول الذي قاله ذلك الرائد الكبير في التأليف البلاغي جماعة من العلماء والنقاد على إثبات قدرتهم وأصالتهم فاستخرجوا من عيون الأدب فنوناً بلاغية كثيرة، وفرّعوا من تلك الفنون فنوناً أخرى، وأخذ بعضها يستقل عن بعض. وغني بذلك الدرس البلاغي، واتسع

نطاقه، وأصبحت فنون البلاغة ومصطلحاتها تراثاً مشهوداً تزهى به المكتبة العربية، ويزهى به التفكير العربي.

وهذه الفنون البلاغية الكثيرة، والمصطلحات التي لا يكاد يدركها الحصر، هي ما نحاول أن نصل خيوطه، ونلم شتاته في هذا المعجم الجديد.

* * *

وكان الطريق الذي سلكناه في تأليف هذا المعجم وتنسيقه، حتى يحقق غايته، وييسر الانتفاع به، يقوم على الأسس الآتية:

١ - قسمنا هذا المعجم إلى أبواب مرتبة على حسب ترتيب حروف الهجاء.

٢ - رتبنا المصطلحات والفنون البلاغية في داخل هذه الأبواب على حسب ترتيب حروف الهجاء أيضاً، فالهمزة أولاً، ثم الهمزة مع الألف، ثم الهمزة مع الباء... وهكذا حتى الهمزة مع الياء، وهكذا كان الضبط والتنظيم في جميع الأبواب التي جعلت حروف الهجاء عناوين عليها.

٣ - عمدنا في هذا الترتيب إلى الأصول اللغوية في كل مادة من مواد المعجم بعد تجريدها من حروف الزيادة، كما هو متبع في معاجم اللغة التي تراعي الحرف الأول في الكلمات وتجعله الأساس في الترتيب.

٤ - لم نقتصر في هذا المعجم على ذكر الفنون البلاغية، ولكننا ضممنا إليها من حروف المعاني ما قد يتفاوت في الأداء، وما يؤدي أغراضا بلاغية في بعض وجوه الاستعمال الفني.

٥ - عمدنا إلى التعريف الذي رأينا أنه يفي بالحاجة في كل فن من الفنون أو مصطلح من المصطلحات، وقد راعينا في هذا التعريف أن يكون موجزاً بقدر الإمكان، بشرط أن يبقى الوضوح المنشود في المعاجم، وقد

يدعو حرصنا على هذا الوضوح إلى شيء من التفصيل إذا دعت الضرورة إلى جلاء المفهوم.

٦ - قد يكون المصطلح البلاغي واحداً، ثم تتعدد مفاهيمه عند العلماء الذين يعتدّ بعلمهم ورأيهم. وفي هذه الحالة يتكرر اسم المصطلح في المادة الواحدة،بحسب تكرار المفاهيم واختلافها.

٧ - وقد يكون الأمر على عكس ذلك، فيتحد المفهوم ويختلف اسم المصطلح من عالم إلى عالم، وفي هذه الحالة تحصى هذه المصطلحات المؤتلفة لمعنى، ثم نضع كل لقب أو مصطلح منها في الموضع الذي يقتضيه تركيب حروفه وترتيبها. ونكتفي بإيضاح المفهوم في أشهر الألقاب التي عرف بها، ثم نحيل إليه غيره، مشيرين إلى أن هذا هو ذاك، وقد يقتضي الأمر أن نشير أيضاً إلى اسم العالم البلاغي الذي خالف غيره في تلك التسمية.

٨ - وقد كان لي في بعض فصول هذا المعجم ملاحظات استدركت بها على بعض علماء البلاغة، ولم يسعني إلّا أن أسجلها مسبوقة بعبارة: (قُلْتُ:)، فحيثما وجد القارىء هذه العبارة فليعلم أن ما بعدها من تعقيبات مؤلف هذا المعجم.

ولم أرد أن يكون لهذا المعجم الجفاف الذي يحس به قارىء المعجمات المتخصصة، ولذلك بذلت الجهد في التوضيح الكافي الذي يجد فيه القارىء بغيته من التعرف الواضح على المفاهيم الحقيقية لكل مصطلح من المصطلحات، حتى يستطيع أن يستغني بهذا المعجم عن الرجوع إلى المصادر المتباينة، ويبعد عن متاهاتها بقدر الإمكان.

* * *

وأجد لزاماً علي أن أقدم واجب الشكر والعرفان إلى جامعة طرابلس

بالجمهورية العربية الليبية التي تفضلت فمنحت هذا الجهد عنايتها حرصاً منها على خدمة العلم ونشر المعرفة في شباب هذا الجيل الذي تعمل على تزويده بطاقات كثيرة من المعرفة، وتعينه على الاهتداء إلى مقومات أمته الناهضة في مجال المعرفة والتفكير.

وأخيراً أضرع إلى الله أن يبارك هذا الجهد، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يديم به النفع . . . آمين.

والحمد لله على ما هدى إليه، وأعان عليه، له الحمد في الأولى والآخرة.

نعم المولى ونعم النصير

وكتب في طرابلس ج.ع.ل

يوم الخميس ٧ من ربيع الأول **١٣٩٥**هـ - **٢٠** من مارس **١٩٧٥**م.

بدوي أحمد طبانة

مُعْجَمُ

البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ

باب الهمزة

١ - الهَمْزة

أداة للنداء، وهو من الإنشاء الطلبي، وينادى بها القريب. وقد ينادى البعيد بالهمزة، أي ينزل منزلة القريب، إشارة إلى قربه من القلب، وحضوره في الذهن، كقول أبي الطيب وهو في الاعتقال:

أمالِكَ رِقّي ومَن شأنُه ... هِباتُ اللّجين وعتقُ العبيد
دعوتُك عند انقطاع الرجا ... ءِ، والموتُ منّي كحبل الوريد

وكقول الآخر:

أسُكّانَ نعمان الأراكِ تيقّنوا ... بأنكم في ربع قلبي سُكّانُ

انظر (الإنشاء) في باب النون.
وانظر (الطلبي) في باب الطاء.

٢ - الهمزة

أداة للاستفهام، وهو من الإنشاء الطلبي.

وتستعمل لطلب (التصديق) نحو: أسافر محمد؟ في الجملة الفعلية، ونحو: أمحمد مسافر؟ في الجملة الاسمية.

وتستعمل أيضاً لطلب (التصور) كقولك في طلب تصور المسند إليه:

أمحمد مسافر أم علي؟ حين تكون عالماً بسفر أحدهما، طالباً تعيين المسافر.
وفي طلب تصور المسند: أفي القاهرة أخوك أم في الاسكندرية؟ حين تكون عالماً بكون أخيه في واحد من البلدين، طالباً تعيين أحدهما.

والمسؤول عنه بالهمزة هو ما يليها، كالفعل في نحو: أأكرمت الضيف؟ إذا كان الشك في نفس الفعل، أي الإكرام الصادر من المخاطب على الضيف، وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده، فتكون لطلب التصديق... ويحتمل أن تكون لطلب تصور المسند كما في هذا المثال، بأن تعلم أنه قد وقع من المخاطب أمر لعلّ، ولكنك لا تعلم أنه إكرام أو غيره.

فكل تركيب ولي الهمزة فيه فعل محتمل لأن يكون لطلب التصديق، وأن يكون لطلب التصور. وتعيين أحد الأمرين بالقرائن، كاقتران المعادل لما يلي الهمزة بأم المنقطعة أو المتصلة. فمثل أأكرمت عليّاً أم لا؟ لطلب التصديق. وقولك أأكرمت عليّاً أم أهنته؟ لطلب التصور.

وقد يسأل بالهمزة عن الفاعل فيليها، نحو: أأنت خطبت؟ إذا كان الشك في الخطيب، فكأنك تقول له: الذي صدرت منه الخطابة أنت أم غيرك؟

والمراد بالفاعل هنا الفاعل المعنوي لا الصناعي، إذ أن الفاعل الصناعي لا يجوز تقديمه على الفعل.

وقد يسأل بالهمزة عن المفعول، فيلي الهمزة أيضاً، نحو: أعليّاً كرّمت؟ إذا كان الشك في المكرَّم.

وكذا يسأل عن سائر المعمولات فتلي الهمزة، نحو: أفي دار علي نزلت؟ أيوم الجمعة قدمت؟ أتأديباً ضربت؟ أراكباً جئت؟ ونحو ذلك.

وقد أحصى ابن هشام ثمانية مواضع تخرج فيها الهمزة عن الاستفهام الحقيقي:

أحدها: (التسوية) قال: وربما تُوهِّم أن المراد بها الهمزة الواقعة بعد كلمة «سواء» بخصوصيتها، وليس كذلك، بل كما تقع بعدها تقع بعد «ما أبالي» و«ما أدري» و«ليت شعري» ونحوهن.

والضابط أنها الهمزة الداخلة على جملة يصـحّ حلول المصدر محلها نحو: «سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» ونحو «ما أبالي أقمت أم قعدت». ألا ترى أنه يصح سواء عليهم الاستغفار وعدمه، وما أبالي بقيامك وعدمه. . .

الثاني: (الإنكار الإبطالي)، وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدّعيه كاذب، نحو «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا» و«فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون» و«أفسحر هذا» و«أشهدوا خلقهم» و«أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» و«أفعيينا بالخلق الأول».

ومن جهة إفادة هذه الهمزة نفى ما بعدها لزم ثبوته إن كان منفيا، لأن نفي النفي إثبات. ومنه «أليس الله بكاف عبده» أي: الله كاف عبده. ولهذا عطف «ووضعنا» على «ألم نشرح لك صدرك» لما كان معناه شرحنا. ومثله «ألم يجدك يتيمًا فآوى، ووجدك ضالاً فهدى» و«ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل». ولهذا أيضاً كان قول جرير في عبدالملك:

ألسْتم خيرَ من ركبَ المطايا   وأنـدَى العـالمينَ بـطون راحِ

مدحاً، بل قيل إنه أمدح بيت قالته العرب. ولو كان على الاستفهام الحقيقي لم يكن مدحا البتة.

الثالث: (الإنكار التوبيخي)، فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، نحو «أتعبدون ما تنحتون» و«أغير الله تدعون» و«أإفكا آلهة دون الله تريدون» و«أتأخذونه بهتاناً». وقول العجاج:

أطـربـاً وأنـتِ قـنَّـسْـرِيُّ   والـدهـرُ بـالإنـسـان دَوّارِي

أي أتطرب وأنت شيخ كبير.

الرابع: (التقرير)، ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه... ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به. تقول بالتقرير بالفعل: أضربت زيداً، وبالفاعل: أأنت ضربت زيداً، وبالمفعول: أزيداً ضربت، كما يجب ذلك في المستفهم عنه.

وقوله تعالى: «أأنت فعلت هذا بآلهتنا» محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، ولإرادة التقرير بأن يكونوا قد علموا... ولا يكون استفهاماً عن الفعل، ولا تقريراً به، لأن الهمزة لم تدخل عليه، ولأنه عليه الصلاة والسلام قد أجابهم بالفاعل بقوله: بل فعله كبيرهم هذا...

الخامس: (التهكم)، نحو «أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤ نا».

السادس: (الأمر)، نحو «أأسلمتم»، أي: أسلموا.

السابع: (التعجب)، نحو «ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل».

الثامن: (الاستبطاء)، نحو «ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق».

[مغنى اللبيب ١/ ١٧]

* * *

وللفرق بين استعمال الهمزة وهل في الاستفهام انظر (هل) في باب الهاء.

وانظر (التصديق) في باب الصاد.

وانظر (التصوُّر) في باب الصاد أيضاً.

وانظر (أم) المتصلة والمنقطعة، وستأتي في هذا الباب.

وانظر (المسند) و(المسند اليه) في باب السين.

٣ - آ

(آ) بالمد أداة نداء، ينادي بها البعيد.

وانظر (يا) في باب الياء لمعرفة الدواعي البلاغية لإنزال القريب منزلة البعيد.

٤ - تأتي الإنكار

من الأسباب التي تدعو إلى حذف المسند إليه، وذلك لأنه قد تدعو الحاجة إلى التكلم بشيء، ثم تدعو الحاجة إلى إنكاره. ومثال ذلك أن يذكر شخص فتقول: فاجرٌ فاسقٌ. ثم تخشى مغبّة هذا القول فتنكره، فلو ذكرت المسند إليه فقلت: «زيد فاجر فاسق» لقامت عليك البينة بهذا التصريح. وإذا حذفت تأتي لك الإنكار بأن تقول: ما أردت زيداً بل غيره!

وقد يسمى هذا الداعي (تيسير الإنكار عند الحاجة).

وانظر (حذف المسند إليه) في باب الحاء.

٥ - أجلْ

بسكون اللام حرف جواب مثل (نعْمْ) فيكون تصديقاً للمخبر، وإعلاماً للمستخبر، ووعداً للطالب. فتقع بعد نحو قام زيد، ونحو أقام زيد، ونحو أضرب زيداً. وقيد بعضهم الخبر بالمثبت، والطلب بغير النهي. وقيل لا تجيء بعد الاستفهام. وعن الأخفش: هي بعد الخبر أحسن من (نعم)، و(نعم) بعد الاستفهام أحسن منها. وقيل: تختص بالخبر.

٦ - تأخير المسند إليه

ويكون ذلك لاقتضاء المقام تقديم المسند على ما سيجيء بيانه.

وانظر (تقديم المسند) في باب القاف.

وانظر (تقديم المسند إليه) في باب القاف أيضاً.

٧ - تأخير المسند

ويكون ذلك اتباعاً للأصل، لأن ذكر المسند إليه أهم، إذ هو المحكوم عليه. وكل غرض بلاغي يدعو إلى تقديم المسند إليه يقتضي تأخير المسند.

وانظر (تقديم المسند إليه) و(تقديم المسند) في باب القاف.

٨ - المؤاخاة

أوردها بهاء الدين السُّبكي في «عروس الأفراح». وقال عن هذا الفن إنه أخصُّ من الائتلاف، وهو أن تكون معاني الألفاظ متناسبة. ومثّل له بقول ذي الرُّمّة:

لمياءُ في شفتيها حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي الثنايا وفي أنيابها شنبُ[1]

احترازاً عن مثل قول الكُميت:

وقد رأيْنا بها خوداً منعمة ... بيضاً تكامل فيها الدلّ والشنبُ

فذكر الشنب مع الدلِّ غير مناسب، وهذا في الحقيقة نوع من اختلاف المعنى واللفظ.

٩ - أداة التشبيه

هي كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك، وهي حرفان: «الكاف» و«كأن» وسيأتيان في باب الكاف.

(١) انظر (شروح التلخيص) ٤/٤٧١. واللمى سمرة في الشفة تستحسن، ورجل «ألمى» وجارية «لمياء» بينة اللمى. والحوة لون يخالط الكمتة مثل صدأ الحديد. وقال الأصمعي الحوة حمرة تضرب إلى السواد. والحوة أيضاً سمرة في الشفة، يقال: رجل «أحوى» وامرأة «حواء» واللعس بفتحتين لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلاً، وذلك يستلمح، يقال: شفة «لعساء». والشنب الحدّة في الأسنان، وقيل؛ برد وعذوبة.

ومن أدوات التشبيه «مثل» وما يشتق من المماثلة، وما يؤدي هذا المعنى؛ كالمضاهاة، والمحاكاة، والمشابهة، وما يشتق منها.

وقد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه مثل «علم» في قولك: علمتُ زيداً أسداً، ونحوه.

وإنما يستعمل «علمتُ» لإفادة التشبيه، إن قرب ذلك التشبيه، بأن يكون وجه الشبه قريب الإدراك، فيحقق بأدنى التفات إليه. وذلك لأن العلم معناه التحقق. وذلك يناسب الأمور الظاهرة البعيدة عن الخفاء.

فإن بعد أدنى بعد قيل «خلتُه» و«حسبته» ونحوهما، لبعد الوجه عن التحقق، وخفائه عن الإدراك العلمي. وذلك لأن الحسبان ليس فيه الرجحان. ومن شأن البعيد الإدراك أن يكون إدراكه كذلك، دون التحقق المشعر بالظهور وقرب الإدراك.

وعلماء البلاغة يقسمون التشبيه باعتبار الأداة إلى (مرسل) وسيأتي في باب الراء، و(مؤكد) وسيأتي في هذا الباب.

وقد يسمى التشبيه الذي ذكرت فيه الأداة (التشبيه المظهر).

والتشبيه الذي لم تذكر فيه الأداة (التشبيه المضمر) وسيأتي في باب الضاد.

١٠ - إذا

أداة شرط، والأصل أن تستعمل عند الجزم بوقوع الشرط في المستقبل، نحو قوله تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبِّح بحمد ربِّك واستغفره إنه كان توّاباً» فمجيء النصر وما بعده مما يجب تحققه في المستقبل.

وانظر (إنْ)، وستأتي في هذا الباب.

وانظر (الشرط) في باب الشين.

١١ - التأريخ الحرفي

وهو (التأريخ الشعري) وسيأتي مفصلاً...

١٢ - التأريخ الشعري

ويسمونه «التأريخ الحرفي» أيضاً، لأن المرجع فيه إلى حساب الأحرف الأبجدية.

ولا يعرف بالتعيين أول من استعمله في الشعر. وقد ذكر بعضهم أنه كان في الجاهلية الأولى عند شعرائها، وهو وهم. ولكن أقدم ما وقف عليه من ذلك قول بعضهم في تأريخه لسنة (٨٢٢هـ):

تاريخه: خير بدا مع كمال العفةِ

ويريد بقوله «مع كمال العفة» حرف التاء الذي هو تمام لفظ «العفة» وحسابه في الجمَّل هاء. وهذا النوع يسمونه (المذيل) وهو أن يكون جُمّله ناقصاً، فيكمل بحرف أو أكثر مع التنبيه على ذلك. وهذا شبيه ببعض أنواع (المعمّى).

وأقدم من ذلك، ولكنه ليس على طريقة التاريخ، بل على طريق الإشارة والرمز، قول ابن الشبيب من أهل القرن السادس في الإمام المستنجد بالله، وهو الخليفة الثاني والثلاثون من خلفاء العباسيين:

أنت الإمامُ الذي يحكي بسيرته من تاب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت «لبّ» بني العباس كلهم إن عُدِّدتْ بحروف الجمَّل الخُلفا

وجمل حروف «لب» **٣٢**.

ولصلاح الدين الصفدي من أدباء القرن الثامن في قلم ممدوحه بدر الدين:

لصفات بدر الدين فضل شائعُ تصبو له الأفكارُ والأسماعُ
انظر إلى «القلم» الذي يحوي فقد صحّ لحسابُ بأنه «نفّاعُ»

وذلك أن جُمّل «القلم» ٢٠١، و«نفّاع» كذلك ٢٠١.

وقد ذكر القرماني في تاريخه عند الكلام على فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ أن السلطان محمداً فاتحها حباه الله هذا الفتح لكونه أعلم الملوك وأعدلهم وأحسنهم سيرة وأخلصهم نية وطوية. قال: وضمن بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح، فقال:

رام أمرَ الفتح قوم أوّلُونْ حازه بالنصر قوم آخرونْ

وقعت لفظة «آخرون» تاريخ فتح المدينة. وقيل في تأريخها أيضاً «بلدة طيبة».

وقد أخذ العرب اصطلاح الدلالة على الأعداد بالأحرف قديماً عن السريان، فإنهم كانوا يعبّرون عن الأعداد بالحروف، كالعبرانيين واليونانيين. والحروف عند السريانيين مرتبة ترتيب حروف (أبجد...) غير أن العرب زادوا عليها كلمتي «ثخذ» و«ضظغ» وهي التي سموها «الروادف» وأعدادها من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ لأن هذه الحروف الستة لا توجد في لغة السريان ولا في لغة العبرانيين. ولكن يوجد فيها ما يقابلها، وهي ستة أحرف فرعية نوعوا بها الأحرف الأصلية التي هي: الباء، والجيم، والدال، والكاف، والفاء، والثاء. فهذه الأحرف عندهم إما جاسية، جافية، وإما مخففة ليّنة. وتعرف باصطلاح السريانيين بالمقسّاة والمركخة. فإذا كانت جاسية تلفظ كما تلفظ في العربية،وتعلم بنقطة فوقها عند السريانيين، وفي وسطها عند العبرانيين. وإذا كانت مخففة فإن الباء تنطق كالفاء الفارسية، والجيم كالغين العربية، وتلفظ الدال ذالاً، والكاف خاء، والفاء باء فارسية، والثاء تاء...

والأنواع التي اصطلح عليها في هذا التاريخ هي:

(المستوفى): وهو ما لا تحتاج كلماته إلى ضميمة غيرها، كأكثر التواريخ المتداولة.

و(المذيَّل): وقد مرَّ مثاله. وعكسه أن يكون التاريخ زائداً، فينبّه فيه على حرف إذا أسقط جُمَّله من المجموع كان الباقي هو التاريخ، كقول جمال الدين العصامي في تاريخ وصول قاضي مكة، وكان اسمه حسنا، وذلك سنة ١٠٧٤هـ، وهو «حُسْنُ قاضينا حُسْنٌ بلا كلام» فإذا أسقطت جمّل«بلا كلام» من جمّل «حسن قاضينا حُسْنٌ» كان التاريخ ما بقي.

و(المتوَّج): وهو ما تحسب أول كلماته دون باقيها، كقول بعضهم لسنة ١١٠٢هـ:

قد جاء عام جديد لكل خير يجوز
أرخ أوائل «قول بكل خير تفوز»

و(الممثل): ما كان بالتمثيل كقولهم لتاريخ ٩٨٩ إنه محمل بين علمين، لأن صورة هذه الأرقام تماثل صورة المحمل بين العلمين، ومثله «علم بين محملين» لسنة ٨٩٨. ومن عجب هذا النوع قول بعضهم يؤرخ وفاة بعض العلماء سنة ٨٨٨ وهو «انقلب محراب الديانة والدين والزهد». والمراد حروف الدال في هذه الكلمات. والدال كما لا يخفى ترسم هكذا (د) فإذا انقلبت الدالات الثلاث صارت هكذا (٨٨٨) وهو عدد السنة المؤرخ بها. وهذا النوع قلَّ أن يتفق في المنظوم إلا بتكلف سمج.

ومن أنواع التأريخ (المقابلة)، وهو أن يقابل حساب جمّل الشيء المؤرخ اسمًا أو نعتاً أو نحوهما بجمّل جملة مناسبة للحال مع التصريح بالمقابلة، كما يقال في تاريخ مولود اسمه «ضياء»: «تاريخه مقابل لاسمه»، أي سنة ٨١٢.

وقد استعمل التاريخ الشعري في بديعية الشيخ عبدالغني النابلسي، ثم جاء تلميذه الشيخ شاكر النحلاوي، ويقولون إنه ابتكر في التاريخ طريقة جديدة، وهي جعل كل شطرة من القصيدة تاريخاً، وإنه نظم في ذلك قصيدة في مدح أستاذه تواريخها لسنة ١١٣٦هـ.

وذكر صاحب «الشقائق النعمانية» في ترجمة المولى الشهير بابن الشيخ الشبستري أنه نظم قصيدة فارسية في ستين بيتاً مصراع كل بيت تاريخ لسنة ٩٢٦. والقصيدة تهنئة بجلوس السلطان سليمان بن السلطان سليم، وكان المصراع الأخير تاريخا لفتح قلعة رودس. وهذا الأديب نفسه صنف أيضا بالفارسية رسالة في المعمّى، وجعل أمثلة قواعده كلها على اسم السلطان سليم خان. فيكون النحلاوي ناقلاً لا مخترعاً، وإن كان أول من أدخل ذلك في النظم العربي.

ثم اخترع بعده الشيخ أحمد البدير الشاعر طريقة المعجم والمهمل، فأرخ وفاة الأمير منصور الشهابي سنة ١١٨٨ في بيت حروفه المهملة تاريخ، وحروفه المعجمة كذلك.

وافتنّ المتأخرون بعد ذلك، فجمعوا في البيت الواحد تاريخين متفقين أو مختلفين من الهجري والميلادي، وثلاثة وأربعة أيضاً، ووضعوا طريقة يجتمع فيها في بيتين ثمانية وعشرون تاريخا، وذلك أن تنصّف السنة المؤرخ بها، ولا بد أن تكون زوجاً ليكون لها نصف صحيح، ويجعل كل شطر من الأبيات نصفين، يكون مجموع جُمَّل معجمه نصفاً، ومجموع المهمل نصفاً آخر. فيكون في كل شطر من البيتين تاريخ، وبضم معجمه أو مهمله إلى معجم أي شطر أو مهمله يخرج بقية العدد... إلى كثير من ضروب التصرف في التاريخ الشعري افتنّ فيها المتأخرون. (وانظر في ضروب هذا الافتنان تاريخ آداب العرب للرافعي ٢/٤٠٣).

١٣ - الأصلية

تنقسم الاستعارة باعتبار لفظها إلى استعارة أصلية، واستعارة تبعية.

فيطلق عليها الاستعارة (الأصلية) إذا كان المستعار اسم جنس غير مشتق سواء أكان اسم ذات كأسد، أم اسم معنى كالقتل للإذلال. وسواء

أكان اسم جنس حقيقة، أم تأويلاً في الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف كحاتم في قولك «رأيت اليوم حاتماً» تريد رجلا كامل الجود.

فكما أن «أسداً» يتناول الحيوان المفترس حقيقة، والرجل الشجاع ادعاء، كذلك «حاتم» يتناول الطائي حقيقة، والجواد ادّعاء.

والاستعارة مبنية على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلا بد أن يكون المشبه به كلياً ذا أفراد.

والمراد باسم الجنس غير المشتق ما يصلح لأن يصدق على كثيرين.

وانظر (التبعية) وستأتي في باب التاء.

١٤ - التأكيد

من الأسباب التي تستدعي وصف المسند إليه، لتقييده بالتوابع وغيرها، نحو قولك: أمس الدابر كان يوماً مشهوداً، فلفظ «أمس» يدل على المضي بدون ذكر كلمة «الدابر»، ولكنه وصف بالدابر أي الماضي، للتأكيد.

وانظر مادة «وصف» في باب الواو.

١٥ - التأكيد

قال العلوي في الطراز: أعلم أن التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات لما أنت بصدده. وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد. وله مجريان:

المجرى الأول: عام، وهو ما يتعلق بالمعاني الإعرابية. وينقسم إلى لفظي ومعنوي، وليس من همنا إيراده ها هنا لأمرين:

أما أولاً فلانحراف ما يتعلق بمقاصد الإعراب عما يتعلق بمقاصد

البلاغة، وما نحن فيه إنما هو كلام في مقاصد البلاغة، وأما ثانياً فلأن كتابنا إنما يخوض فيه من له ذوق في علم العربية، وكانت له حظوة وافرة فيها.

المجرى الثاني: خاص، يتعلق بعلوم البيان. ويقال له «التكرير» أيضاً. وليس يخفى موقعه البليغ، ولا علو مكانه الرفيع، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد، حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذلك يصير قلادة في الجيد، وقاعدة للتجويد.

ثم ما يكون متعلقاً بعلوم البيان قد يكون تأكيداً في اللفظ والمعنى، وقد يتعلق بالمعنى دون اللفظ، فهذان قسمان:

القسم الأول: ما يكون تأكيداً في اللفظ والمعنى جميعاً:

... فمن ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن «فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان» فهذا تكرير من جهة اللفظ والمعنى. ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردها في خطاب الثقلين الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها أو ما يؤول إلى النعمة فإنه يردفها بقوله «فبأي آلاء ربكما تكذبان» تقريراً للآلاء، وإعظاماً لحالها. ومن ذلك في سورة القمر قوله «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر، فكيف كان عذابي ونُذر» وإنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين، والاتعاظ بما أصابهم من المثلات، وحل بهم من أنواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا، لئلا تستولي عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذهول والنسيان...

والقسم الثاني: من التكرير في المعنى دون اللفظ:

وهذا القسم يستعمل كثيراً في القرآن وغيره، ويجيء مفيداً وغير مفيد.

الضرب الأول: ما يرد على جهة الفائدة: وهذا كقوله تعالى «إنّا

عرضْنا الأمانة على السموات والأرض والجبال»، فقوله تعالى «والجبال» وارد على جهة التأكيد المعنوي، وفائدته تعظيم شأن هذه الأمانة المشار إليها وتفخيم حالها. وقوله تعالى «ولْتكنْ منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فقوله «يدعون إلى الخير» عامّ في كل شيء، وإنما كرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة.

وكما يرد التأكيد المعنوي على ما ذكرناه قد يرد ببرهان يشهد له، وتارة يرد على جهة العزيمة، ومرة بغير ذلك؛ فهذه وجوه ثلاثة:

أولها: ما يرد ببرهان دال عليه. وهذا كقول أبي نواس:

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهرَ إلا من له خطرُ
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جِيَفٌ وتستقرّ بأقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ لا عديدَ لها وليس يكسفُ إلا الشمس والقمرُ

فقوله «أما ترى البحر» وقوله «وفي السماء نجوم» إنما أوردهما على جهة الاستدلال والتقرير لما ادّعاه من معاندة الدهر لذوي الأخطار وأهل المراتب العالية.

وثانيها: أن يكون وارداً على جهة العزيمة والاهتمام بأمره، وهذا كقوله تعالى «فلا أُقسم بمواقع النجوم، وإنه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيم» فقوله «وإنه لقسم» إنما ورد على جهة التأكيد لقوله «فلا أقسم» على جهة العزيمة لكونه قسمًا بالغاً عظيمًا.

وثالثها: أن يكون وارداً على خلاف هذين الوجهين، وهذا كقوله:

فـدَعَـوْا نَـزَالِ فكنت أولَ نـازلٍ وعـلامَ أرْكـبُـه إذا لـمْ أنـزِل

فقوله «وعلام أركبه» وارد على جهة التأكيد لقوله «فكنت أول نازل» بالاستفهام على جهة التقرير. وكقوله:

ولا عيبَ فيهم غيـر أن سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِـراع الكتـائب

فقوله «غير أن سيوفهم» إنما ورد على جهة التأكيد المعنوي، لكونهم شجعاناً، فأورده على صيغة الاستثناء. وكقول طرفة:

فسقى ديـارَكِ غيـرَ مفسِـدِهـا صـوبُ الـربيـع وديمـةٌ تهمي

فقوله «غير مفسدها» وارد على جهة التأكيد بصيغة الاستثناء.

الضرب الثاني: ما يـرد من التأكيد من غير فائدة: وهـو أن ترد لفظتان مختلفتان تدلان على معنى واحد. وهذا كقول أبي تمام:

قَسَمَ الـزمانُ ربـوعَنا بين الصَّبـا وقَبـولهـا ودَبـورهـا أثـلاثـا

فالصَّبا والقبول لفظتان تدلان على معنى واحد، وهما اسمان للريح التي تهبّ من ناحية المشرق(١) ونحو قول الخطيب:

قالت أمامة: لا تجزعْ، فقلت لها إن العـزَاءَ وإن الصبرَ قـد غلبَـا

فالعزاء هو الصبر، لأن معناهما واحد... وكقول بعض الشعراء من أهل الحماسة:

إني وإن كـان ابن عمّي غـائبـاً لـمقـاذفٌ مـن خلفـه وورائـهِ

فقوله «من خلفه وورائه» كلمتـان دالتان عـلى معنى واحد. هـذا ما ذكره ابن الأثير. والأقرب أن «وراء» قد تستعمل بمعنى «قُدام» كما قال تعالى «وكان وراءهم مَلِكٌ» أي قدّامهم، ولأنه إذا كان بمعنى قُدّام كان أدخل في المدح وأعظم، لتضمنه تعميم الأحوال في الحياطة والدفاع عنه.

وهذا وما شاكله قد وقع فيه نزاع بين علماء البيان، فمنهم من ردّه، وقال إن هذا حاله بمنزلة التكرار اللفظي، فإذا كان التكرار معيباً فلا فرق بين أن يكون من جهة اللفظ، أو يكون حاصلاً من جهة المعنى. ومنهم من

(١) الصبا ريح مهبها المستوى ان تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ومثلها القبول، ويقابلها الدبور.

قبله محتجّاً بأن الألفاظ إذا كان تغاير فليس معيباً، وقد استعمله الفصحاء، فدلّ ذلك على جوازه.

ورأى العلوي أن الناثر فيها لا يغتفر له مثل هذا، وهو أن يأتي بكلمتين دالتّين على معنى واحد من غير فائدة. وليس هناك ضرورة تلجئه إلى ذلك، فلهذا كان معدوداً في النثر من العيّ المردود.

وأما الناظم فإنه إن أتى بهما في صدر البيت فلا عذر له في ذلك، لأنه مخالف للبلاغة والبراعة في الفصاحة، ويدل على ضيق العطن في الطلاقة والذلاقة.

وإن كان في عجز الأبيات يغتفر له من أجل الضرورة الشعرية. وقد اغتفر أئمة الأدب للشعراء كثيراً من الضرورات.

١٦ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح

من البديع المعنوي، وهو ضربان:

أحدهما: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم، بتقدير دخولها في صفة المدْح. ومعلوم أن نفي صفة المدح ذم. فإذا أثبتت صفة ذمّ بعد هذا النفي الذي هو ذم جاء التأكيد كما سيأتي في تأكيد المدح، كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى مَنْ يحسن إليه.

والضرب الآخر: أن يثبت للشيء صفة ذم، ويعقّب بأداة استثناء تليها صفة ذم أُخرى له، كقولك: فلان فاسق، إلا أنه جاهل.

وتحقيق القول في هذين الوجهين على ما يأتي في (تأكيد المدح بما يشبه الذم).

١٧ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم

من محاسن الكلام عند ابن المعتز. قال: ومنها تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، كقول الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهمْ بهنَّ فلولٌ من قـراع الكتـائبِ

وقول الجعدي:

فتىً كملتْ أخــلاقُه غيــرَ أنّـه جوادُ فما يُبقي من المـال باقيـا

وهو عند البلاغيين من البديع المعنوي، وهو عندهم ضربان:

أولهما وأفضلهما: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء، بتقدير دخول صفة المدح في صفة الذمّ، كقول النابغة الذبياني:

ولا عيبَ فيهم غيـر أن سيوفَهمْ بهنَّ فلولٌ من قِـراع الكتـائبِ

أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شيئاً من العيب، على تقدير أن فلول السّيف منه، فهو في المعنى تعليق بالمحال، والمعلّق على المحال محال، كقولهم «حتى يبيضّ القار» !

فالتأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببيّنة، لأنه علّق نقيض المدَّعَى، وهو إثبات شيء من العيب، بالمحال. والمعلّق بالمحال محال، فعدم العيب محقق. والوجه الآخر: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، فإذا نطق المتكلم بإلّا أو نحوها توهم السّامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخْرَج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً، وهذا ذمّ. فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح، لكونه مدحاً على مدح، وإن كان فيه نوع من الخلابة!

والضرب الآخر من ضربي تأكيد المدح بما يشبه الذمّ: أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقُب بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى له، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش» على أن «بَيْد» بمعنى «غير» وهو أداة استثناء.

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضاً أن يكون منقطعاً، لكنه باقٍ

على حاله لم يقدّر متصلاً، إذ ليس هنا صفة ذمّ منفيّة عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها. فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين. ولهذا قيل إن الضرب الأول أفضل.

ومن هذا الضرب قول النابغة الحمدي:

فتىً كملتْ أخـلاقه غيـر أنّـه جـوادٌ فيما يُبقي من المال باقيا

وأما قوله تعالى «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً» فيحتمل الوجهين.

وأما قوله تعالى: «لا يسمعون فيها لغواً إلاّ سلاماً» فيحتملهما، ويحتمل وجهاً ثالثاً، وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلاً، لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام، لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذمّ ضرب ثالث، وهو أن يأتي فيه الاستثناء مفرغاً، كقوله تعالى «وما تنقِمُ منّا إلا أن آمنّا بآيات ربِّنا لما جاءتنا» أي: وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان بآيات الله. ونحوه قوله تعالى «قل يا أهلَ الكتاب هل تنقمون منا إلاّ أن آمنّا بالله وما أنزل علينا» فإن الاستفهام فيه للإنكار.

واعلم أن (الاستدراك) في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء، كما في قول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني:

هـو البدرُ إلا أنـه البحر زاخـراً سوى أنه الضِّـرْغامُ لكنّه الوبـلُ

وتأكيد المدح بما يشبه الذم هو (الاستثناء) عند بعض البلاغيين. وسيأتي في باب الثاء.

١٨ - المؤكّد

من التشبيه: هو ما حذفت منه الأداة سواء كانت مقدّرة في نظم الكلام نحو: «وهي تمرّ مرَّ السحاب» ومنه نحو: ذهب الأصيل، ولجين الماء،في قول أبي إسحاق ابن خفاجة الأندلسي:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهبُ الأصيل على لُجين الماءِ

أو لم تكن مقدرة في نظم الكلام، بل جعل المشبه به محمولاً على المشبّه مبالغة كما في التشبيه البليغ، نحو: زيد أسد، على معنى: زيد كالأسد، وكقول القاضي الفاضل:

لله قاتلة من حيّ ذي سَلَم هي التي صبغت أذيالها بدمي
إن أنكرتْ حقّ مقتول فواعجباً دمي بذمتها نار على علَم

ووجه المبالغة فيه أنه يشبه الاستعارة من حيث الظاهر، وليس باستعارة عند الجمهور، إذ هو على تقدير الأداة، فالتشبيه ملحوظ، والاستعارة مبنية هل تناسي التشبيه. فالتشبيه في جميع ذلك مؤكد.

١٩ - مؤكدات الحكم

في الضربين الطلبي والإنكاري من أضرب الخبر، هي:

إنّ، وأنّ، والقسَم، ونونا التوكيد، ولام الابتداء، واسمية الجملة عند قصد التأكيد بها، وتكرير الجملة، وأما الشرطية، وحروف التنبيه، وحروف الزيادة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي في نحو محمد يكتب، والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه، لأنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، وقد التي للتحقيق، وكأن، ولكن، وإنما، وليت، ولعل، وتكرير النفي.

واسمية الجملة تكون مؤكداً إن قصد التأكيد بها، على أن تأكيدها

ليس على سبيل الاستقلال، بل على سبيل التبعية، فإن كان هناك مؤكد آخر جعلت اسمية الجملة من المؤكدات، وإلا فلا. وقد اختلف في أنَّ المفتوحة وجعلها من مؤكدات الحكم، فلم يعدّها بعضهم من المؤكدات لأن ما بعدها في حكم المفرد، والتأكيد المقصود هو تأكيد النسبة، لا تأكيد المسند إليه، ولا تأكيد المسند. ولكن ابن هشام يعد أنّ المفتوحة من مؤكدات النسبة.

٢٠ ـ (ألْ) الجنسية

أل (الجنسية): وتسمّى (لام الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

(١) للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي، بقطع النظر عن عمومها وخصوصها نحو: الإنسان حيوان ناطق، وتسمّى (لام الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد نحو: الذهب أثمن من الفضة.

(٢) للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبْهم، إذا قامت القرينة على ذلك. كقوله تعالى «وأخافُ أن يأكله الذئب» ومدخولها في العبارة كالنكرة فيعامل معاملتها. وتسمّى (لام العهد الذهني).

(٣) للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة، بمعونة قرينة حالية، نحو: «عالم الغيب والشهادة» أي: كل غائب وشاهد، أو بمعونة قرينة لفظية نحو «إنّ الإنسان لفي خُسْر» أي: كل إنسان، بدليل الاستثناء بعده. وتسمّى (استغراقاً حقيقياً).

(٤) أو للإشارة إلى كل الأفراد مقيّداً، نحو: جمع الأمير التجار، أي جمع الأمير تجار مملكته، لا تجار العالم أجمع. ويسمّى (استغراقاً عرفياً).

٢١ - (أَلْ) العهدية

أل (العَهْدية) تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارج بين المتخاطبين، وعهده يكون:

(١) إما بتقدم ذكره صريحاً كقوله تعالى «كما أرسلنْا إلى فرعونَ رسولاً فعصى فرعونُ الرسول». ويسمى (عهداً صريحياً).

(٢) وإما بتقدم ذكره تلويحاً، كقوله تعالى «وليس الذكَر كالأنثى». فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله «ربّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرا» فإنهم كانوا لا يحرّرون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور،وهو المعني بما ويسمى «كنائياً».

(٣) وإما بحضوره بذاته، نحو «اليومَ أكملتُ لكم دينكم» أو يعرفه السامع له، نحو: هل انعقد المجلس؟ ويسمىّ (عهداً حضورياً).

٢٢ - أَلَا

بفتح الهمزة والتخفيف، ترد في الكلام على خمسة أوجه:

أحدها: أن تكون للتنبيه، فتدلّ على تحقّق ما بعدها. وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، نحو قوله تعالى «أَلَا إنهم همُ السُّفَهاءُ» وقوله تعالى «أَلَا يومَ يأتيهمْ ليس مصروفاً عنهم». ويقول المعربون فيها حرف استفتاح، فيبيّنون مكانها، ويهملون معناها.

وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا. وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق، نحو «أليسَ ذلك بقادرٍ على أن يُحْيي الموْتىَ».

قال الزمخشري: ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلاّ مصدَّرةً بنحو ما يتلقى به القسم، نحو «أَلَا إنّ أولياءَ الله

لا خوف عليهم ولا هُمْ يحزنون» واختها (أمَا) من مقدمات اليمين وطلائعه كقوله:

أَمَا والذّي لا يعلمُ الغيبَ غيـرُه ويُحْيي العـظامَ البيضَ وهيَ رميـمُ

وقوله:

أمَا والذّي أبكَى وأضْحكَ والذي أمَـاتَ وأحْيا والـذي أمرهُ الأمـرُ

والثاني: التوبيخ والإنكا، كقول الشاعر:

أَلاَ طِعَـانَ أَلاَ فُـرسـانَ عَـاديـةً إلاَّ تجشُّؤكُمْ حـولَ التّنـانيـرِ!

وقوله:

أَلاَ ارعَـواءَ لمنْ ولّت شَبيبتُـهُ وآذنـتْ بمشيـبٍ بعـدَه هـرَمُ

والثالث: التّمني، كقول الشاعر:

أَلاَ عُمْـرَ ولّى مستطاعٌ رجوعُـهُ فيـرأَبَ ما أَثْـأتْ يدُ الغَفَـلاتِ؟

ولهذا نصب «يرْأب» لأنه جواب تمنٍّ مقرون بالفاء.

والرابع: الاستفهام عن النفي، كقول الشاعر:

أَلاَ اصطبارَ لِسَلْمَى أَمْ لها جَلَدُ إذا أُلاقي الـذّي لاقـاهُ أمْثـالي

وهذه الأقسام الثلاثة مختصّة بدخول (ألاَ) على الجملة الاسميـة، وتعمل عمل (لا التبرئة). ولكن تختصُّ التي للتمنيّ بأنها لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً لأنها بمعنى «أتمنىّ»، و«أتمنىّ» لا خبر له.

والخامس: العـرْض والتحْضيض: ومعنـاهمـا طلب الشيْء. لكن (العرض) طلب بلينٍ، و(التحْضيض) طلب بحثّ...

وتختصّ (أَلاَ) هذه بالجملة الفعلية، نحو قوله تعالى «أَلاَ تُحِبُّون أنْ يغفرَ الله لكمْ» وقوله تعالى «ألاَ تقاتلونَ قوماً نكثوا أيمانَهم».

٢٣ - ألاّ

من حروف التنديم، إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت جعل المخاطب نادماً على ترك الفعل، نحو: ألَا أكرمت الضيف، على معنى: ليتك أكرمته، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام.

وهي من حروف التحضيض، إذا دخلت على الفعل المضارع أفادت حضّ المخاطب وحثّه على الفعل نحو: ألَا تغيث المنكوبين، على معنى ليتك تغيثهم، قصداً إلى حثّه على الإفادة.

قال السكاكي: كأنّ (ألاّ) مأخوذة من «هل» التي للتمني مركبة مع «لا» المزيدة، فلا ركبت مع هل فصارت (هلاّ) ثم أبدلت الهاء همزة فصالات (ألاّ).

وانظر (هل) و(هلاّ) في باب الهاء.

٢٤ - إلاَّ

أداة استثناء. وانظر (القصر) وسيأتي في حرف القاف. وانظر أيضاً (النفي والاستثناء) في باب النون.

٢٥ - ائتلافُ الطّباق والتكافُؤ

من أقسام الطباق عند بعض البلاغيين. وذلك أن يجيء أحد الضدّين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً، كقوله تعالى: «وترى الأرضَ هامدةً فإذا أنزلْنَا عليها الماءَ اهتزَّت ورَبَتْ وأَنْبَتَتْ من كل زوجٍ بهيج».

فهُمودُ الأرض واهتزازها ضدّان، لأن الهمود سكون خاص، والاهتزاز هنا حركة خاصة، وهما مجازان. والرّبو والإنبات ضدان، وهما حقيقتان. وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي

لا تنبت في تلك الحالة. فإذا انقطعت مادة السماء، وجفت رطوبة الماء خمد الرّبو، وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء، وتشقّقت وأنبتتْ.

فصدرُ الآية تكافُؤ ومـا قبـل في عَجُزها طباق. وفيها مع التكافؤ والطباق إرداف، وهو ضربٌ من البديع، وسيأتي ذكـرُه في باب الرّاء. وبيانه للعدول عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين إلى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز لما في الإرداف من الملاءمة للمعنى المراد، ليأتي لفظهـا معنوياً بالائتلاف، لأن الهمود يراد به الصوت، والأرض في حال عطلتها من السّقي والنبات موات، فكأن العدول إلى لفظ الهمود المعبّر به عن الموت أولى من لفظ السكون والاهتزاز المجازي، مُشعِر بالعطاء، كاهتزاز الممدوح للمدح، فلذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاص بما يُشعر بأن الأرض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها، فتنزل السقي لها منزلة ما يسرّها، فاهتزت بالعطاء.

وانظر (الطباق) في باب الطاء.
وانظر (التكافؤ) في باب الكاف.

٢٦ - ائتلاف القافية

مع ما يدل عليه سائر البيت. من مستخرجات قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر). وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلّق نظم له، وملاءمة لما مَرّ فيه.

وانظر (التوشيح) في باب الواو.
وانظر (الإيغال) في باب الواو أيضاً.

٢٧ - ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معانٍ، فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف، كقول البحتري في الإبل النحيلة:

كالقسيِّ المعطَّفات بل الأسـ ـهم مبريَّةً بل الأوتار

فإن تشبيه الإبل بالقسي كناية عن هزالها، فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدّال جاز، لكن المناسبة والائتلاف بين الأسهم والأوتار والقسيّ حسّنت التشبيه.

٢٨ - ائتلاف اللفظ مع المعنى

هذا النوع ذكره قدامة ولم يبين معناه، وشرحه الآمدي وأطال، ولم توف عبارته بإيضاحه، وأوضحه ابن أبي الإصبع، فقال: هو أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى، إن كان اللفظ جزلاً كان المعنى فخمًا، أو رشيقاً رقيقاً كان المعنى غريباً، كقول زهير بن أبي سلمى:

أثافيَّ سُعفاً في مُعرَّس مِرْجل ونؤياً كجِذم الحوض لم يتثلّم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

فإن زهيرا قصد تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب، فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال. ولما جنح في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة.

٢٩ - ائتلاف اللفظ مع الوزن

وهو من مستخرجات قدامة أيضاً. وقد عرفه بأن تكون الأسماء

والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت، لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منهما، وهي الأقوال، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتمس المعنى بها، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليه، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعتي المنطق والنحو في هذا الكتاب، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس. ولكن فيما أجملته في هذا القول وأشرت إليه من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى وأغنى عند ذوي القرائح السليمة، ومَن قد تعلق ببعض الآداب السهلة.

ومن هذا الباب أيضاً ألا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه، حتى أنه إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه، أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به حتى أن فقده قد أثر في الشعر تأثيراً بانَ موقعه.

قال قدامة: ولم آت في هذا الباب بأمثلة لأن كل شعر سليم مما ذكرت فهو مثال لذلك. فأما الأشعار التي لم تسلم منه فأنا أذكرها في باب عيوب الشعر.

وانظر «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر.

وانظر (الحشو) في باب الحاء.

وانظر التثليم) في باب الثاء.

وانظر (التذنيب) في باب الذال.

وانظر (التغيير) في باب الغين.

وانظر (التفصيل) في باب الفاء.

٣٠ - ائتلاف المعنى والوزن

وهو من مستخرجات قدامة. قال: وهو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته. قال: والسبب في تركنا أن نأتي في هذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سنذكره من عيوب الشعر.

انظر (المبتور) في باب الباء.
وانظر (المقلوب) في باب القاف.
وانظر (التضمين) في باب الضاد.

٣١ - الائتلاف مع الاختلاف

ذكر بهاء الدين السبكي في «عروس الأفراح» أن الائتلاف مع الاختلاف ضربان:

الأول منها: أن تكون المؤتلفة بمعزل عن المختلفة، كما في قول الشاعر:

أَبَى القلبُ أن يأتي السّديرَ وأهلَهُ وإن قيل عيشٌ بالسّدير غزيرُ
به البَقُّ والحمى وأسْدٌ تحفُّه وعمرو بنُ هندٍ يعتدي ويجورُ

والضرب الآخر: ما كانا فيه متداخلين، كقول الشاعر:

وصالُكُم هَجرٌ، وحبُّكم قِلًى وعطفكمُ صَدٌّ، وسَلْمُكم حربُ

٣٢ - الآلية

من علاقات (المجاز المرسل) وذلك إذا ذكر اسم الآلة، وأريد الأثر

الذي ينتج عنها، نحو: «إني أتتني لسان ما أُسَرُّ بها» أراد باللسان الخبر، واللسان أداته.

وكقوله تعالى «واجعلْ لي لسانَ صدْقٍ في الآخرين» أي ذكراً حسناً، واللسان أداة هذا الذكر. ونحو «فأتوا به على أعين الناس» أي: على مرأى منهم. والأعين آلة الرؤية.

٣٣ - أمْ (المتصلة والمنقطعة)

تقع (أم) المتصلة بعد همزة التسوية كما تقع بعد همزة يطلب بها وبأم التعيين.

ففي الحالة الأولى لا تقع غالباً إلا بين جملتين مؤولتين بمفردين سواء أكانت الجملتان المتعاطفتان في هذه الحالة اسميتين أم فعليتين أم مختلفتين مثل «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم».

وفي الحالة الثانية: أي حالة وقوعها بعد همزة يطلب بها وبأم التعيين، يغلب في أم أن تقع بين مفردين كقولك: أزيد عندك أم عمرو؟ أي أيهما عندك؟ وكقوله تعالى: «وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون».

أما (أَمْ) المنقطعة فإنها تكون بمعنى(بل) كقولك: أقمت أم طلعت الشمس؟ ولا تدخل أم المنقطعة على مفرد، فلا بد من وقوع الجملة بعدها.

ولا تأتي (أم) المتصلة بعد هل، وإنما تجيء بعد الهمزة سواء أكانت للتسوية أم للتعيين. فإذا جاءت أم بعد «هل» التي هي لطلب التصديق فحسب نحو «هل قام زيد»؟ وهل عمرو قاعد؟ فانها تكون حينئذ منقطعة كما في قول الشاعر:

ألا ليت شعري هل تغيرت الرحى رحى الحرب أم أضحت بفلْجٍ كما هيا

٣٤ - أمْ (الاستفهامية)

تأتي (أَمْ) بمعنى همزة الاستفهام، كما في قوله تعالى: «أَمْ حَسبْتَ أنّ أصحاب الكهف والرَّقيم كانوا من آياتنا عجباً». و«حسِبْتَ» بمعنى «علِمْتَ».

ويكون الاستفهام في «حَسِبْتَ» بمعنى الأمر، كما تقول لمن تخاطبه: «أعلمْتَ أن زيداً خرج؟» بمعنى الأمر، أي: اعلمْ أن زيداً خرج.

قالوا: فعلى هذا التدريج يكون تأويل الآية: اعلمْ يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً... (الصاحبي ١٦٩).

٣٥ ـ أمَا

بالفتح والتخفيف، ترد على ثلاثة وجوه:

الأول: أن تكون حرف استفتاح، وتكثر قبل القسم، كقول الشاعر:

أمَا والذي أبكَى وأضحكَ والذي   أماتَ وأحْيا والذي أمرُه الأمرُ

والثاني: أن تكون بمعنى حقا نحو: أمَا إنك لَصَادِق، أي حقًّا إنك صادق.

والثالث: أن تكون عرضاً بمنزلة (ألَا)، فتختص بالفعل، نحو: أما تقوم؟ وأما تقعد؟. وقد تحذف منها الهمزة، كما في قول الشاعر:

ما ترَى الدهرَ قَدْ أبادَ مَعَداً   وأبادَ السّراةَ منْ عَدْنانِ

وانظر (ألا) وقد سبقت في هذا الباب.

٣٦ - أمّا

بالفتح والتشديد، حرف شرط وتفصيل يفيد التوكيد، ذكر ذلك الزمخشري وقال: فائدة (أمّا) في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول «زيد ذاهب»

فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة، قلت «أمَّا زيدٌ فذاهبٌ».

وهي من مؤكدات الحكم في الضربين الطلبي والإنكاري من الخبر.

وانظر (مؤكدات الحكم) في هذا الباب.

٣٧ - إمّا

بالكسر والتشديد، ولها خمسة معانٍ:

(١) الشكّ: نحو: جاءني إما زيدٌ وإما عمرو، إذا لم تعلم الجائي منهما.

(٢) الإبهام: نحو قوله تعالى «وآخرون مُرْجَوْن لأمر الله إمّا يعذّبهم وإما يتوبُ عليهم».

(٣) التخيير: نحو قوله تعالى «إما أن تعذّب وإما أن تتخذ فيهم حسناً» وقوله تعالى «إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى».

(٤) الإباحة: نحو: تعلم إما فقهاً وإما نحواً.

(٥) التفصيل: نحو: «إما شاكراً وإما كفوراً».

وهذه المعاني لـ (أو) وستأتي في هذا الباب.

٣٨ - الأمر

الأمر عند العرب: ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً، ويكون بلفظ «اِفْعَل» و«ليفعل» نحو: «أقيموا الصلاة» ونحو «ولْيحكُم أهلُ الإنجيل» - ابن فارس في (الصاحبي). قال: فإن قال قائل: فما حال الأمر

قال: فإن قال قائل: فما حال الأمر في وجوبه وغير وجوبه؟ قيل له:

أما العرب فليس يحفظ عنهم في ذلك شيء، غير أن العادة جارية بأن من أمر خادمه بسقيه ماء فلم يفعل قيل إن خادمه عاص، وأن الأمر معصيٌّ، وكذلك إذا نهى خادمه عن الكلام فتكلم، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي.

وعند البلاغيين أن الأمر هو طلب الفعل، غير الكف، على جهة الاستعلاء، مع الإلزام.

والمراد بالاستعلاء هنا عد الأمر نفسه عالياً، سواء أكان عالياً في نفسه أم لا.

وللأمر أربع صيغ:

١ - فعل الأمر: نحو: اتبع أمري.

٢ - المضارع المقترن بلام الأمر: نحو لتفِ بوعدك.

٣ - اسم فعل الأمر: نحو عليك بالصدق.

٤ - المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو صبراً على الشدائد.

والأظهر أن صيغة الأمر بأنواعها موضوعة لطلب الفعل استعلاء كما قدمنا، لتبادر الفهم عند سماعها إلى ذلك المعنى. وقد تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخر تفهم من سياق الكلام، وذلك:

كالدعاء، في باب الدال.
والالتماس، في باب اللام.
والتمني، في باب الميم.
والإباحة، في باب الباء.
والتسوية، في باب السين.
والتهديد، في باب الهاء.
والتعجيز، في باب العين.
والتسخير، في باب السين.
والإهانة، في باب الهاء.

وقد يكون الكلام أمراً والمعنى خبر كقوله جل ثناؤه: «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً» المعنى أنهم سيضحكون قليلاً، ويبكون كثيراً.

والأمر من(الانشاء الطلبي عند البلاغيين).

٣٩ - إنْ

أداة شرط، والأصل أن تستعمل عند عدم الجزم بوقوع الشرط في المستقبل؛ ولذلك لا تقع في كلام الله إلا حكاية، كما في قوله تعالى عن يوسف عليه السلام «وإن لا تصرف عني كيدهن أَصْبُ إليهن». أو على ضرب من التأويل، كالنظر إلى حال المخاطب الذي لا يجزم بوقوع الشرط.

ولأن الأصل مع (إنْ) عدم الجزم بالوقوع، ومع (إذا) الجزم به، كان الحكم النادر الذي لا يقطع بوجوده غالباً موقعاً لكلمة (إنْ) وغلب أن يؤتى مع (إذا) بلفظ الماضي، وإن كان مراداً به الاستقبال، لدلالته على الوقوع قطعاً نظراً إلى نفس اللفظ. ومن ذلك قوله تعالى في قوم موسى عليه السلام «فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبْهم سيئة يَطَّيَّرُوا بموسى ومن معه» فاستعملت (إذا) في المقطوع بحصوله، و(إنْ) فيما يقلُّ في نفسه أو في وقوعه. ولهذا عُرفت (الحسنة) بأل، الدالة على الحقيقة في فردٍ معين من أفرادها. وهذا ما لا بد من تحققه لكثرة نعم الله واتساعها. ونكرت (السيئة) لندرة وقوعها بجانب النعم.

وقد تستعمل (إنْ) في حالة الجزم بوقوع الشرط، على خلاف الأصل، لأغراض بلاغية، منها:

(١) **التجاهل**: وذلك حين يكون المتكلم عالماً بوقوع الشرط، ولكنه لا يريد أن يظهر علمه للمخاطب، فيتجاهل حتى لا يؤاخذ بكلامه، كقول الخادم لمن يسأله عن سيده: إن كان هناك أُخبرك به! ويرجع في الأمر إلى سيده ليعرف رأيه.

(٢) **مجاراة المخاطب في اعتقاده**: كقولك لمن يكذّبك: إن صدقتُ فماذا تفعل في أمري؟ مع علمك بأنك صادق.

(٣) **التوبيخ**: كقولك لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذِه، فهو يعلم أنه أبوه. ولكنه نزّل منزلة الجاهل، لمخالفته لمقتضى العلم.

(٤) **تصوير الشرط في صورة ما لا ينبغي أن يقع إلا على سبيل الفرض والتقدير**، لوجود ما ينهي عن وقوعه، كقولك لصديق لم يحافظ على صحبتك: أأهجرك إن هجرْتني؟. فقد وقع الهجر منه، ولكنك تريد لومه عليه، وتشير إلى أنه مما لا ينبغي أن يصدر عنه، لوجود ما ينهي عن وقوعه، من وصلك له، وحفظك لحقوق الصحبة.

ومن هذا قوله تعالى «أفنضربُ عنكم الذكْرَ صفحاً إنْ كنتم قوماً مُسْرفين» على قراءة (إنْ) بكسر الهمزة، إذ الإسراف مقطوع به، وجيء بلفظ (إنْ) للتوبيخ، وتصوير ما وقع في صورة ما يجب ألّا يكون إلا على سبيل الفرض والتقدير.

(٥) **تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به**: كما في قولك لطالبين تعلم أن نجاح أحدهما محقق، وأن نجاح الآخر غير محقق: إن نجحتما أعطيت كل ناجح جائزة.

وقوله تعالى: «وإن كنتم في ريب مما نزَّلْنا على عبدنا فأتْوا بسورة من مثله» يحتمل أن يكون للتوبيخ على أن الخطاب للمرتابين، وأن يكون للتصوير، وأن يكون لتغليب غير المرتابين، إذ كان في المخاطبين من يعرف الحق ولكنه ينكره عناداً. فجعل الجميع كأنه لا ارتياب عندهم.

والذي سوّغ استعمال (إنْ) أنها تقلب كان إلى الاستقبال كغيرها من الأفعال الماضية، كما هو مذهب الجمهور. أو أن الشرط لما صار قطعيّ الانتفاء بهذا التغليب استعملت (إنْ) على تنزيل الريب المقطوع بعدمه منزلة

المشكوك فيه للتبكيت والإلزام، كما في قوله تعالى: «قلْ إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أولُ العابدين».

والجملة الشرطية مع كل من (إنْ)[1] و(إذا) تكون فعلية استقبالية. إذ هما لتعليق حصول مضمون الجزاء على حصول مضمون الشرط في المستقبل.

وقد يعدل عن لفظ الفعل المستقبل إلى الماضي، لِنُكَتٍ بلاغية، من أهمها:

(١) إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل، لقوة الأسباب الداعية إلى حصوله، نحو: إن سافرنا فعلنا كذا.. تقول ذلك عند تهيؤ أسباب السفر، فكأنه وقع فعلا.

(٢) التفاؤل، أو الرغبة في وقوع الشرط، نحو: إن نجحتَ سافرتَ إلى أوربة. ونحو قوله تعالى: «ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إنْ أردْنَ تحصُّنا» لم يقل «إنْ يردْنَ» لإظهار كون التحصّن مرغوباً فيه في نفس الأمر منهنّ، أو مرضيّا عنه من الله تعالى.

(٣) التعريض: وهو أن ينسب الفعل إلى واحد والمراد غيره ممن حصل منه الشرط فعلا، نحو قوله تعالى: «لَئِنْ أشركتَ ليحبطنّ عملُك» فالخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والغرض التعريض بأن من صدر عنهم الإشراك من الكفار قد حبطت أعمالهم واستحقوا العقوبة.

ونظير هذا في التعريض. وإن لم يكن من هذا الباب - قوله تعالى «وما لي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجَعون»؟ وكأن هذا تجوّز بالتعبير عن

(١) قد تقع إن لمجرد الربط دون الشرط بعد واو الحال، نحو: زيد وإن كثر ماله بخيل.

النفس، والمراد يخاطبون، على معنى: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؟ بدليل قوله تعالى «وإليه ترجعون».

ووجه الحسن في استعمال التعريض بدلا من التصريح، أن المتكلم يستطيع أن يُرِيَ أعداءه الحق في صورة لا تزيد في غضبهم، فيكون ذلك أدعى إلى قبول نصحه، واتباع أمره.

وانظر (إذا) وقد سبقت في هذا الباب.

وانظر (الشرط) وسيأتي في باب الشين.

٤٠ - الإستئناف

من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين:

انظر (شبه كمال الاتصال)، وسيأتي في باب الشين.

ويكون بين الجملتين إذا كانت الجملة الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الجملة الأولى.

والاستئناف ثلاثة أضرب، لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى:

(١) إما أن يكون عن سبب مطلق للحكم الكائن فيها. وذلك إذا كان السامع يجهل السبب من أصله. نحو قوله:

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عَليلُ سهرٌ دائمٌ، وحزنٌ طويلُ

فقوله «عليل» خبر مبتدأ محذوف، أي: أنا عليلُ. وهذه الجملة اقتضت سؤالاً، أي: ما بالك عليلاً؟ فكان الجواب: سهر دائمٌ، وهو خبر لمبتدأ محذوف أيضاً، أي: سبب علتي سهرٌ دائمٌ.

وإنما كان السؤال هنا عن السبب المطلق، لا عن السبب الخاص، بقرينة العرف والعادة، لأنه إذا قيل: فلان مريض، فإن العادة تقتضي بأن

يُسأل عن مطلق السبب، بأن يقال: ما سبب مرضه؟ ولم تجر العادة بأن يقال: هل الحمّى سبب مرضه أو البرودة؟ على وجه التردّد في ثبوت سبب خاص.

وإذا كانت العادة تمنع أن يُسأل عن سبب خاص يتردّد فيه فأحْرِ بها أن تمنع من أن يقال: هل سبب مرضه السهر أو الحزن؟ لأنه لا يتوهَّم سببية السهر والحزن للمرض، حتى يسأل عنهما، لأنهما من أبعد الأسباب المحدثة للمرض!

(٢) وإمّا أن يكون عن سبب خاص لهذا الحكم، نحو قوله تعالى: «وما أبرّي نفسي، إن النفس لأمّارةٌ بالسّوء».

فالحكم في الجملة الأولى بنفي تبرئة النفس من الزلل يتبادر منه أن ذلك لانطباعها من أصلها على أنها تطلب ما لا ينبغي وتأمر به، فكأن المقام مقام تردد في ثبوت أمرها بالسوّء بعد تصوّره، وكأنه قيل: لَم لا تبرىّء نفسك؟ هل لأن النفس أمّارة بالسوء؟ أي: منطبعة عليه. فكان الجواب: إن النفس لأمّارة بالسوّء!

فالسؤال هنا عن السبب الخاص، بقرينة التأكيد بإنَّ واللام، فالتأكيد دليل على أن السّائل سأل عن سبب خاص مع التردّد فيه، إذ أن السؤال عن مطلق السبب لا يؤكّد جوابه.

وهذا النوع من السؤال، أي السؤال عن السبب الخاص، يستحسن فيه تأكيد الجواب، لأنّ المخاطب قد ينزّل منزلة المتردّد الطالب، إذا قدم إليه ما يلوّح بالخبر، فيستشرف استشراف المتردّد، فيستحسن حينئذْ تقوية الحكم بالتأكيد. وفي هذه الآية «وما أبرّىء نفسي» ما يلوّح بالخبر.

(٣) وإما أن يكون عن غيرهما، بأن يكون عن شيء آخر يقتضي المقام السؤال عنه، نحو قوله تعالى: «قالوا سلاماً، قال سلام» أي: قال

الملائكة المرسلون «سلاماً» أي: نسلّم عليك يا إبراهيم سلاماً، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف. فكأنه قيل: فماذا كان جواب إبراهيم في جواب سلامهم؟ فكان الجواب: «قال: سلامٌ» أي: سلام عليكم! فهو مبتدأ حذف خبره، واستفيد منه أنه حيّاهم بتحية أحسن، لأن تحيته كانت بالجملة الاسمية الدالّة على الدوام والثبوت، بخلاف تحيتهم، فإنها بالجملة الفعلية.

ونحو قول الشاعر:

زعَم العواذلُ أنني في غمرةٍ صدَقُوا، ولكن غَمرتي لا تَنْجلي

فكأنه قيل: أصدقوا أم كذبوا؟ فقال: صَدقوا!

وإذا كان السؤال عن السبب، فالجواب يشتمل على بيانه لا محالة، وإلّا فلا وجه لاشتماله عليه، كما في مثال الضرب الثالث.

هذا، وللاستئناف تقسيم آخر:

(١) فمنه ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف الحديث عنه، نحو: أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان، بإعادة اسم «زيد».

(٢) ومنه ما يبني على صفته دون اسمه. والمراد صفة تصلح لترتيب الحديث عليها، نحو: أحسنت إلى زيد، صديقك القديم أهل لذلك.

والسؤال المقدّر في النوعين: لماذا أحسن إليه؟ أو: هل هو حقيق بالإحسان؟

والنوع الثاني أبلغُ، لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم الذي تضمّنه الجواب، كالصداقة القديمة في المثال المذكور.

وقد يحذف صدر الاستفهام فعلاً كان أو اسمًا:

فالأول: نحو قوله تعالى «يسبِّح» له فيها بالغدُوِّ والآصال، رجالٌ» على

قراءةٌ يسبّح» مبنيا للمجهول، كأنه قيل: من يسبِّحه؟ فقيل: رجالٌ، أي: يسبِّحه رجال.

والثاني: كقول الشاعر «سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ» أي: سبب علتي سهر دائم. ونحو: نعْم الصديقُ، أو نعِمْ صديقاً خالـدٌ - إذا جعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، أي: هو خالد، فتكون الجملة استئنافاً جواباً للسؤال عن تفسير الفاعل المبهم.

وقد يحذف عجز الاستئناف، كالمثال السّابق، إذا جعل المخصوص مبتدأ حذف خبره. أما إذا جعل المخصوص مبتدأ خبره الجملة قبله فلا حذف أصلاً، وليس في الكلام استئناف.

وقد يحذف الاستئناف كله:

(أ) إمّا مع قيام شيء مقامه، نحو قول مساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي يهجو بني أسد:

زعـمتُـمْ أنَّ إخـوتـكـم قـريْشٌ   لـهـمْ إلْـفٌ ولـيس لـكـم إلاَفُ
أولئـك أومنـوا جـوعـاً وخـوفـاً   وقـد جاءتْ بنـو أسَـدٍ وخـافـوا

فكأنه قيل: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبْنا؟ فقيل: كذبتم، فحذف الاستئناف كله، وأقيم قوله «لهمْ إلف وليس لكم إلاف» مقامه، لدلالته عليه.

(ب) وإمّا بدون قيام شيء مقامه، اكتفاء بمجرد القرينـة، نحو: «فنعم الماهدون» أي: نحن، على قول من يجعل المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هم نحن، أو مبتدأ والخبر محذوف.

٤١ - أَنَّ

من مؤكدات الحكم في الضربـين الطلبي والإنكـاري من أضرب

الخبر. وقد سبقت في (مؤكدات الحكم) في هذا الباب. وقد اختلف في جعلها من هذه المؤكدات، لأن المقصود بالتأكيد النسبة، لا تأكيد المسند إليه، ولا تأكيد المسند، وما بعد (أنَّ) في حكم المفرد. ولكن ابن هشام يذكر أنها لتأكيد النسبة، وقال إن الأصح أنها فرع عن (إنَّ) المكسورة الهمزة.

٤٢ - أَنَّ

تكون (أنَّ) بمعنى (لعلّ) في مثل قوله عزّ وجلّ: «وما يُشْعِرُكمْ أنها إذا جاءتْ لا يؤمنون» بمعنى «لعلها إذا جاءتْ».

وحكى الخليل: «ائتِ السُّوق أنّك تشتري لنا شيئا» بمعنى «لعلَّك».

٤٣ - إنَّ

بكسر الهمزة من مؤكدات الحكم في الضربين الطلبي والإنكاري من أضرب الخبر، لا خلاف في ذلك بين البلاغيين.

٤٤ - أَنمّا

بفتح الهمزة من أدوات القصر مثل (إنما) المكسورة الهمزة. ذهب إلى ذلك الزمخشري، وأيّده في ذلك ابن هشام الذي قال في (أَنَّ) إنها فرع عن إن المكسورة، ومن هنا صحّ للزمخشري أن يدّعي أن «أنمّا» بالفتح تفيد الحصر كإنما. وقد اجتمعتا في قوله تعالى: «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحد» فالأولى لقصر الصفة على الموصوف، والثانية بالعكس. وقول أبي حيان: هذا شيء انفرد به، ولا يعرف القول بذلك إلا في (إنما) بالكسر، مردود بما ذكرت، وقوله إن دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يوح إليه غير التوحيد مردود أيضاً بأنه حصر مقيد، إذ الخطاب مع

المشركين، فالمعنى ما أوحي إلّي في أمر الربوبية إلا التوحيد لا الإشراك، ويسمى ذلك «قصر قلب» لقلب اعتقاد المخاطب، وإلا فما الذي يقول هو في نحو «وما محمد إلا رسول» فإن ما للنفي وإلا للحصر قطعا، وليست صفته عليه الصلاة والسلام منحصرة في الرسالة. ولكن لما استعظموا موته جُعلوا كأنهم أثبتوا له البقاء الدائم، فجاء الحصر باعتبار ذلك، ويسمى «قصر إفراد». . . . وانظر (مغني اللبيب ١/٣٨).

٤٥- إنّما

من وسائل القصر، وقد اختلف في ذلك، وفي تضمنها معنى ما وإلّا فأنكره بعضهم، والصحيح إفادتها القصر، واستدلّ على ذلك بثلاثة أوجه:

(١) **قول المفسرين**: معنى «إنما حرّم عليكم الميتة» بالنصب: ما حرِّم عليكم إلا الميتة، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة. .

وتقرير هذا الكلام أن في الآية ثلاث قراءات:

(أ) إنما حرَّمَ عليكم الميتةَ، بنصب الميتة، وبناء الفعل للفاعل.

(ب) إنما حرَّم عليكم الميتةُ، برفع الميتة، وبناء الفعل للفاعل.

(جـ) إنما حُرِّم عليكم الميتةُ، برفع الميتة، وبناء الفعل للمفعول.

فعلى القراءة الأولى:

(ما) في (إنما) كافة، ولا يجوز أن تكون موصولة، إذ لو كانت موصولة لبقيت إنّ بلا خبر، والموصول بلا عائد.

وعلى القراءة الثانية:

(ما) في (إنما) موصولة اسم إنّ، و(الميتة) خبرها، والعائد محذوف. والتقدير: إن الذي حرّمه الله عليكم هو الميتة. وهذا يفيد القصر، أي قصر التحريم على الميتة. وطريق القصر فيه تعريف ركني الإسناد.

فإذا كانت (إنّما) في القراءة الأُولى مفيدة للحصر، أي: ما حرّم

عليكم إلا الميتة، كانت مطابقة للقراءة الثانية المفيدة للحصر بتعريف الجزأين، وإلا لم تطابقها.

وأما على القراءة الثالثة، أي برفع الميتة وحرِّم مبنياً للمفعول، فيحتمل أن تكون (ما) كافة، أي: ما حرِّم عليكم إلا الميتة، وأن تكون موصولة، أي: إن الذي حرِّم عليكم الميتة.

(٢) **قول النحاة**: «إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه»، فإذا قلت في قصر الموصوف: إنما محمود هازل، فقد أثبتّ له الهزل، ونفيت عنه ما سواه من الجدّ. وإذا قلت في قصر الصفة: إنما هازل محمود، فقد أثبتّ الهزل له، ونفيته عن سواه من محمد وخالد وغيرهما.

(٣) **صحة انفصال الضمير معها**، نحو: إنما يؤدّي الواجب أنا. فالقاعدة أن الضمير متى أمكن وصله وجب الوصل. ولا يعدَل إلى الانفصال إلّا حيث يتعذر الاتصال، كتقديم الضمير في نحو «إيّاك نعبد وإياك نستعين»، وكوجود فاصل بينه وبين عامله كما في نحو: ما حضر إلا وأنت. ولا تعذر هنا إلا بأن يكون المعنى: ما يؤدي الواجب إلا أنا، فيقع بين الضمير وعامله فصل. ومن ذلك قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذمارَ وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

فغرض الشاعر أن يخص المدافِع لا المدافَع عنه، ولذا فصل ضميره وأخره. إذ لو قال: وإنما أدافع عن أحسابهم، لصار المقصور عليه من أحسابهم. ولكان المعنى إني أدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم، وهو ليس بمقصود. ولا يجوز أن يقال: إنه محمول على الضرورة، لأنه كان يصح أن يقال: إنما أدافع عن أحسابهم أنا - على أن يكون (أنا) تأكيداً.

فإن قيل إن (ما) موصولة اسم إن، وأنا خبرها، والقصر مستفاد من تعريف الجزأين، فالجواب أنّ المقام مقام افتخار، فلا يناسبه التعبير بما التي

هي لغير العاقل، مع إمكان التعبير بمن واستقامة وزن البيت، وفوق ذلك أنها لو كانت موصولة لكتبت مفصولة عن إن.

وانظر (القصر) وسيأتي في باب القاف.

٤٦ - إنما

من (مؤكدات الحكم) في الضربين الطلبي والإنكاري، وقد سبق في هذا الباب.

٤٧ - أَنَّى

من أدوات الاستفهام، وتستعمل تارة بمعنى كيف — ويجب أن يكون بعدها فعل، بخلاف كيف — نحو «أنَّى يُحيي هذه الله بعد موتها»؟، وتارة بمعنى مِنْ أيْنَ — وهذه لا يجب أن يكون بعدها فعل — نحو «أنّى لكِ هذا»؟ أي: من أين لك هذا الرزق الآتي كل يوم؟ وللاستفهام عن الزمان، نحو: أنّي يفيض نهر النيل؟ على معنى في أي وقت؟.

وقال بعض النحاة: (أنّى) إذا لم تكن بمعنى (كيف) يكون معناها (أين) دائمًا، لكن تكون (مِنْ) قبلها إما مقدّرةً كما في الآية، أو ظاهرة كما في قوله «من أين عشرون لنا من أنّى»؟.

٤٨ - أَوْ

يرد هذا الحرف لمعان كثيرة، منها:

(١) الشكّ: نحو قوله تعالى: «لبِثْنا يوماً أوْ بعضَ يَوْم».

(٢) الإبهام: نحو قوله تعالى: «وإنّا أو إياكمْ لعَلىَ هدىً أو في ضلالٍ مُبين».

(٣) التخيير: إذا وقعت بعد طلب، وذلك فيما يمتنع فيه الجمع، وإذا كان العلماء قد مثلوا بآيتي الفدية والكفارة للتخيير، وقال بعضهم بجواز الجمع، فقد ردّ على ذلك ابن هشام في «المغني» بقوله: لا يجوز الجمع بين الإطعام والكسوة والتحرير على أن الجميع الكفّارة، ولا بين الصيام والصدقة والنُّسُك على أنهنّ الفدية. بل تقع واحدة منهنّ كفّارة أو فدية، والباقي قُرْبة.. انظر (مغني اللبيب) ١/٥٩.

(٤) الإباحة: وهي الواقعة بعد الطلب وقبل ما يجوز فيه الجمع نحو: جالسْ العلماء أو الزهّاد. وإذا أدخلت (لا) الناهية امتنع فعل الجميع، نحو قوله تعالى: «ولا تُطِعْ منهم آثمًا أو كفوراً» إذ المعنى: لا تطع أحدهما.

(٥) الإضراب: مثل (بلْ) كما قال جرير:

ماذا ترى في عيالٍ قد بَرمتُ بهمْ   لم أُحْصِ عِدَّتهمْ إلاّ بعدَّادِ
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانيةً   لولا رجاؤكَ قد قتّلْتُ أولادي

(٦) التقسيم: كما في قول الشاعر:

وقالوا لنا: ثِنْتانِ لابدّ منهما   صدورُ رِماحٍ أشْرِعتْ أو سَلاسلُ

(٧) أن تكون بمعنى (إلّا) في الاستثناء. وهذه ينتصب بعدها المضارع بإضمار (أن) كما في قوله:

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قومٍ   كسرْتُ كعوبَها أو تسْتقيما

وقال ابن فارس: (أو) حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشكّ، تقول: «زيد عندك أو بكر»، تريد «أحدهما عندك»؟.

فالجواب: «لا» أو «نعمْ».

وإذا جعلت مكانها (أمْ) فأنت مثبت أحدهما، غير أنّك شاكّ فيه بعينه، فتقول «أزيد عندك أمْ عمرو»؟.

فالجواب: «زيد» أو «عمرو»... وانظر (الصاحبي) ١٧٠.

٤٩ - آي

حرف لنـداء البعيد.
وانظر ما سبق في نداء القريب والبعيد بالهمزة في هذا الباب.

٥٠ - أيْ

أداة استفهام للقريب، على خلاف بين النحاة، قال ابن هشام في المغني: (أي) حرف لنداء البعيد أو القريب أو المتوسط، على خلاف في ذلك.

٥١ - أيا

أداة لنداء البعيد، وفي الصِّحاح: أنه حرف لنداء القريب والبعيد، وليس كذلك،وقد تبدل همزتها هاء.

٥٢ - أيّانَ

من أدوات الاستفهام، ويُسألُ بهـا عن الزمـان المستقبل خـاصة، وتستعمل في مواضع التفخيم، نحو «يسألُ أيانَ يومُ القيامة».

٥٣ - أيْنَ

من أدوات الاستفهام، ويسأل بها عن المكان.

٥٤ - أيّ

من أدوات الاستفهام، ويسأل بها عما يميِّز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو «أيُّ الفريقين خيرٌ مقاماً» أي: أنحن أم أصحاب محمد؟.
وتكون للترجيح بين أمرين، تقول: «أيًّا ما فعلْتَ فلى كذا» أي: إن فعلت هذا وإن فعلت هذا.
وتكون للتـعجب نحو: «أيُّ رجلٍ زيدٌ»!

باب الباء

٥٥ - الباء

الباء (التجريدية) هي التي تدخل على المنتزع منه، نحو قولهم «لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر» فقد بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها.

انظر (التجريد) وسيأتي في باب الجيم.

٥٦ - المبتور

عند قدامة، من عيوب ائتلاف المعنى والوزن، وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، ويتمه في البيت الثاني، مثال ذلك قول عروة بن الورد:

فلوْ كـاليوم كـان عليّ أمري ومن لـك بـالتـدبـر في الأمـور

فهذا البيت ليس قائمًا بنفسه في المعنى، ولكنه أتى في البيت الثاني بتمامه، فقال:

إذاً لـملكْـتُ عصـمـة أُمِّ وهبٍ على ما كان منْ حَسَكِ الصدورِ

وقال امرؤ القيس:

أبَعْدَ الحارِثِ الملكِ ابن عمـرو وبعـد الخيرِ حُجْـرٍ ذي القِبـابِ

فالمعنى ناقص عن تمامة، فأتمه في البيت الثاني، وقال:

أُرجِّي من صروف الدهر ليناً   ولم تغفُلْ عن الصُّمِّ الصَّلاب

(نقد الشعر ١٤٠)

وانظر (التضمين) وسيأتي في باب الضاد.

٥٧ - الابتدائي

من أضرب الخبر. هو الضرب الأول، ويستغنى فيه عن مؤكدات الحكم، إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر والتردد فيه. وقد استغنى فيه عن المؤكدات لتمكنه في الذهن حيث وجده خالياً. ومن أمثلته ما كتب به معاوية إلى أحد عماله «لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعاً فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة». واعتبار النفي هنا كاعتبار الإثبات. فتقول لخالي الذهن: ما عليٌّ خائناً أو ليس عليٌّ خائناً. من غير تأكيد.

وانظر (أضرب الخبر) في باب الضاد.

وانظر أيضاً (خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر). وسيأتي في باب الخاء.

٥٨ - الإبداع

هو أن يخترع المتكلم معاني غير مسبوق إليها. قال عبدالحميد: خير الكلام ما كان لفظه فحلاً، ومعناه بكراً. وهو ضربان:

أحدهما: ما يبتدع عند الحوادث المتجددة. لما بنى عبدالملك باباً للمسجد الأقصى وبنى الحَجّاج آخر مثله بإزائه، فاحترق باب عبدالملك بالصاعقة دونه، فشق ذلك عليه، فكتب إليه الحجاج: وما مثلي ومثلك

إلا كمثل ابني آدم إذ قرّبا قرباناً فتُقبِّل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر. فسري عنه. ولما عصفت الريح بخيمة سيف الدولة، وكانت خيمة كبيرة، سقطت فتطير من ذلك،فقال المتنبي من جملة قصيدة:

تضيق بشخصك أرجاؤها ويركض في الواحد الجحفل
ولا تنكرنّ لها صرعة... فمن فرح النفس ما يقتل
ولما أمرتَ بتطنيبها أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل

أي أشار بما تفعله من الارتحال.

قال السيد حيدر الحلي في «العقد المفصل»:

ومما اتفق لي في وصف خيمة تنصب على صحن دار سيدنا المهدي الشهير بالقزويني في العشر الأوائل من المحرم لإقامة مأتم الحسين، وكانت الخيمة أول عام سوداء، ثم جعل مكانها في العام الثاني بيضاء،فقلت في ذلك:

اليوم قد صوّت ناعي المهدي يفصح بالنعي ولا يكنّي
ينعي قتيل الطف عند ابنه المهدي مولى الإنس والجن
وقائل ذا السقف ما باله ابيضّ وعهدي فيه كالدجن
قلت رأى المهدي مستشعر الـ ـسواد حزناً باكي الجفن
فصار عيناً كلّه للبكا وها هي ابيضّت من الحزن

وكان الإمام فخرالدين الرازي يجلس للوعظ، إذ أقبلت حمامة وخلفها صقر، فألقت نفسها في حجر الإمام فقال ابن عنين:

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبأ الورقاء أن محلكم حرمٌ وأنك ملجأ للخائف

وثانيهما ما يبتدع من غير شاهد حال، قال المتنبي في كافور:

فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

وقال أيضاً:

صدَمْتهم بخميس أنت غُرَّتُهُ وسمهريته في وجهه غمم

فكان أثبت ما فيه جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم

وقال التهامي:

ألا إن طيّا للمكارم قبلة وحسان منها ركنها ومقامها

تزاحم تيجان الملوك ببابهِ ويكثر في يوم السلام زحامها

إذا عاينتْه من بعيد ترجَّلت وإن هي لم تفعل ترجَّل هامها

وجاء قول بعض المغاربة في الخمر أبدع ما يكون:

ثقلت زجاجات أتتنا فرّغاً حتى إذا ملئتْ بصرف الراح

خفّت فكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسوم تخفُّ بالأرواح

روي أن أبا نواس مرّ على أديب يفيد الناس بشعره، فلما افتتح قوله في الخمر:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

وقف وقال: انظر ما عساه يقول، فقال الأديب أشار الشاعر بقوله (وقل لي هي الخمر) إلى حظ حسن السمع، ليحظى بتمام حسه، فتعجب منه أبو نواس وقال: ما هجس هذا المعنى في خلدي.

٥٩ - الإبداع

هو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام، وما يعطيه معناه، بحيث يأتي في البيت الواحد والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع، ولا تخلو لفظة منه من بديع، فما زاد عليه. وما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون قال ابن أبي الأصبع: وما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر

الموزون كآية من كتاب الله تعالى استرجتُ منها واحدا وعشرين ضرباً من البديع ، وعددها سبع عشرة لفظة، وهي قوله تعالى: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماءُ أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين». وتفصيل ما جاء فيها من البديع (المناسبة التامة) في ابلعي واقلعي، و(المطابقة اللفظية) في ذكر السماء والأرض، و(الاستعارة) في قوله ابلعي وأقعلي، للأرض والسماء، و(المجاز) في قوله: «يا سماء» فإن الحقيقة: ويا مطر السماء أقلع، و(الإشارة) في قوله: «وغيض الماء» فإنه سبحانه وتعالى عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة، لأن الماء، لا يـغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء، و(الإرداف) في قوله: «واستوت على الجودي» فإنه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوساً متمكناً لا زيغ فيه ولا ميل، لطمأنينة أهل السفينة، بلفظ قريب من لفظ الحقيقة، و(التمثيل) في قوله «وقضي الأمر» فإنه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بُعْد ما من لفظ الحقيقة بالنسبة إلى لفظ الإرداف، و(التعليل) لأن غيض الماء علة الاستواء، و(صحة التقسيم) حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض، وغيض الماء الحاصل على ظهر الأرض، و(الاحتراس) في قوله: «وقيل بعداً للقوم الظالمين» محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لا يستحق الهلاك، فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين، ليعلم أنهم مستحقو الهلاك، فإن عدله منع أن يدعو على غير مستحق للدعاء عليه، و(الانفصال) فإن لقائل أن يقول إن لفظة «القوم» مستغنى عنها، فإنه لو قيل: «وقيل بعدا للظالمين» لتم الكلام، والانفصال عند ذلك أن يقال لما سبق في صدر الكلام قبل الآية قوله تعالى: «وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه»، وقال سبحانه قبل ذلك مخاطباً نوحاً عليه السلام: «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون» فاقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظ «القوم» التي آلة

التعريف فيها للعهد، ليتبين أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى «وكلما مر عليه ملأ من قومه»، ووصفهم بالظلم وأخبر بسابق علمه أنهم هالكون بقوله «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون» فحصل الانفصال عن الإشكال، وعلم أن لفظة «القوم» ليست فضلة في الكلام، و(المساواة) لأن لفظ الآية لا يزيد عن معناه ولا ينقص عنه، و(حسن النسق) في عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت أولاً فأولاً، فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودي، ثم عطف على ذلك الدعاء على الهالكين فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب وقوعها في الوجود، و(ائتلاف اللفظ مع المعنى)، لكون كل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها، و(الإيجاز) لأنه سبحانه اقتص القصة بلفظها مستوعبة، بحيث لم يخل منها بشيء في أخصر عبارة، بألفاظ غير مطولة، و(التسهيم) لأن من أول الآية إلى قوله تعالى «أقلعي» يقتضي آخرها، و(التهذيب) لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة، والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه، و(حسن البيان) من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه، و(التمكين) لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة، و(الانسجام) وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة لفظ كما ينسجم الماء القليل من الهواء، وما في مجموع ألفاظ الآية من (الإبداع)، وهو الذي سمي به هذا الباب، إذ في كل لفظة بديع وبديعات، لأنها كما تقدم سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البلاغة، سوى ما يتعدد من ضروبها، فإن الاستعارة وقعت في موضوعين، وهما استعارة الابتلاع والإقلاع. فانظر رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام، وما انطوى عليه نظمه، وما تضمنه لفظه، لتقدره قدره.

(بديع القرآن ٣٤٣)

٦٠ - البديع

قال عبدالله بن المعتز في خطبة كتاب (البديع):

«قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون (البديع) ليعلم أن بشاراً ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم[1] وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم، حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه، ودلّ عليه.

ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به، حتى غلب عليه وتفرّع فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف.

وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع. وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل.

وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في (البديع) بصالح ابن عبدالقدوس في الأمثال، ويقول: لو أن صالحاً نثر أمثاله في شعره، وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه، وغلب علي مد ميدانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى.

والبديع عند ابن المعتز خمسة فنون:

(١) الاستعارة = وتأتي في باب العين.

(٢) التجنيس = ويأتي في باب الجيم.

(٣) المطابقة = وتأتي في باب الطاء.

---

(١) تقيل الولد أباه نزع إليه في الشبه واحتذى حذوه.

(٤) رد أعجاز الكلام على ما تقدمها = ويأتي في باب الراء.
(٥) المذهب الكلامي = ويأتي في باب الذال.

قال ابن المعتز:

«ولعل بعض من قصَّر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمي فناً من فنون (البديع) بغير ما سميناه به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا، أو يفسر شعراً لم نفسره، أو يذكر شعراً قد تركناه، ولم نذكره، إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه، أو لأن فيما ذكرناه كافياً ومغنياً. وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أراده.

وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع. ومن دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها، وبالله التوفيق.

وانظر (محاسن الكلام) - في باب الحاء.

٦١ - البديع = علم البديع

علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال. وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع) ومن البلاغيين من يسمي هذه العلوم الثلاثة (علم البديع) ويعللون هذا الإطلاق بأن البديع هو الشيء الذي يستحسن لطرفته وغرابته، وعدم وجود مثاله من جنسه، وهذه العلوم كذلك. ومنهم من يسمي علمي (البيان والبديع) علم البيان، تغليباً للبيان المتبوع على البيان التابع.

ووجوه تحسين الكلام التي يبحث فيها (علم البديع) قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ، فهو علم المحسنات اللفظية، والمحسنات المعنوية.

٦٢ - بدل البداء

وهو الذي يؤتى به قصداً للترقي من الأدنى إلى الأعلى، نحو: هندٌ بدر شمس. وهذا يقع في فصيح الكلام، وهو غير بدل الغلط الذي يكون عن سبق لسان أونسيان، ولا يقع في كلام الفصحاء.

٦٣ - التبديل

انظر (العكس) وسيأتي في باب العين.

٦٤ - التبديل

انظر (المضادة) وستأتي في باب الضاد.

٦٥ - المبتذل

من المعاني، هو الذي سبق إليه المتقدم ففاز به، ثم تدوول من بعده فكثر واستعمل، فصار كالمعنى المشترك في الجلاء والاستشهاد والاستفاضة على ألسن الأدباء، فحمى نفسه عن الوصف بالسرقة، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ، كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبُرد، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها، والمهاة في حسنها وصفائها.

وتلك المعاني التي اشتهرت وتدوولت واستفاضت لا يحكم عليها بالسرقة، وإن كان الأصل فيها لمن انفرد بها، وأولها للذي سبق إليها.

٦٦ - البراءة

ومحلها الهجاء. وهي كما قال أبو عمرو بن العلاء، وقد سئل عن أحسن الهجاء، فقال: هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها.

ذكر ذلك بهاء الدين السبكي في «عروس الأفراح» مما استدرك به ما أغفله القزويني في «تلخيص المفتاح» من فنون البلاغة.

وانظر (شروح التلخيص): صفحة ٤٧٠ من الجزء الرابع.

٦٧ - البراعة

أطلق هذا الاسم على (البلاغة) في بعض مراحل حياتها، ثم هجر.

٦٨ - براعة المطلب

هي أن يلوِّح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح، خالية من الإلحاف والتصريح، بل يشعر بما في النفس دون كشفه، كقول أبي الطيب المتنبي:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

وكقول أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياءُ
إذا أثنى عليك الردُّ يوماً كفاه من تعرضه الشفاءُ

والفرق بين براعة المطلب وبين (الإدماج) أن الإدماج أن يقدر معنى من المعاني، ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم أنه لم يقصده، وهذا مقصور على الطلب فقط، وهو أيضاً فرق بينه وبين الكناية.

٦٩ - براعة المقطع

مقطع الكلام هو الموضع الذي ينهي فيه المتكلم كلامه ويقطعه. وينبغي أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذباً حسناً، لأنه آخر ما يفهمه السامع ويحفظه من القصيدة

أو الخطبة أو الرسالة، ويرتسم في نفسه، فإن كان ذلك مختاراً حسناً تلقاه بغاية القبول، واستلذه استلذاذاً يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير.

وجبر الواقع من التقصير يعود إلى مجموع الكلام بالقبول والمدح، وإلا كان الأمر على العكس ومَجَّه السامع، وأعرض عنه وذمه. وذلك مما قد يعود على مجموع الكلام بالذم، لأنه ربما أنسى محاسنه السابقة قبل الانتهاء، فيعمه الذم.

وذلك كالأمر في المذوقات، فان آخر الطعم إذا كان لذيذاً أنسى مرارته الأولى، وإن كان مرّاً أنسى حلاوته الأولى.

ومن المجيدين في (براعة المقطع) أبو نواس، ومن إجادته فيها قوله في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب:

وإني جديرٌ إذ بلغتك بالمنى ... وأنتَ بما أَمّلْتُ منكَ جديرُ
فإنْ تُولِني منك الجميل فأهلُه ... وإلّا فإنّي عاذرٌ وشَكورُ

ومن أحسن ذلك قوله أيضاً للمأمون:

فبقيت للعلمِ الذي تَهْدِي لهُ ... وتقاعسَتْ عن يومكَ الأيامُ

وكذلك قول أبي تمام في خاتمة قصيدته التي مدح فيها المعتصم، وهنأه فيها بفتح عمورية:

إنْ كان بينَ صروفِ الدهرِ من رحمٍ ... موصولةٍ أو ذمامٍ غيرِ مقتضَبِ
فبينَ أيامكَ اللاتي نُصرت بها ... وبين أيام بدْرٍ أقربُ النسبِ
أبقتْ بني الأصفر الممراض كاسمهمِ ... صُفْرَ الوجوهِ وجلّتْ أوجُه العَرَبِ

وأحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام، أي ما أعلم بأن الكلام الذي جعل ذلك آخره قد انتهى، والإشارة إلى الانتهاء بأن يشتمل ما جعل آخراً على ما يدل على الختم، كلفظ الختم، ولفظ الانتهاء، ولفظ الكمال،

وشبه ذلك. وإما بأن يكون مدلوله مفيداً عرفاً أنه لا يؤتى بشيء بعده، فلا يبقى للنفس تشوف لغيره وراء ذلك، كقول أبي العلاء المعري:

بَقيتَ بقاءَ الدهر يا كهفَ أهلهِ   وهـذا دعـاءٌ للبـريـة شـامـلُ

فقد آذن هذا الدعاء بانتهاء الكلام، لأنه قد تعورف الإتيان بالدعاء في آخر الكلام، فإذا سمع السامع ذلك لم يتشوف لشيء وراءه. ومثل ذلك قول أبي الطيب المتنبي:

وأُعْـطيتَ الـذي لم يُعطَ خلْقٌ   عليـكَ صـلاةُ ربِّـك والسـلامُ

وكذلك قوله:

قد شرّفَ اللهُ أرضاً أنت ساكنُها   وشـرّف الناسَ إذْ سـوّاك إنسانا

فإن هذا يقتضي تقرر كل ما مدح ممدوحه به، فعلم أنه قد انتهى كلامه، ولم يبق للنفس تشوف لشيء وراءه. وكذلك قوله:

فـلا حطّتْ لـكَ الهيجاءُ سـرْجاً   ولا ذاقتْ لـك الـدنيـا فـراقـا

وغاية الغايات في ذلك مقاطع الكتاب العزيز في خواتم السورالكريمة، وكذلك فواتحها فإنها جميعاً واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها.

وهذا النوع من أنواع البلاغة (براعة المقطع) ذكر ابن أبي الأصبع أنه من مستخرجاته، في حين أنه موجود في كتب غيره بغير الاسم الذي اختاره هو.

والاسم الذي اختاره ابن أبي الأصبع لهذا الفن هو (الخاتمة).

واختار له شرف الدين التيفاشي اسم (حسن المقطع).

واختار له سائر البلاغيين (الختام) و(حسن الختام).

ومنهم من يسميه (الانتهاء) أو (حسن الانتهاء).

وهذه الألقاب متقاربة في دلالاتها اللغوية تقارباً كثيراً يدنيها من المترادفات.

وانظر (الختام) وسيأتي في باب الخاء.

وانظر (الخاتمة) وستأتي أيضاً في باب الخاء.

وانظر (حسن الختام) وسيأتي في باب الخاء.

وانظر (حسن الابتداء) وسيأتي في باب الحاء.

وانظر (براعة الاستهلال) وستأتي في هذا الباب.

وانظر (حسن التخلص) وسيأتي في باب الحاء.

٧٠ـ براعة الاستهلال

فرَّع المتأخرون من حسن الابتداء (براعة الاستهلال) في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء، فإنهم شرطوا في «براعة الاستهلال» أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه، مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة، أو مدح أو هجو، وكذلك في النثر، فإذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان، وإن لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك ما يقوله في حسن الابتداء.

وما سمي هذا النوع (براعة الاستهلال) إلا لأن المتكلم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته، ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال، يقال استهل المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولادة، وأهلّ الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمي الهلال هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته. ومما وقع من براعة الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

فإشاراته من العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة، ويفهم منها أن بقية القصيدة تعرب عن ذلك... (خزانة الأدب ٨).

وكقول الشاعر يهنىء بمولود:

بُشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وكقول آخر في الرثاء:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركُمُ مني ابتسامٌ فقولي مضحك والفعل مُبْكِ

وانظر (حسن الابتداء) - وسيأتي في باب الحاء.

٧١ - البسط

قال ابن أبي الاصبع: وهو ضد الإيجاز وغير الإطناب، وهو أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل، فيدل عليه باللفظ الكثير، لا لقصد إفهام البليد وإسماع البعيد، والتقرير والتوكيد، بل للإتيان بمعان من معاني البديع. ومعاني النفس لا يتأتى مجيئها في اللفظ الوجيز، ومن ذلك قوله تعالى: «قل أئنكم لتَكفرون بالذي خلقَ الأرضَ في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسيَ من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى من كل سماء أمرها».

فانظر - هداك الله - إلى هذا البسط بالنسبة إلى قوله تعالى في هذا المعنى في غير موضع من القرآن: إنه خلق السموات السبع والأرضين وما بينهما في ستة أيام، لتعلم أنه سبحانه بسط الكلام ها هنا ليفيد البسط

معاني شتى من إيضاح إشكال ، وتفصيل إجمال، وإخراج الكلام مخرج التقريع لمن جعل لله سبحانه أنداداً من مخلوقاته.

فإن قلت: التقريع يحصل مع الإيجاز بقوله: «الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام» فما فائدة البسط؟ قلت: فائدته فائدة جليلة، فإن الإستدلال بما قرب من نظر الخصم أوضح من الاستدلال بما بَعُد، فإن تقدير أقوات الحيوان البري والبحري، وتخصيص كل صنف بقوت مألوف يميل إليه بطبعه الذي خلق له وطبع عليه كاللحوم للسباع والحبوب للبهائم والأوساخ للهمج، والتراب للحشرات، والبقول والخضروات لغير هذه الأصناف. وجعل بعض الحيوان يجمع في الأكل بين ذلك كله، أعني اللحوم والحَب والنبات على اختلاف أصنافه كالإنسان وبعض الحيوان وتركه تلك الأقوات الموجبة لكفاية جميع الحيوانات بما تخرجه الأرض من الأقوات أقرب لفهم المخاطب، وأرفع لاحتمال ما يقع لبعض الضعفاء من توهم أن هذه الامور من صنع السموات والأرض، لا من صنع صانعهما المختار كما يعتقد بعض الناس من الطبائعيين وأمثالهم، فاقتضت البلاغة أن يقدم ذكر الأرض وما يترتب على ذكرها من ذكر لوازمها، لقربها من المخاطب، ولأن الأنداد التي عبدت منها، فالأصنام من حجارتها، والأوثان من خشبها، وألوان الشخوص من معادنها، ليعرف سبحانه بعظمة قدرته في خلقه الأرض كلها في يومين، ثم ثنى بذكر الجبال التي تثبت الأرض بإذنه، والتي تكون الجواهر المعدنية وغيرها منها، ثم ذكر البركة التي لولاها لما نبت النبات، ولا عاش الحيوان، ولا تنوع الجماد، ولا حصلت المنافع التي بها قوام الأجسام، ممتناً بذلك على عباده، وحق له الامتنان، ثم ثلث سبحانه بذكر تقدير الأقوات في جميع الأوقات، ليحض بذلك على التوكل ويبعث النفوس على الاشتغال عن التفكير في التكسب بصالح الأعمال كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطبة خطبها عند منصرفه من أُحُد: «أيها الناس اقبلوا على ما كُلفتموه من أمر آخرتكم

وأعرضوا عما ضُمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعمته من التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا سعيكم لالتماس معرفته، واصرفوا همكم للتقرب إليه بطاعته، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فات نصيبه من الآخرة، ولا يدرك منها ما يريد. ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد.

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله في يومين آخرين داخلين في اليومين المتقدمين حيث قال: «في أربعة أيام» يعني - وهو أعلم - أنه أرسى الجبال، وبارك في الأرض، وقدر فيها الأقوات، مع خلقه لها في أربعة أيام، ثم ختم بذكر خلق السموات السبع، وما تعرف العرب وغيرهم من نجومها والهداية بها، وأنوائها وإنزال الغيث من جهتها، ومقدمات ذلك من الرعد والبرق، وتصريف الرياح، ومنافع النيِّرين، ثم أخبر أنه سبحانه خلق ذلك كله في يومين، ثم اقتصر - عز وجل - في هذه الآية وفي غيرها على ذكر الأفلاك السبعة، لما في هذا العدد من السر الإلاهي الذي لا يتَّسع هذا المكان لذكره، وقد ذكرته في مواضع من كتابين: أحدهما «الخواطر السوانح في ذكر سرائر الفواتح» وفي «الكافلة بتأويل تلك عشرة كاملة» ولكون العرب لا تعرف من الأفلاك إلا المكوكبة منها لرقبتها لها عند سَمَرِها في الليالي وسراها فيها، ولمعرفتها لكواكب الفلك الثامن من المزية التي ليست لغيرها، لكونها كواكب الأنواء التي ينتجع عليها، وتعرف علامات الجدب والخصب منها، أتى بذكر فلكها في الكتاب العزيز منفرداً، لينبىء عن فضله على سائر المكوكبة حيث قال تعالى: «والسماء ذات البروج» ولكون الفلك التاسع أطلس لا كواكب فيه، لا تعرفه العرب، فألغى ذكره في الكتاب العزيز، وإنما استدل أهل الهيئة على وجوده بحركته اليومية، فإن بها تطلع الشمس بإذن الله سبحانه وتعالى في كل يوم من المشرق، وتغرب في المغرب، ثم تعود تطلع من الموضع الذي طلعت منه أبداً، فيظهر للحس

أنها قطعت دائرة الفلك في يوم وليلة، وقد دلت أدلة الهيئة على أن فلكها الرابع يقطع دائرته في اثني عشر شهراً، فعلم أن حركته اليومية ليست حركة فلكه الطبيعية، وإنما هي حركة قسرية قسره عليها الفلك التاسع بحركته.

وهذه ليست من علوم العرب، فلذلك لم يصرح الكتاب العزيز بذكره، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الفلك التاسع هو العرش، والثامن هو الكرسي، واستدل على ذلك بقوله تعالى: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» وزعم أنه سبحانه أراد الأفلاك المكوكبة، وأراد وهو أعلم بالعرش الفلك التاسع، وبقوله سبحانه: «وسع كرسيه السموات والأرض» يريد الفلك الثامن المسمى منطقة البروج، كأنه محيط بالأفلاك السبعة: زحل، وفلك المشتري، وفلك المريخ، وفلك الشمس، وفلك الزهرة، وفلك عطارد، وفلك القمر، وبكرة الأرض وما بينها وبين فلك القمر من كرات بقية العناصر، وهذا التفسير فيه نظر، لأنه مستند لقائله من جهة النقل الصحيح، ومثل هذا لا يتلقى إلا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد أفاد هذا البسط ما ذكرت من المعاني، وتضمن لفظه عدة ضروب من (البديع) لولا البسط لم يحصل ذلك، فإنه تضمن المذهب الكلامي، والإدماج، والإرداف، والتعليق، والافتنان.

فأما (المذهب الكلامي) ففي قوله تعالى «ذلك رب العالمين» فإن ذلك نتيجة قوله سبحانه، «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» فإن تقدير الكلام أن يقال: لا تطيع السماء والأرض إلا ربهما، لأنهما عبارة عن العالمين، وقد أطاعتا الله سبحانه فهو رب العالمين.

و(الإدماج): هو إدماج الإرداف في المذهب الكلامي لأنه أراد أن يقول: قل أئنكم لتكفرون بالقدر المطلق، فعدل عن اللفظ الخاص إلى

إفادة لفظ (الإرداف) من ذكر تفاصيل المخلوقات ليُنبِّه على عظمة القدرة، فعظم سبحانه الإنكار على مَنْ عبد غيره.

و(التعليق): في كونه سبحانه علق على فن الفخر إذ يمدح بالقدرة على اختراع هذه المصنوعات فن العتاب، فإنه - عز وجل - وصف نفسه بما يستحقه، وأثنى على ذاته بما هو أهله، في ضمن العتب الموبخ، والتقريع المقرب، حيث قال سبحانه: «أئنكم لتكفرون بالذي» فعل وصنع «وتجعلون له أنداداً» فحصل التعليق والافتنان، فهذه فائدة البسط في الكلام الذي عدل فيه عن الايجاز والاختصار...

وانظر (بديع القرآن ٢٥٧)

٧٢ – بسْط الكلام

من دواعي ذكر المسند إليه، وذلك حين يكون إصغاء السّامع مطلوباً للمتكلم لعظمته وشرفه. كما في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: «هي عصايَ أتوكأ عليها» وكان يكفيه في الجواب أن يقول «عصا» لكنه ذكر المسند إليه لبسط الكلام في هذا المقام. حيث يريد أن يطيل الحديث في مناجاته لربّه، ليزداد بذلك شرفاً وفضلاً. ولذلك زاد على الجواب المطلوب أيضاً في قوله «أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أُخرى».

٧٣ – الاستبطاء

من المعاني التي يخرج إليها الإستفهام عن معناه الأصلي نحو: كم دعوتك!

٧٤ ـ الاستبعاد

من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي نحو «أنىّ لهم الذكرى» ؟! فإنه لا يجوز حمله على حقيقة الاستفهام، بل المراد **استبعاد**

أن يكون لهم ذكرى، بقرينة قوله «وقد جاءهم رسول مبين ثم تولَّوا عنه» فكأنه قيل: من أين لهم التذكر والرجوع للحق، والحال أنهم جاءهم رسول يعلمون أمانته، فتولّوا عنه وأعرضوا عنه.

٧٥ - البُقْيَا

من بعض مقاصد (التعريض) في ع رض.

٧٦ - البلاغة

قال أبو هلال العسكري: (البلاغة) من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلّغتُها غيري. ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته.

فسميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهِي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. ويُقال: بلُغ الرجل بلاغة: إذا صار بليغاً، كما يقال: نبُل نبالة: إذا صار نبيلاً، وكلام بليغ وبلْغ (بالفتح) كما يقال: وجيز ووَجْز...

ويُقال: أبلغتُ في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه، كما تقول: أبرحت إذا أتيت بالبرحاء وهو الأمر الجسيم. قال: والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، فلهذا لا يجوز أن يُسمىّ الله جلَّ وعز بأنه بليغ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام، وتسميتُنا المتكلم بأنه بليغ توسُّع، وحقيقته أن كلامه بليغ، كما تقول: فلان رجلٌ محكم، وتعني أن أفعاله محكمة، قال الله تعالى: «حكمة بالغة» فجعل البلاغة من صفة الحكمة، ولم يجعلها من صفة الحكيم، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت لتسميةَ المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة، كما أنها جعلت تسمية المزادة راوية كالحقيقة، وكان الراوية حامل المزادة، وهو البعير، وما يجري مجراه.

ثم عرّف (البلاغة) بأنها كل ما تبلِّغ به المعنى قلبَ السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكنة في نفسك، مع صورة مقبولة، ومعرض حسن.

وقال: وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة، ومعرضة خلقاً لم يسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى. ألا ترى إلى معنى الكاتب الذي كتب إلى بعض معامليه: «قد تأخرّ الأمر فيـها وعدت حمله ضحـوة النهار، والقـوم غير مقيمين، وليس لهم صَبْري، وهم من الخروج آنفاً، فإن رأيت في إزاحة العلّة مع الجهِبْذ فعلت إن شاء الله» فمعناه مفهوم، ومغزاه معلوم، وليس كلامه ببليغ.

فهذا يدل على أن شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولا على ما قدَّمناه.

ومن قال: إن البلاغة هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، سـواء! وأيضاً فلو كـان الكلام الواضح السهل، والقريب السلس الحلو بليغاً، ومـا خالفـه من الكلام المستبهم المستغلق، والمتكلف المتعقد أيضاً بليغاً، لكان كل ذلك محموداً، وممدوحاً مقبولاً،لأن البلاغة اسم يمدح به الكلام.

فلما رأينا أحدهما مستحسناً والآخر مستهجَناً علمنا أن الذي يستحسن البليغ، والذي يستهجن ليس ببليغ. وقال العتابي: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، وإنما عنى: إن أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة والعبارة النيِّرة فهو بليغ.

ولو حملنا هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكون الألكن بليغاً، لأنه يفهمنا حاجته، بل ويلزم أن يكون كل الناس بلغاء حتى الأطفال، لأن كل أحد لا يعدم أن يدل على غرضه بعجمته أو لكنته أو إيمائه، أو إشارته، بل لزم أن يكون السِّنَوْرُ بليغا، لأنا نستدل بضغائه على كثير من إرادته. وهذا ظاهر الإحالة.

ونحن نفهم رطانة[1] السُّوقيّ وجمجمة[2] الأعجمي للعادة التي جرت لنا في سماعها، لا لأنَّ تلك بلاغة، ألا ترى أن الأعرابي إن سمع ذلك لم يفهمه، إذ لا عادة له بسماعه؟

وأراد رجل أن يسأل بعض الأعراب عن أهله، فقال: كيف أهلِك؟ بالكسر. فقال له الأعرابي: صَلْباً، إذ لم يشك أنه إنما يسأله عن السبب الذي يهلك به! وقال الوليد بن عبدالملك لأعرابي شكا إليه ختناً له، فقال: من ختنك؟ ففتح النون. فقال: معذّر[3] في الحي، إذ لم يشكّ في أنه إنما يسأل عن خاتنه!

وقال رجل لأعرابي: ألقي عليك بيتا؟ فقال: ألق على نفسك! وسمع أعرابي قصيدة أبي تمام:

* طللَ الجميع لقد عفوتَ حميدا *

فقال: إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها، وأشياء لا أفهمها، فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه. ونحن نفهم معاني هذه القصيدة بأسرها، لعادتنا بسماع مثلها، لا لأنّا أعرف بالكلام من الأعراب..

ومما يؤيد ما قلنا من أن البلاغة إنما هي «إيضاح المعنى وتحسين اللفظ» قول بعض الحكماء: «البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام».

وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: «البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة» فقوله: «تضطر العقول إلى فهمه» عبارة عن إيضاح المعنى، وقوله «بأسهل العبارة» تنبيه على تسهيل اللفظ، وترك تنقيحه. ومثل ذلك من النثر قول بعضهم لأخ له: ابتدأتني بلطف من غير خبرة،

(١) الرطانة بفتح الراء وكسرها: الكلام بالأعجمية.

(٢) الجمجمة: ألا يبين الانسان كلامه.

(٣) الختن: الصهر، والمعذر: الخاتن.

ثم أعقبتني جفاء من غير هفوة، فأطمعني أوّلك في إخائك، وأيأسني آخرك من وفائك، فسبحان من لو كشف إيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك في حالك، فأقمنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف!

وكتب بعض الكتاب إلى أخ له: تأخرّتْ عني كتبك تأخّراً ساء له ظني، إشفاقاً من الحوادث عليك، لا توهما للجفاء منك، إذ كنتُ أثق من مودتك بما يغنيني عن معاتبتك!...

وقال إسحاق بن حسان: لم يفسر أحدٌ البلاغة تفسير ابن المقفع، إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خُطباً، وربما كانت رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو (البلاغة).

فقوله «منها ما يكون في السكوت» فالسكوت يسمى (بلاغة) مجازاً، وهو في حالة لا ينجع فيها القول، ولا ينفع فيها إقامة الحجج. إما عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، ولا يرتدع بكلمة التقوى. وإذا كان الكلام يَعْرى من الخير، أو يجلب الشر، فالسكوت أولى، كما قال أبو العتاهية:

ما كلُّ نطق له جوابٌ جوابُ ما يُكره السكوتُ

وقال معاوية رضي الله عنه لابن أوس: ابغ لي مُحُدِّثا. قال: أو تحتاج معي إلى مُحُدِّث؟ قال: أستريح منه إليك، ومنك إليه، وربما كان صمتك في حال أوفق من كلامك!.

وله وجه آخر، وهو قولهم: كل صامت ناطق من جهة الدلالة، وذلك أن دلائل الصفة في جميع الأشياء واضحة، والموعظة فيها قائمة. وقال الرَّقَاشيّ: «سل الأرض، من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟

فإن لم تجبك حواراً، أجابتك اعتباراً». ولما مات الإسكندر وقف عليه بعض اليونانيين، فقال: قد طالما وعظنا هذا الشخص بكلامه، وهو اليوم بسكوته لنا أوعظ!.

فنظم أبو العتاهية هذا الكلام في قوله:

وكانت في حياتك لي عظاتٌ وأنت اليوم أوعظُ منك حيّا

وأحسن من هذا الكلام كله وأبلغ قول الله عز وجل: «وإن من شيء إلا يسبِّح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم».

وقوله تعالى: «ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابّة» معناه: يدل على الله بصنعته فيه، فكأنه يسجد، وإن لم يسجد، ولم يقر بذلك. وقوله تعالى: «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال» وقوله سبحانه «تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» أي لا يفهمونه من جهة السمع، وإن كنتم تفهمونه من جهة العقل.

وقد قال بعض الهند: «جُمّاع البلاغة: البصر بالحجّة، والمعرفة بمواقع الفرصة. ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعْراً، وكانت الكناية أحضر نفعاً» وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان، قال: دخل عبيدالله بن زياد بن ظبيان غلى عبد الملك بن مروان وأراد أن يقعد معه على سريره، فقال له عبدالملك: ما بال العرب تزعم أنك لا تشبه أباك؟ قال: والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل، والغراب بالغراب، ولكن إن شئت خبرتك عمن لا يشبه أباه، قال: من ذاك؟ قال: من لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام،

(١) - هو من كل شيء مجتمع أصله.

ولم يشبه الأخوال والأعمام! قال: ومن ذاك؟ قال: سويد بن منجوف. قال عبدالملك: أكذاك أنت يا سويد؟. قال: نعم! فلما خرجا قال عبيد الله لسويد: ورَيت بك زنادي، والله ما يسرُّني بحلمك عنيِّ حُمْرُ النّعَم! قال سويد: وأنا والله ما يسرُّني أنك نقصته حرفا، وإن لي سود النّعم[1] وإنما كان عرَّض بعبد الملك، وكان ولد لسبعة أشهر...

وقال الهندي أيضاً: «البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة».

وقال عبيدالله بن عتبة: «البلاغة دُنُوُّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير».

قال أبو هلال: فأما البصر بالحجة، فمثل ما أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال: قال الهيثم بن عدي: أنبأني عطاء بن مصعب، قال: كان أبو الأسود شيعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان جيرانه عثمانية، فرموه يوماً، فقال: أترمونني؟ قالوا: بل الله يرميك! قال: كذبتم، إنكم تخطئون، وإن الله لو رماني لما أخطأ! وقال بعضهم لأبي علي محمد بن عبدالوهاب: ما الدليل على أن القرآن مخلوق؟ قال: إن الله قادر على مثله! فما أحار السائل جوابا...

ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة، قول الله سبحانه «وضرَب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أولَ مرَّة، وهو بكل خلق عليم» فهذه دلالة على أن الله تعالى قادرٌ على إعادة الخلق، مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها، لأن الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء. ثم قال تعالى: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» فزادها شرحاً وقوة، لأن من يخرج من النار من خضراء، وهما ضدان، ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه. ثم قال تعالى:

(١) النعم: المال الراعي، وأكثر ما يطلق على الإبل. والحمر: خيار الإبل.

«أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» فقواها أيضاً، وزاد في شرحها، وبلغ بها غاية الإيضاح والتأكيد، لأن إعادة الخلق ليست بأصعب في العقول من خلق السموات والأرض ابتداءً.

وأما انتهاز الفرصة فمثاله قول أبي يوسف بعرفة، وقد صلى خلف الرشيد، فلما سلم في الركعتين، قال: يا أهل مكة، أتموا صلاتكم، فإنا قومٌ سفر. فقال بعض أهل مكة: من عندنا خرج العلم إليكم. فقال أبو يوسف: لو كنت فقيهاً لما تكلمت في الصلاة!.

وقال حكيم الهند: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، متخيرٍّ اللفظ، لا يكلم سيِّد الأمّة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ويصفيها كل التصفية، ويهذبها كل التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا وفيلسوفاً عظيمًا، ومن تعوَّد حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ، ونظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة فيها، لا على جهة الاستطراف والتطرف لها.

قال: واعلم أن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً وتلك الحال له وفقاً، ولا يكون الاسم فاضلاً، ولا مقصراً، ولا مُشْتَرَكاً، ولا مضمّناً، ويكون تصفحه لمصادر كلامه بقدر تصفحه لموارده، ويكون لفظه مونقاً، ومعناه نيّراً واضحا. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم، والحمل عليهم على قدر منازلهم، وأن تواتيه آلته، وتتصرف معه أداته، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الحظ بها مقتصدا. فإنه إن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين، وإن تجاوز بها مقدار الحق في التهمة ظلمها وأودعها ذل المظلومين. ، ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدارٌ من الجهل». . .

وقال بعض الحكماء: «البلاغة قول يسير، يشتمل على معنى خطير» وهذ مثل قول الآخر: «البلاغة حكمة تحت قول وجيز» وقول الآخر: «البلاغة علم كثير في قول يسير» ومثاله قول الأعرابي - وقد سئل عن مال يسوقه -: لمن هو؟ فقال: لله في يدي! فأي شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة، والحكم البارعة الجسيمة؟. وقال الله عز وجل اسمه: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقد دخل تحت قوله «فهو حسبه» من المعاني ما يطول شرحه من إيتاء ما يرجى، وكفاية ما يخشى. وهذا مثل قوله عز وجل «وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين». وسئل بعض الأوائل: ما كان سبب موت أخيك؟ قال: كونه! فأحسن ما شاء.

وقال الرومي: «البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة عند الإطالة».

وقال جعفر بن يحيى: «البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجُلي عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليمًا من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأمُّل».

وقال العربي: «البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة».

ومثله قول الآخر: «البلاغة تقريب ما بعد من الحكمة بأيسر خطاب، والتقرب من المعنى البعيد، وهو أن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه، وينفي الشواغل عنه، فيفهمه السامع من غير فكر فيه وتدبر له».

وقال محمد بن علي رضي الله عنهما: «البلاغة قول مفقه في لطف» فالمفقه المفهم، واللطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبية المستعصية، ويُبلغ به الحاجة،

وتقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته... ومن الكلام الذي يعطف القلوب النافرة قول رجل لأخ له: زيّن الله ألفتنا بمعاودة صلتك، واجتماعنا بترادف زيارتك، وأيامنا الموحشة لغيبتك برؤيتك. توعدتني بالانتقام على إخلالي بمطالعتك، وحسبي من عقوبتك ما ابتليت به من عدم مشاهدتك».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «البلاغة إيضاح المُلتبِسات وكشف عُوَّار[1] الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات».

وقال ابن المقفع: «البلاغة كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل» والذي قاله أمرٌ صحيح لا يخفي موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل، وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة، ولا يحوج إلى التكلف بصحته، حتى يوجد المعنى فيه خطيباً. وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخيُّل، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير، ليخفي موضع الإشارة، ويغمض موقع التقصير.

وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس عند اعتذاره من هزيمة، وحاجته إلى تغيرُّ رسم، أو رفع منزلة دنيء له فيه هوى، أو حط منزلة شريف استحق ذلك منه، إلى غير ذلك من عوارض أموره.

فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتي يُصيره في صورة المذموم. وقد ذم عبدالملك بن صالح المشورة، وهي ممدوحة بكل لسان فقال: ما استشرت أحداً إلا تكبّر عليّ وتصاغرت له، ودخلته العزَّة، ودخلتني الذلة، فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون، مهيب في الصدور، وإذا افتقرت إلى العقول

(١) عوار: كل ما أعلّ العين من الرمد والقذى.

حقرتك العيون، فتضعضع شأنك، ورجفت بك أركانك، واستحقرك الصغير، واستخف بك الكبير، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه،وآراء نصحائه.

ومدح بعضهم الموت فقال:

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا في الموت ألف فضيلة لا تعرفُ
فيه أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصِفُ

فالمتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد... (الصناعتين ٥٤).

* * *

وقال أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني: أصل البلاغة الطبع، ولها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل القوة فيها، وتكون ميزاناً لها، وفاصلة بينها وبين غيرها. وهي ثمانية أضرب: الإيجاز، والاستعارة، والتشبيه، والبيان، والنظم، والتصرف، والمشاكلة، والمثل...

وقال آخر: البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك.

وقال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الوصل.

وقيل: البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط بأوله.

وقيل: البلاغة القوة على البيان مع حسن النظام. ومن كلام ابن المعتز: البلاغة بلوغ المعنى، ولما يطل سفر الكلام.

وقال ابن الأعرابي: البلاغة التقرب من البغية، ودلالة قليل على كثير.

وقال بعض المحدثين: البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

وقال بعضهم: البلاغة ما صعب علي التعاطي، وسهل على الفطنة. وقال: خير الكلام ما قلَّ ودلَّ وجلَّ ولم يُملّ. وقال: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه.

وقال عبدالله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث: البلاغة الفهم والإفهام، وكشف المعاني بالكلام، ومعرفة الإعراب، والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء، وصواب الإشارة، وإيضاح الدلالة، والمعرفة بالقول، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار.

قال: وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض كحاجة بعض أعضاء اليدين إلى بعض، لا غنى لفضيلة أحدهما عن الآخر. فمن أحاط معرفة بهذه الخصال، فقد كمل كل الكمال، ومن شذ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع فيه منها.

قال: والبلاغة تخيُّر اللفظ في حسن إفهام.

وسئل الكندي عن البلاغة، فقال: ركنها اللفظ، وهو على ثلاثة أنواع: فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به، ونوع تعرفه وتتكلم به، ونوع تعرفه ولا تتكلم به، وهو أحمدها... (العمدة ١/١٦٥).

قال صاحب البرهان: وقد ذكر الناس (البلاغة) ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها، وذكر الجاحظ كثيراً مما وصفت به، وكل وصف منها تقصير عن الإحاطة بحدِّها.

قال: وحدُّها عندنا: أنها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان. قال: وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام، لأن العاميّ قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله، فلا يكون موصوفاً بالبلاغة.

وزدنا فصاحة اللسان، لأن الأعجمي واللّحّان قد يبلغان مرادهما بقولهما، فلا يكونان موصوفين بالبلاغة. وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى، ولا يحسن ترتيب ألفاظه، وتعبير كل واحدة منها مع ما يشاكلها، فلا يقع ذلك موقعه. فمما أتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين رضي الله عنه في بعض خطبه: أين من سعى واجتهد، وجمع وعدَّد، وزخرف ونجّد، وبنى وشيّد؟ فأتبع كل حرف بما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه. ولم يقل: أين من سعى ونجّد، وزخرف وشيّد وبنى وعدّد؟ ولو قال ذلك لكان كلاماً مفهوماً، ومن قائله مستقيمًا، وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف... (البرهان ٧٧)

وانظر (البيان - علم البيان) وسيأتي في هذا الباب.

٧٧ - بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. أي لا تتحقق بلاغة الكلام عند أرباب المعاني إلا إذا كان الكلام فصيحاً مطابقاً لما يقتضيه حال الخطاب، والحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال. مثلاً: كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي التأكيد للحكم، وذلك التأكيد اعتبار مناسب، وهو مقتضى الحال، وقولك: إن زيداً لعالم، كلامك مطابق لمقتضى الحال. ويتفاوت مقتضى الحال بحسب المقامات والأحوال، إذ المقام الذي يدعو إلى تنكير المسند إليه أو المسند يباين المقام الذي يناسبه تعريفه، أي لا يكون هناك مقام يناسب التنكير والتعريف معاً، والمقام الذي يناسبه تقديمه بيان المقام الذي يباين تأخيره كما سبق، وكذا مقام ذكره يباين مقام حذفه كذلك، ومقام إطلاق الحكم يباين مقام تقييده، وكذا مقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز

يباين مقام الإطناب والمساواة أن الأول يناسبه من الاعتبارات اللطيفة، والمعاني الدقيقة الخفية ما لا يناسب الغبي، وبقدر رعاية المناسبات والأغراض التي يصاغ لها الكلام واعتبار تلك الخصوصيات ليطابق الكلام المشتمل عليها تلك الأغراض يرتفع شأن الكلام حسناً وقبولاً. ولذا كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت المقتضيات والاعتبارات. ومن هنا كان القرآن الكريم في الدرجة القصوى منها، لما أن الله عالم بكميات الأحوال وكيفياتها، فاشتمل كلامه في كل مقام على جميع مقتضيات الأحوال التي له في نفس الأمر، لما أنه عالم بجميعها، وروعيت حق المراعاة... (أنوار الربيع ص ١١).

٧٨ - بلاغة المتكلم

والبلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، أي كيفية راسخة في النفس يقدر بها صاحبها على أن يؤلف كلاماً مطابقاً لمقتضى الحال فصيحاً في أي معنى قصده، وفي أي نوع أراده. فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على ما ذكر لم يكن بليغاً على قياس ما سيأتي في الفصاحة.

ومن تأمل ما سبق علم أن البلاغة أخصّ، والفصاحة أعمّ، وأنّ كل ما يطلق عليه لفظ «البليغ» كلاماً كان أو متكلمًا يطلق عليه لفظ «الفصيح» لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة. وليس كل ما يطلق عليه لفظ «الفصيح» يطلق عليه لفظ «البليغ»، لجواز أن يكون كلام فصيح غير مطابق لمقتضى الحال، أو متكلم ذو ملكة يقتدر بها على الفصيح الغير المطابق لمقتضى الحال، وليعلم أن البلاغة يتوقف حصولها وتحققها على حصول أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، إذ ربما أدّى المعنى المراد بلفظ غير مطابق لمقتضى الحال، فلا يكون بليغاً.

الثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، إذ ربما أورد الكلام المطابق لمقتضى الحال غير فصيح، لاختلال ركن من أركان فصاحة الكلام فيه، فلا يكون بليغاً.

فمسّت الحاجة إلى علمين يحترز بهما عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وعن التعقيد المعنوي المخلّ بفصاحة الكلام. والأول منهما هو «علم المعاني» والثاني «علم البيان»، ويسميّان بعلمي البلاغة لذلك.

ولما كان «علم البديع» به تعرف وجوه تحسين الكلام جعل تابعاً لهذين العلمين، حتى تعرف طرق التحسين الذاتي بهما، والعرضيّ به، فانحصر المقصود من علمي البلاغة وتوابعها في ثلاثة فنون (أنوار الربيع، ص ١٣).

٧٩ - البليغ

(التشبيه البليغ) ما بلغ درجة القبول لحسنه، أوهوالطيّب الحسن. فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفضل في النفس، وأدعى إلى تأثّرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلّ وألطف.

وسبب هذه التسمية أن ذكر الطرفين فقط يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به. وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

(والتشبيه البليغ) هو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، نحو قول الشاعر:

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سَفَر من الأسفار

ونحو قول الشاعر:

عَزَماتهم قضبٌ وفيضُ أكفِّهم ... سحبٌ وبيض وجوههم أقمارُ

ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدرا مبينا للنوع، نحو: أقدم الجندي إقدام الأسد، وراغ المدين روغان الثعلب.

ومنه أيضاً إضافة المشبه به للمشبه نحو: لبس فلان ثوب العافية. ومنه أيضاً أن يكون المشبه به حالاً نحو: حمل القائد على أعدائه أسدا.

٨٠ - التبليغ

من المبالغة، مأخوذ من قولهم «بلّغ الفارس» إذا مدّ يده بالعنان ليزداد الفرس بالجري.

والتبليغ عند البلاغيين أن يكون الأمر المدّعى ممكنا عقلاً وعادة، لأن فيه مجرد الزيادة على المقدار المتوسط. وذلك كقول امرىء القيس في وصف فرسه:

فعادَى عِداءً بين ثور ونعجةٍ دراكاً فلم ينضح بماءٍ فيُغْسَلِ

و«الثور» الذكر من بقر الوحش و«النعجة» الأنثى منها، ادّعى أن فرسه أدرك ثوراً ونعجة في مضمار واحد ولم يعرق. وهذا ممكن عقلاً وعادة. ومثل قول أبي الطيب:

وأصرعُ أيَّ الوحش قفَّيتُه به وأنزلُ عنه مثلَه حين أركبُ

وانظر (المبالغة) وستأتي بعد في هذا الباب.

وانظر (الإغراق) في باب الغين.

وانظر (الغلوّ) في باب الغين.

٨١ - التبْليغ

عند الحاتميّ وأصحابه هو (الإيغال) وسيأتي في باب الواو.

٨٢ - المبالغة

من أنواع نعوت المعاني عند قدامة. وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر، لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له. وذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي:

ونكـرمُ جـارَنـا مـا دام فينـا ... ونتبعُـه الكـرامـةَ حيث مـالا

فـإكرامهم للجـار ما دام فيهم من الأخـلاق الجميلة الموصـوفـة، وإتباعهم إيّاه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل. ومثل ذلك قول الحكم الخضْريّ:

وأقبـحُ من قرد وأَبْخـلُ بـالقِـرَى ... من الكلب أمسى وهو غرثانُ أعجفُ

فقد كان يجزىء في الذمّ أن يكون هذا المهجوّ أبخل من الكلب، ومن المبالغة في هجائه قوله: «وهو غرْثانُ أعجفُ». ومن هذا الجنس لدُرَيْد ابن الصِّمّة:

متى ما تدْعُ قـومك أدْعُ قـومي ... فيـأتي مـن بنـي جُشَـم فئـامُ
فـوارسُ بُهْمـةٌ حُشَـدٌ إذا مـا ... بـدا حضـرُ الحييّـةِ والحُـذامُ

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر في قـوله «الحييّـةَ». ومنه للحكم الخضْري أيضاً:

فكنْ يـا جـارَهم في خيـر دارٍ ... فـلا ظُـلمٌ عليـك ولا جـفـاءُ

فقـوله «فـلا ظلم عليك ولا جفـاء» توكيـد ومبالغـة. ومنه قـول رؤاس بن تميم أحد الغطاريف الأزدي:

وإنّـا لنُعـطي النّصْفَ منّـا وإنّنـا ... لنـأخـذهُ من كـلّ أبلخَ ظـالمِ

فالتوكيد في قوله «وإننا لنأخذه من كل أبلخَ ظالم»، فهذه مبالغة مكرّرة. ومنه قول مضرّس:

بِهِمْ تُمترى الحربُ العَوانُ وفيهمُ   تؤدَّى الفروض حلوُها ومريرُها

فقوله «ومريرها» مبالغة. وكذلك قول أوس بن غلفاء الهجيمي:

وهمْ تركوكَ أسلحَ من حُبارَى   رأت صقراً، وأشردَ من نعامِ

ففي قوله «رأت صقراً» مبالغة... (نقد الشعر ٧٨).

٨٣ - المبَالغة

عند أبي هلال العسكري: أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه. ومثاله من القرآن قول الله تعالى «يومَ ترونهَا تذْهلُ كل مُرضِعة عما أرضَعتْ وتضعُ كلّ ذات حملٍ حملها، وترى الناس سُكارَى وما همْ بسكارَى» ولو قال «تذهل كلّ امرأةٍ عن ولدها» لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة، وإنما خصّ المرضعة للمبالغة، لأن المرضع أشفق على ولدها، لمعرفتها بحاجته إليه، وأشغف به لقربه منها، ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً. وعلى حسب القرب تكون المحبّة والإلف، ولهذا قال امرؤ القيس:

فمثلك حبُلَى قد طرقتُ ومرضعٌ   فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة له قال: إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه، لمعرفته بشغفها به، وشفقتها عليه في حال إرضاعها إيّاه.

وقوله تعالى «كسراب بِقيَعة الظمآن ماءً» لو قال: يحسبه الرائي لكان جيداً، ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن، لأن حاجته إلى الماء أشدّ، وهو على الماء أحرص.

قال أبو هلال: ومن المبالغة نوع آخر، وهو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة تؤكده، ويلحق به لاحقة تؤيده... (الصناعتين ٣٦٧).

ويتضح من هذا أن مفهوم النوع الثاني هذا هو مفهوم (المبالغة) عند قدامة.

٨٤ - المَبالغة

قال ابن وهب في (البرهان):

وأما (المبالغة) فمن شأن العرب أن تبالغ في الوصف والذّم، كما من شأنها أن تختصر وتوجز. وذلك لتوسّعها في الكلام، واقتدارها عليه. ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه.

و(المبالغة) تنقسم قسمين: أحدهما في اللفظ، والآخر في المعنى.

فأمّا المبالغة في اللفظ فتجري مجرى التأكيد، كقولنا: رأيت زيداً نفسه، وهذا هو الحق بعينه، فتؤكد «زيداً» بالنفس، و«الحق» بالعين. وإن كان قولك: هذا زيد، وهذا هو الحق، قد أغنياك عن ذكر النفس والعين. ولكن ذلك مبالغة في البيان. ومنه قول الشاعر:

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هِندٌ وهندٌ أتى من دونها النأيُ والبُعْدُ

وأما المبالغة في المعنى فإخراج القول على أبلغ غايات معانيه، كقوله عزّ وجلّ: «وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة»، وإنما قالوا: إنه قد قتّر علينا، فبالغ الله عزّ وجلّ في تقبيح قولهم، فأخرجه على غايات الذم لهم.

ومن المبالغة في المعنى قول الشاعر:

وفيهنّ ملهى للّطيف ومنظرٌ أنيقٌ لعين الناظر المتوسِّمِ

فلم يرض أن يكون فيهن ملهى، وإن كان ذلك مدحاً لهنّ، حتى قال: «اللطيف» لأن اللطيف لا يلهو إلا بفائق، وقال: «منظر أنيق» وهذا

في الوصف مجزىء، فلم يكتف به حتى قال: «لعين الناظر المتوسم» لأن الناظر إذا كرّر نظره وتوسم تبينت له العيوب عند توسمه وتكراره نظره، ولذلك قال الشاعر:

يـزيـدك وجهـه حسـنـا إذا مـا زدتـه نـظرا

ومن هذا المعنى قول الشاعر أيضاً:

فـلمـا صـرّح الـشـرُّ فـأمسى وهـو عـريـانُ
مـشينـا مِـشيَـةَ الـليـث غـدا والـليـثُ غـضـبـانُ

فلم يرض بتصريح الشر حتى عرّاه عن كل ما يستره، ولم يرض بمشيةَ الليث حتى جعله غضبان. وأشباه هذا كثير في القرآن... (البرهان ٧١).

٨٥ - المبالغة

و(المبالغة المقبولة) عند البلاغيين من البديع المعنوي. وقيدت بالمقبولة إشارة إلى أن من المبالغة ما لا يقبل، فلا تكون من البديع المعنوي ردّا على من قال: تقبل مطلقاً، إذ حاصلها أن يثبت في الشيء من القوة أو الضعف ما ليس فيه، وأعذب الكلام أكذبه مع إيهام الصحة، وظهور المراد، فتكون من المحسنات مطلقاً. وإنما قيل «مع إيهام الصحة وظهور المراد» لئلّا يتوهم أن أحداً من العقلاء يقول في الكلام الكذب المحض الذي قصد ترويج ظاهره مع فساده إنه مستحسن، وردّاً على من قال لا تقبل مطلقاً إذ لا خير في كلام أوهم باطلاً أو حققه، كما قال سيدنا حسّان رضي الله تعالى عنه:

وإنما الشعر لبُّ المرءِ يعرِضُـهُ على المجالس إن كَيْساً وإنْ حمقا
فـإن أشعـر بيـتٍ أنت قـائـلهُ بيت يقـال إذا أنشـدتـه صـدقـا

والذي فيه مبالغة لا صدق فيه، فهو ليس من أشعر بيت، فهذان قولان مطلقان.

والمختار أن المبالغة منها مقبولة، ومنها مردودة.

وانظر في اختلاف العلماء في قبول المبالغة وردها، وفي محاسنها وعيوبها: سر الفصاحة للخفاجي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر، والعمدة لابن رشيق، وكتابنا «قدامة بن جعفر والنقد الأدبي». . .

ويعرف البلاغيون المبالغة مطلقاً بأن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً، وإنما يدعى ذلك لئلّا يظن أن ذلك الوصف غير متناهٍ في الشدة أو في الضعف. وتنحصر المبالغة عندهم في:

(١) التبليغ: وقد سبق في هذا الباب.
(٢) الإغراق: وسيأتي في باب الغين.
(٣) الغلوّ: وسيأتي في باب الغين أيضاً.
وانظر (الإفراط في الصفة) وسيأتي في باب الفاء.

٨٦ - البنود والمستزاد

البنود جمع (بند) وهي فارسية معربة. وقد ذكر في التاج أنها تطلق على الألغاز والمعميات، على أن المراد بها هنا هذا النوع من السجع الذي بنيت جمله على التوقيع، وقسمت إلى أجزاء قصيرة من العروض تنتظم أوزاناً مختلفة، فتكسبها شبهامن الشعر،وهي ليست منه.

وتلك صناعة في النثر لا يعرف مخترعها. ولكن الكلام كله لا يخلو من بعض جمل تتفق مع هذا النوع اتفاقاً قريباً أو بعيداً، ولا سيما بعض أسجاع العرب.

وكلمة(البند)المطلقة على هذه الصناعة تدل على واحد من أمرين: إما

أنها ملحقة في أصلها. وإما أنها من صنعة أحد أدباء العجم، سواء احتذاها على مثال أو ابتدأها. وهذا أرجح الرأيين، لأنه لم يعرف من هذه الطريقة شيء قبل البنود الخمسة التي رصفها الشاعر المعروف بابن معتوق المتوفي سنة ١٠٨٧هـ وهي ملحقة بديوانه. وقد جعل الأول في وصف الآيات السماوية، والثاني في وصف الآيات الأرضية، والثالث يتخلص فيه إلى ذكر نعمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم ينتهي في الرابع والخامس إلى مدح شخص مسمى.

وهذه المعاني كما ترى من أغراض الشعر، فهي دليل على حقيقة الصنعة.

ومن البند الأول قوله: «أيها الراقد في الظلمة، نبه طرف الفكرة، من رقدة الغفلة، وانظر أثر القدرة، واجل غلس الحيرة، في فجر سنى الخبرة، وارنُ إلى الفلك الأطلس والعرش، وما فيه من النقش، وهذا الأفق الأدكن، في ذا الصنع المتقن، والسبع السموات، ففي ذلك آيات»...

ومما يعجب له أن ابن معتوق ختم جميع بنوده الخمسة بالراء المفتوحة، ولم يلتزم فيها غير ذلك مما يطرد في الجميع. فكان ختام الأول «سِرّاً وجهارا» والثاني «مساء ونهاراً» والثالث «بهاراً ونضاراً» والرابع «عذاراً» والخامس «مزاراً»... فتكون تلك القوافي قرارات للنغم. ولم يضرب على قالب ابن معتوق إلا القليل، كالأديب المسمى بابن خلفة البغدادي، وهو من أدباء القرن الثاني عشر، فقد عثرُ له على بند من مثل ذلك أوله:

«أيها اللائم في الحبّ، دع اللومَ عن الصبّ، فلو كنت ترى الحواجب الزُّج، فوق الأعين الدُّعجْ... إلى أن يقول في ختامه: لو ترانا كلّ يبدي لدى صاحبه العتْب، ويُسرى فرط شوقٍ كامنٍ أضمره القلب».

وهناك نوع قريب من البنود إلا أنه مستقل باسمه وصفاته. وهو النوع المعروف بالمستزاد، ولعل مأخذ البند منه، إلا أن الذي أخذه أطلق الوزن وهو في المستزاد مقيّد.

وللمولى خضر بيك بن جلال الدين الذي كان يلقب بجراب العلم - وهو من علماء عصر السلطان محمد الفاتح - له منظومة من المستزاد وأولها «يا من ملك الإنس بلطف الملكات في حسن صفات...» الخ.

وانظر [تاريخ آداب العرب للرافعي] ٢/٤٣٧.

٨٧ - الإبهام

وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين، لا يتميز أحدهما عن الآخر.

والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب أن الاشتراك لا يقع إلاّ في لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم.

والإبهام لا يكون إلاّ في الجمل المؤتلفة المفيدة. ويختص بالفنون كالمدح، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والفخر، والرثاء، والنسيب، وغير ذلك. ولا كذلك الاشتراك.

ومنه نوع آخر يقع لأحد أمرين: إما لامتحان جودة الخاطر، وإما لامتحان قوة الإيمان من ضعفه.

ومثال هذا النوع - وهو الذي يأتي لامتحان الإيمان - ما جاء في الكتاب العزيز من عدم التصريح بمعجزات بعض الأنبياء صلوات الله عليهم أجميعين - ليقال: ما الفائدة في اختصاص موسى وعيسى وأمثالهما عليهم السلام ممن صرح بذكر معجزاته دون نوح وهود ولوط وشعيب وأمثالهم عليهم السلام ممن لم يصرح بذكر معجزاتهم. وقد علم أنهم رسل الله، ولا بد لكل رسول من الإتيان بخارق قرين دعوى النبوة، يتحدى به مَنْ بعث إليهم ليكون علامة صدقه؟ فيقال: إنما أبهم الأمر في هذا لتُعلَم قوة إيمان المؤمن من ضعفه، فإن المؤمن القوي الإيمان يصدق بنبوة هؤلاء الذين نطق الكتاب بنبوتهم، وشهد برسالتهم، وإن لم يسمع لهم بمعجزة كما سمع لغيرهم. فربما كان مِن ضعف إيمانه ونقص عقله ميل إلى اعتقاد أهل

الكتاب فيهم، فإن أهل الكتاب لا يعتقدون نبوة نبي إلّا من بني إسرائيل من لدن موسى عليه السلام إلى قبيل زمن عيسى عليه السلام.

غير أن البلاغة وما يؤثر فيها من حسن البيان توجب على المتكلم الإشارة إلى ما أبهمه في كلامه، لتأتي الإشارة مدمجة في أثناء الكلام، كما جاء ذلك في الكتاب العزيز، فإن قصة نوح عليه السلام قد جاءت في سورة هود وغيرها عرية عن ذكر معجز له مصرح بذكره، وأتت في سورة يونس مشاراً فيها إلى أنه جاء قومه بآيات في الجملة، وإن لم يذكر عينها، وذلك قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام: «واتلُ عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبرَ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله» فأخبر عن نفسه أنه ذكرهم بآيات ربّهم في الجملة، ولم يعينها، ليبقى اسم الإبهام على هذا المكان. وإن كان يجوز أن تكون الآيات التي ذكرهم بها مواعظ يذكر فيها قدرة الله تعالى وصنعه في العالم وغير ذلك، وإن لم يرد بها المعجزات، ويحتمل أن يريد المعجزات. وأصرح من هذا الموضع قوله تعالى في قصة شعيب في سورة الأعراف: «قد جاءتكم بينة من ربكم» وتقدير الكلام قد جاءتكم آية بينة من ربكم، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه.

ومن القسم الذي يمتحن الخاطر فيه ما يخرجه المتكم مخرج المُلَح، ومنه ما حُكِيَ أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل بصهره المأمون حين بنى بابنته «بُوران» فيمن هنّأه، فأثاب الناس كلهم وحرمه. فلقيه يوماً وقال: والله لئن دمت على حرماني لأعملن فيك شعراً لا يعلم أحد مدحتك فيه أم هجوتك!، فضحك الحسن وقال: والله لا أعطيك شيئاً حتى تعمل ذلك، فقال:

بارك الله للحسنْ ولبُوران في الختنْ
يا إمام الهدى ظفرتَ ولكن ببنت مَنْ؟

فلم يدر أحد قوله «ببنت من؟» في العظمة والجلالة، أم في السفالة

والدناءة، فاستحسن الحسن ذلك منه وسأله: هل ابتكرت هذا المعنى أو نقلته؟ فقال: بل نقلته. فقال: ممن؟ فقال: من شاعر في بلدنا خامل فصَّل قباء عند خياط أعور اسمه زيد، فقال له الخياط بطريق العبث به: سآتيك به لا يعرف أحد ممن يراه أو قباء أم دُوَّاج! فقال: إن فعلت لأعملن فيك بيتاً لا يعرف أحد دعوت لك فيه أم دعوت عليك! فوفى الخياط بما وعد، وأتاه بالقباء لا يُعْرَف هل هو قباء أم دُوّاج، فقال:

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

فما علم أحد ما أراد بتمنيه، أأراد أن تساوي الصحيحةُ السقيمةَ أو العكس. قال: فازداد الحسن إعجاباً لحذقه وصدقه، وأضعف له جائزته.

والبلاغيون يقصرون فن (الإبهام) على هذا المفهوم الآخر، ويعرفونه مثل تعريفه، وهو أن يقول المتكلم كلاماً مبهمًا يحتمل معنيين متضادين، ويمثلون له بقول ذلك الشاعر في الحسن بن وهب، وبقول بشار في ذلك الخياط الأعور. (وانظر بديع القرآن ٣١٠).

٨٨ - الإبهام والتفسير

قال العلوي في الطراز: إن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهمًا فإنه يفيده بلاغة، ويكسبه إعجاباً وفخامة، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب. ومصداق هذه المقالة قوله تعالى: «وقضينا إليه ذلك الأمر» ثم فسره بقوله: «أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين». وهكذا في قوله تعالى «إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما» فأبهمه أولاً ثم فسره بقوله «بعوضة فما فوقها». ففي إبهامه في أول وهلة، ثم تفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر وتعظيم لشأنه، فإنه لو قال: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، وإن الله لا يستحي أن يضرب

مثلاً بعوضة، لم يكشف فيه من الفخامة وارتفاع مكانه في الفصاحة مثل ما لو أبهمه قبل ذلك. قال: ويؤيد ما ذكرناه أن الابهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه، فلا تزال نفسه تنزع إليه، وتشتاق إلى معرفته، والاطلاع على كنه حقيقته. ألا ترى أنك إذا قلت: هل أدلك على أكرم الناس أباً، وأفضلهم فعلاً وحسباً، وأمضاهم عزيمة، وأنفذهم رأياً، ثم تقول: فلان، فإن هذا وأمثاله يكون أدخل في مدحه مما لو قلت: فلان الأكرم الأفضل الأنبل. وما ذاك إلا لأجل إبهامه أولاً وتفسيره ثانياً. وكل ذلك يؤكد في نفسك عظم البلاغة في الكلام إذا أبهم أولاً ثم فسر ثانيا.

ثم إن الكلام في إفادته لما يفيده من ذلك ضربان:

الضرب الأول منهما: ما يرد مبهمًا من غير تفسير، وروده في القرآن كثير، وهذا كقوله تعالى في قصة موسى «وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ» فلم يذكر الفعلة بعينها مع كونها معلومة لما في ذلك من المبالغة في أمرها، وتعظيم شأنها، كأنه قال: تلك الفعلة التي عظم أمرها، وارتفع شأنها.

وكقوله تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوَم» يريد بذلك الطريقة أو الحالة أو الخصلة إلى غير ذلك من المحتملات المتعددة. وأي شيء من هذه الأُمور قدَّرته فإنك لا تجد له من البلاغة، وإن بالغت في الإفصاح به، الذي تجده من مذاق الفصاحة مع الإبهام، من جهة أن الوهم يذهب معه كل مذهب لما فيه من المحتملات الكثيرة.

ومن هذا قوله تعالى: «فغشيَهم من اليمّ ما غشيَهم» يريد أنه بلغ مبلغاً تقاصرت العبارة عن كهنه، فحذف ذاك وأقام الإبهام مقامه، لأنه أدل على البلاغة فيه...

والضرب الثاني: هو الإبهام الذي ظهر تفسيره كقوله تعالى: «إذ أوحينا إلى أمكَ ما يوحى أن اقذفيه في التابوت» فسر قوله «ما يوحي» بقوله «أن اقذفيه» فحصل فيه من البلاغة ما ترى. (وانظر الطراز ج ٢ ص ٨٨).

٨٩ - الإباحـــة

من الأغراض التي تخرج إليها صيغة الأمر عن معناها الأصلي، كقوله تعالى: «وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» ونحو: كلْ من هذه الفاكهة أو تلك، فيجوز له أن يأكل من إحداهما أو كليهما، كما يجوز له ألا يأكل من واحدة منهما أصلا.

وتفارق الإباحة (التخيير) بأنه لا يجوز الجمع بين الأمرين في التخيير دون الإباحة.

ويتعين (التخيير) في مثل قولك «سافر اليوم أو غدا» فإنه لا يجوز الجمع بينهما.

ثم إن الإباحة يخاطب بها من يتوهم أن الفعل محذور عليه، فيؤذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك.

٩٠ - البيـــان

نقل الجاحظ عن بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني قولهم: المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخـواطرهم، والحـادثة عن فكـرهم - مستورةٌ خفيـة، وبعيـدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة. لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنما يحيى تلك المعاني ذكرهم وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها.

وهذه الخصال هي التي تقربهم من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً والبعيـد قريبـا. وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعـل المهمل مقيداً، والمقيـد مطلقـاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، والغُفْلَ موسوماً، والموسوم معلوما.

وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أَبْيَنَ وأنور كان أنفع وأنجع.

والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو (البيان) الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه. بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم.

قال: والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام.

فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو (البيان) في ذلك الموضع... (انظر البيان والتبيُّن ١/٧٦).

وقال ثمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لابد منه أن يكون سليمًا من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنيّاً عن التأويل...

وقال أبو الحسن الرمّاني: (البيان) هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك. وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة، لأنها إحضار المعنى للنفس، وإن كان بإبطاء.

وقال: (البيان) الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقْلَة. وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم بيان.

وذكر صاحب البرهان أن (البيان) على أربعة أوجه:

(١) فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبن بلغاتها.

(٢) ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللب.

(٣) ومنه البيان الذي هو نطق باللسان.

(٤) ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد أو غاب.

وانظر (الدلالة)وستأتي في باب الدال.
وانظر (النُّصبة) وستأتي في باب النون.
وانظر (الاعتقاد) وسيأتي في باب العين.
وانظر (اللفظ) وسيأتي في باب اللام.
وانظر (الخط) وسيأتي في باب الخاء.
وانظر (الاعتبار) وسيأتي في باب العين.
وانظر (العَقد) وسيأتي في باب العين.
وانظر (الإشارة) وستأتي في باب الشين.
وانظر (علم البيان) وسيأتي في هذا الباب.

٩١ - البيَان بعد الإبهام

من الأغراض البلاغية التي يحذف من أجلها المفعول به، ليكون ذلك أدعى إلى الشوق إلى معرفته، كما في فعل المشيئة والإرادة ونحوهما، فيحذف مفعوله إذا وقع شرطاً لدلالة الجواب. وذلك نحو قوله تعالى: «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» أي: لو شاء جعْلَ الناس أمة واحدة لجعلهم، فحذف مفعول فعل الشرط لدلالة الجواب عليه. وهذا أوقع في النفس، وأدعى إلى تشوّق السّامع إلى معرفة ما علَقت عليه المشيئة.

ولا يحسن حذف ما تعلّق به فعل المشيئة ونحوه إذا كان تعلّقه بالمفعول به غريباً، كما في قول الشاعر:

ولـو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُـه عليه، ولكن ساحةُ الصبر أوسعُ

فإن تعلق المشيئة ببكاء الدم غريب، فذكره ليتقرر في نفس السامع ويأنس به، وإن كان الجواب دالّاً عليه. وليس من هذا قول الآخر:

فلم يُبْقِ منّي الشوقُ غير تفكّري   فلو شئتُ أن أبكي بكيت تفكّرا

إذ ليس التقدير لو شئت أن أبكي تفكرا بكيت تفكرا، فيكون فعل المشيئة مذكوراً لغرابته، لأن المراد بالبكاء الأول البكاء الحقيقي، لا البكاء التفكري. فهو يريد أن يقول: أفناني النحول حتى لم يبق مني غير خواطر تجول فيّ، حتى لو شئت بكاء شيء ما، فعصرت عينيّ ليسيل منهما دمع، لخرج منهما بدل الدمع التفكر. وذكر مفعول المشيئة هنا مع عدم غرابته لعدم دلالة جواب الشرط عليه.

٩٢ - البيان = علم البيان

(البيان) لغة الكشف والتوضيح والظهور، وهو في الاصطلاح عبارة عن المنطق الفصيح المعبّر عما في الضمير. وقد يستعمل بمعنى الإثبات بالدليل. وقيل: الفرق بين (البيان) و(التبيان) أن البيان هو إظهار المراد، والتبيان يحتوي على كدّ الخاطر وإعمال القلب. وقريب منه ما قيل: التبيان بيان مع دليل وبرهان.

و(البيان) عند البلاغيين: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض.

و(علم البيان) هو الذي يحترز به عن التعقيد المعنوي.

وسمّي «علم البيان» لأنه له مزيد تعلّق بالوضوح والبيان، من حيث أن علم البيان يعرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان.

وكثير من البلاغيين يسمِّي علوم البلاغة الثلاثة - المعاني والبيان

والبديع - علم البيان، لتعلقها جميعاً بالبيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

وبعضهم يسمّي البيـان والبديع (علم البيان) تغليباً للبيان المتبوع على البيان التابع. وهذا يقع كثيراً في كلام الزمخشري في «الكشاف».

والفصاحة، والبلاغة، والبيان، ألفاظ تشترك في كثير من المعـاني، ويختصّ كل واحد منها بما ليس للآخر. لكن الفصاحة أصلها الخلوص من الشوائب، لقولهم: أفصَح اللبنُ وفَصُح، إذا خلص من اللباء. وذلك في الكلام لا يكاد ينفكّ عن أن يكون بيِّنا. فالفصاحة أعمّ من البيان من وجه، والبيان أعمّ من الفصاحة من وجه. فإن البيِّن قد لا يكون كلاما، والخالص من الشوائب قد لا يكون بيِّناً. وكذلك البلاغـة مع كـل من الفصاحة والبيان. ومعنى البلاغة إنتهاء الشيء إلى غايته المطلوبة. وكل واحد من الألفاظ الثلاثة يستعمل في الكلام وفي غيره. والكلام في هذه المعاني الثلاثة هو بالنسبة إلى وقوعها في الكلام لا غير.

فالفصاحة تكون بالنسبة إلى اللفظ من وجهين: أحدهما أن يخرج المتكلم الحروف من مخارجها، ويخلّص بعضها من بعض. والثاني أن يكون اللفظ مما تداوله فصحاء العرب، وكثر في كلامهم. وتكون الفصاحة أيضاً بالنسبة إلى المعنى، وهو أن يكون الكلام مخلصاً من غيره.

والبلاغة تتعلق بالمعنى فقط، وهو أن يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه. ومما يعين على ذلك الفصاحة في كلام العرب، لا أن الفصاحة من أجزاء البلاغة، فإن الأعجمي إذا كلّم الأعجمي، فبلغ منه المعنى غاية مبلغه كان كلامه بليغاً، ووصف البلاغة، وكلامه ليس من كلام العرب.

والبيان في عرف الكلام أتمّ من كل واحد من الفصاحة والبلاغة، لأن كل واحد منها من مادّته، وداخل في حقيقته. ولذلـك قلنا «علم

البيان»، وتكلمنا فيه في الفصاحة والبلاغة وغيرهما، ولم يوضع علم للفصاحة، ولا علم للبلاغة.

و(البيان) عند البلاغيين -كما سبق- علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

فمثال إيراد المعنى بطرق مختلفة، في باب (الكناية) أن يقال في وصف زيد بالجود مثلا: زيد مهزول الفصيل، وزيد جبان الكلب، وزيد كثير الرماد. فهذه التراكيب تفيد وصفه بالجود على طريق الكناية، لأن هزال الفصيل إنما يكون بإعطاء لبن أمه للأضياف. وجبن الكلب لكثرة الأضياف فلا يعادي أحداً، ولا يتجاسر عليه، وهو معنى جبنه. وكثرة الرماد من كثرة الإحراق للطبائخ من كثرة الأضياف.

وهي مختلفة وضوحاً. وكثرة الرماد أوضحها، فيخاطب به عند المناسبة كأن يكون المخاطب لا يفهم بغير ذلك.

ومثال إيراده بطرق مختلفة في باب (الاستعارة) أن يقال مثلا في وصفه بالجود: رأيت بحراً في الدار، في الاستعارة (التحقيقية)، وطمّ زيد بالإنعام جميع الأنام، في (الاستعارة بالكناية)، لأن الطموم، وهو الغمر بالماء من وصف البحر، فدلّ على أنه أضمر تشبيهه بالبحر في النفس، وهو الاستعارة بالكناية، ولّجة زيد تتلاطم أمواجها، لأن اللجّة والتلاطم للأمواج من لوازم البحر. وذلك مما يدلّ على إضمار التشبيه في النفس أيضاً. وأوضح هذه الطرق الأوّل، وأخفاها الوسط.

ومثال إيراده في التشبيه أن يقال: زيد كالبحر في السخاء، وزيد بحر. وأظهرها ما صرّح فيه بالوجه، وأخفاها - وهو أو كدها - ما حذف فيه الوجه والأداة معاً.

فيخاطب بكل من هذه الأوجه في هذه الأبواب بما يناسب المقام من الخفاء والوضوح. ويعرف ذلك بهذا الفن.

ومما تقدم يعلم أن (البيان) يطلق على معنيين:

١ - معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة والإصابة والوضوح والجمال. وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

٢ - معنى علمي ضيّق، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز أو الكناية، كما سلف.

وقد حصر البلاغيون أصول علم البيان في أربعة أصول هي:

(١) أصلان ذاتيان، وهما المجاز والكناية.

(٢) أصل واحد وسيلة، وهو التشبيه.

(٣) أصل واحد، جزء من أصل، وهو الاستعارة.

٩٣ - التبيين

هو اللقب الذي اختاره أبو هلال العسكري لما سمّاه قدامة بن جعفر (التوشيح) وسيأتي في باب الواو.

٩٤ - المبيِّنَة

التورية (المبيِّنة) هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد.

وقد سمّيت بذلك لتبيين المورّى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفيّا، فلما ذكر لازمه تبيّن. نحو قول الشاعر:

يا من رآني بالهموم مطوّقاً وظلِلْت من فقدي غصوناً في غصون
أتلومُني في عظم نَوْحي والبكا شأن المطوّق أن ينوحَ على غصون

والتورية المبيَّنَة قسمان بحسب ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

باب التاء

٩٥ - الإتباع بالبدل

يأتي في الكلام لتقرير المسند إليه والإسناد، زيادة على أصل المعنى، لأن البدل على نية تكرير العامل، ففيه تقرير للمسند إليه بذكره مرتين. وفيه تقرير للإسناد كذلك، نحو: جاءني أخوك زيد، في بدل الكل، وجاءني القوم أكثرهم، في بدل البعض، وسُلب زيد ثوبه، في بدل الاشتمال.

ووجه التقرير في بدل البعض والاشتمال أن المتبوع يشتمل على التابع إجمالاً في بدل البعض، ويشعر به بحيث يصح إفادة المعنى بكل من البدل والمبدل منه في بدل الاشتمال.

أما بدل الغلط عن سبق لسان أو نسيان فلا يقع في كلام الفصحاء. أما إذا ذكر قصداً للترقي من الأدنى إلى الأعلى، نحو: زيدٌ بدرٌ شمسٌ، فهذا مما يقع في الفصيح. ويسمى (غلط بداء).

٩٦ - الإتباع بالعطف

ويكون لتفصيل المسند إليه مع الاختصار، نحو: جاءني زيد وعمرو، ففيه تفصيل للفاعل، من غير دلالة على تفصيل الفعل بأن المجيئين كانا معا أو مرتبين، مع مهلة أو بدونها.

وكما يكون العطف لتفصيل المسند إليه يكون لتفصيل المسند في نحو:

جاء زيد فعمروٌ، أو ثم عمرو، أو جاء القوم حتى خالد، فتدل الفاء على التعقيب، وثم على التراخي.

وتفصيل المسند في العطف بحتى معتبر من تعلقه بالمتبوع أولاً، وبالتابع ثانياً، من حيث أنه أقوى أجزاء المتبوع أو أضعفها، من غير أن يلاحظ فيها ترتيب خارجي.

وتفصيل المسند إليه في هذه الثلاثة، وإن كان حاصلاً، إلا أنه غير مقصود لذاته.

وقد يكون العطف لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب، نحو: جاء زيدٌ لا عمروٌ. أو لصرف الحكم عن محكوم عليه إلى محكوم عليه آخر في نحو: جاء زيد بل عمروٌ، وفي نحو: ما جاء زيد بل عمرو، فإن (بل) للإضراب عن المتبوع وصرف الحكم إلى التابع. والمصروف إلى التابع عند سبق النفي حكم مثبت عند الجمهور، فالمراد بالصرف فيه تغيير الحكم، لا إثبات النفي.

وقد يكون العطف للشك أو التشكيك في نحو: جاءني زيد أو عمرو. أو للإيهام في نحو قوله تعالى: «وإنّا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مُبين». والشاهد في (أوْ) الأولى العاطفة على المسند إليه.

وقد يكون للتخيير أو الإباحة في نحو: كُلْ رمّاناً أو تفاحاً.

٩٧ - الإتباع بعطف البيان

إتباع المسند إليه بعطف البيان يكون لإيضاحه، إما باسم مختص به، نحو: قدم صديقك خالدٌ، أو بغير الاسم، كقول الشاعر:

والمؤمنُ العائذاتِ الطيرَ تمسحُها رُكبانُ مكّةَ بين الغيلِ والسنَدِ

فالطير عطف بيان للعائذات.

٩٨ - تتابع الإضافات

عيب يخل بفصاحة الكلام، وهو كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة غالباً، مثل قول ابن بابك:

حمامةَ جرعا حومة الجندل اسجعي فـأنت بمرأى من سعـاد ومسمع

ففيه إضافة (حمامة) إلى (جرعا) ثم إضافة (جرعا) إلى (حومة) ثم إضافة (حومة) إلى (الجندل).

٩٩ - الإتباع والمزاوجة

قال ابن فارس في مقدمة كتابه «الاتباع والمزاوجة»:

هذا كتاب الإتباع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين:

أحدهما: أن تكون كلمتان متواليتان على روي واحد.

والوجه الآخر: أن يختلف الرويان.

ثم تكون بعد ذلك على وجهين:

أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف.

والآخر: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى، ولا بيّنة الاشتقاق، إلا أنها كالإتباع لما قبلها.

وكذلك روى عن بعض العرب أنه سئل عن هذا الإتباع، فقال: شيء نَتِدُ به كلامنا!...

تقول العرب: إنه لساغِبٌ لاغبٌ، فالساغب الجائع، واللاغب المعيي الكالّ، وهو السغوب واللغوب... قال الأصمعي: رجل خيّاب تيّاب، قال: «خياب» من خاب، و«تياب» تزويج، وهو يصلح أن يكون إتباعاً. ويقال: «خياب هياب» فهاتان معروفتا المعنى...

ومما يراد تأليف الكلام قولهم: «أرَبَّ فلانٌ وألبَّ»، فهو «مُرِبٌّ ملبّ» إذا أقام. و«ما زال يفعله مذ شبّ إلى أن دبّ» يريدون مذ كان شابّا إلى أن دبّ على العصا. ويسألون المرأة فيقولون: «أشابة أم ثابّة» كأن الثابة خلاف الشابة، و«ماله حَلوبة ولا رَكوبة» الحلوبة ما تحلب، والركوبة ما تركب... (الإتباع والمزاوجة ٣).

وقال ابن فارس في خاتمة كتابه: قد ذكرت ما انتهى إلي من هذا الباب، وتحريت ما كان منه كالمقفى، وتركت ما اختلف رويُّه...
(الإتباع والمزاوجة ٢٤).

١٠٠ - الاستتباع

من المحسنات المعنوية، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، كقوله:

نهبْتَ من الأعمار ما لو حويْتَه لهنِّئَت الدنيا بأنك خالدُ

مدحه بالنهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها.

١٠١ - التّتبيع

من أنواع (الإشارة) عند ابن رشيق، وقوم يسمونه (التجاوز). وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء، فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة، وينوب عنه في الدلالة عليه. وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة:

ويُضحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها «نَئُومُ الضُّحا لم تنتطق عن تفضُّلِ

فقوله «يضحي فتيت المسك» تتبيع، وقوله «نئمُ الضحا» تتبيع ثان، وقوله «لم تنتطق عن تفضل» تتبيع ثالث. وإنما أراد أن يصفها بالترفه

والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة، وأنها شريفة مكفية المئونة، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة.

ونظيره قول الأخطل يصف نساءً:

لا يصطلين دخان النار شاتية إلا بعُود يلنجوجٍ على فحمِ

فذكر أنهنّ ذوات تملك وشرف حال. وأين هذا من قول النابغة في معناه وقصده:

ليستْ من السود أعقاباً إذا انصرفتْ ولا تبيعُ بِجَنْبَيْ نخلة البُرَمَا؟

كأنها إن لم تكن سوداء العقبين بياعة للبرم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة!

وقال النابغة - وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقة فيها - فذكر القرط، إذ كان مما يتبع وصف العنق،ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الشعراء:

إذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها ومن يتعلّقْ حيثُ عُلِّق يَفْرقِ

فجعل رعاثها يخاف ويفرق، وعذره ببعد مسقطه. فتناول هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة، فأوضحه بقوله:

بعيدةُ مهوى القرط إمّا لنوفلٍ أبوها وإمّا عبدشمسٍ وهاشمِ

وانظر (الكناية) في باب الكاف.
وانظر (الإرداف) في باب الراء.

١٠٢ - التبعية

تنقسم الاستعارة بحسب لفظها إلى استعارة أصلية، واستعارة تبعية.

والاستعارة (التبعية) هي التي لا يكون المستعار فيها اسم جنس غير مشتق، فيكون فعلاً أو اسمًا مشتقاً أو حرفا.

وسميت هذه الاستعارة (تبعية) لأنها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً، والأفعال والصفات المشتقة منها بمعزل عن أن توصف. والمحتمل للاستعارة في الأفعال والصفات المشتقة منها هي مصادرها، وفي الحروف متعلقات معانيها. فتقع الاستعارة هناك، ثم يسري فيها.

ومتعلقات معاني الحروف ما يعبّر عنها عند تفسيرها، مثل قولنا: إن معنى «من» ابتداء الغاية، ومعنى «إلى» انتهاء الغاية.

فاستعارة الفعل نحو قول الله تعالى «بل نقذفُ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» فالمعنى على الحقيقة: بل نورد الحق على الباطل فيذهبه.

فقد شبه الإيراد بالقذف، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، ثم اشتق من القذف بمعنى الإيراد «قذف» بمعنى «أورد» على سبيل الاستعارة التصريحية «التبعية» واستعار الدمغ للمحو بجامع الإذهاب في كل.

واستعارة المشتق نحو: حكم على قاتلك بالسجن، من القتل بمعنى الضرب الشديد.

واستعارة الحرف نحو قوله تعالى «ولأصلبنكم في جذوع النخل» فقد شبّه مطلق الارتباط بين المستعلي والمستعلى عليه بمطلق الارتباط بين الظرف والمظروف، بجامع التمكن أو مطلق الارتباط في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات. واستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية.

١٠٣ - المتابعة

هي إثبات الأوصاف في اللفظ على ترتيب وقوعها. مثل قول الله عز

وجلّ: «خلقكمْ من ترابٍ ثم من نطْفةٍ ثم من عَلَقةٍ». ومثل قول زهير بن أبي سلمى:

يؤخِّرْ فيوضع في كتابٍ فيدخرْ ليوم الحسابِ أو يعجَّل فينقَمِ

١٠٤ - التوابع

انظر (الإرداف والتوابع) وسيأتي في باب الراء.

١٠٥ - التّام

أحد قسمي التجنيس: التام، وغير التام.

والتجنيس التام أن تتفق الكلمتان في لفظهما، ووزنهما، وحركاتهما، ولا تختلفا إلا من جهة المعنى. وأكثر ما يقع في الألفاظ المشتركة.

ومثاله من كتاب الله تعالى «ويوم تقومُ الساعةُ يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» وليس في القرآن من التجنيس الكامل إلا هذه الآية. فالساعة الأولى عبارة عن القيامة، والساعة الثانية هي واحدة الساعات، لكنهما اتفقتا لفظاً، فلهذا كان جناساً تاماً.

ومن السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم، لما نازع الصحابة جرير ابن عبدالله في أُحُد زمام ناقة الرسول أيهم يقبضه، فقال عليه السلام: خلّوا بين جرير والجرير!

ومنه قول أبي تمام:

ما مات مِنْ كرم الزمان فإنْه يَحْيَا لدى يحيى بنِ عبدِالله

ومنه قولهم: لولا اليمين لقبّلتُ اليمين، فاليمين الأولى الألية أو القسم، واليمين الثانية الجارحة. ومنه قولهم: ما ملأ الراحة من استوطن الراحة، فالراحة الأولى هي الجارحة، والراحة الثانية هي نقيض الشقاء.

والتجنيس التام يسميه قدامة بن جعفر (المطابق) وسيأتي في باب الطاء.

ويسمى أيضاً (المستوفي) وسيأتي في باب الواو.
ويسمى كذلك (المماثلة) وستأتي في باب الميم.
ويسمى أيضاً (التجنيس الكامل).

١٠٦ - التتميم

عند قدامة من نعوت المعاني. وهو عنده أن يذكر الشاعر المعنى، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئا إلّا أتى به، مثل قول نافع بن خليفة الغَنَوي:

رجالٌ إذا لم يُقبل الحقُّ منهمُ ويُعْطَوْهُ عاذُوا بالسيوف القواطع

وإنما تمت جودة المعنى بقوله «ويُعْطوه» وإلا كان المعنى منقوص الصحة. ومثل قول عُميرْ بن الأيْهم التغلبي:

بها نِلْنا القرائب من سِوانا وأحرزْنا القرائب أن تُنالا

فالذي أكمل جودة هذا البيت قوله «وأحرزنا القرائب أن تنالا» مع أنهم نالوا القرائب من سواهم، ومثله قول طرفة:

فسقَى ديارك غيرَ مفسدِها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

فقوله «غير مفسدها» إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل «غير مفسدها» لعيب كما عيب ذو الرمة في قوله:

ألا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البِلَى ولا زال منهلاً بجرْعائكِ القطرُ

فإن الذي عابه في هذا القول إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه إفساداً للدار التي دعا لها، وهو أن تغرق بكثرة المطر. ومثل قول مضرِّس بن رِبْعي:

والمانعون إذا كانتْ ممانعةٌ والعائدون بحُسْناهمْ إذا قدرُوا

. . . ومثل قول النمرِ بن تولب:

لقد أصبحَ البيضُ الغواني كأنما يَـرَيْنَ إذا ما كنتُ فيهنَّ أجـرَبـا
وكـنـتُ إذا لاقـيتـهـنَّ بـبـلدةٍ يقلْن على النكراء: أهلاً ومَرْحَبَا

فقوله «على النكراء» أتم لجودة المعنى، وإلا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر أن يقلن له «أهلا ومرحبا»!

وعقد أبو هلال في (الصناعتين) فصلاً في «التتميم والتكميل» قال: وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعـطيه نصيبـه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً فيه توكيده إلا تذكره، كقول الله تعالى «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيينّه حياة طيبة»، فبقوله تعالى «وهو مؤمن» تم المعنى.

ونحو قوله سبحانه «إن الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا» فبقوله تعالى «استقاموا» تم المعنى أيضا. وقد دخل تحته جميع الطاعات، فهو من جوامع الكلم . . .

ومن البلاغيين من يسمي التتميم (التمام).

وانظر (التحرز مما يوجب الطعن) في باب الحاء.

وانظر (الاحتراس) في باب الحاء أيضا.

وانظر (التكميل) في باب الكاف.

وانظر (الإيغال) في باب الواو.

١٠٧ - التتميم

وهو من ضروب (الإطناب) عند البلاغيين. وهو أن يؤتى في كلام

لا يوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام.

ويكون ذلك لنكتة بلاغية، كالمبالغة في نحو قوله تعالى «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمًا وأسيراً» على وجه، وهو أن يكون الضمير في «حبه» راجعا إلى الطعام، أي يطعمونه مع اشتهائه والاحتياج إليه. فإن جعل الضمير لله تعالى، أي: على حب الله، فهو لتأدية أصل المراد.

ونحوه «وآتى المال على حبه» وكذا «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون». وقول الشاعر:

إني - على ما ترينَ من كِبَرِي ... أعــرفُ من أينَ تؤكلُ الـكـتـفُ!

وقول زهير:

من يلقَ يوماً، على عِلاّته، هَرِماً ... يلقَ السماحةَ منه والندى خُلقَا

١٠٨ - التمام

عند بعض البلاغيين هو (التتميم). وقد سبق في هذا الباب.

١٠٩ - المتوّج

من (التاريخ الشعري): وهو ما تحسب أول كلماته دون باقيها، كقول بعضهم مؤرخا لسنة ١١٠٢هـ:

قـد جـاء عـامٌ جـديـدٌ ... لـكـلّ خـيـرٍ يـحـوزُ
أرخ أوائـل «قـول ... بـكـلّ خـيـر تَـفـوزُ»

وانظر (التاريخ الشعري) وقد سبق في باب الهمزة.

باب الثاء

١١٠ - الإثبات

من المجاز، هو (المجاز العقلي)، وسمِّي مجازاً في إثبات أحد الطرفين للآخر. والتقييد بالإثبات لأشرفيته، فمثل «فما ربحتْ تجارتهُم» جعل من قبيل المجاز لكون إسناد الربح إلى التجارة إسناداً إلى غير ما هو له. أو أن ما ربحت تجارتهم بمعنى خسرتْ، فالمجاز العقلي كما يكون في الإسناد المثبت يكون في المنفيّ أيضاً.

وانظر (المجاز) في باب الجيم.

وانظر (العقلي) في باب العين.

١١١ - إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء

وهو أن يقصد المتكلم أن يفرد إنساناً بصفة لا يشركه فيها غيره، فينفي تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس،، ويثبتها له خاصة، كقول الخنساء في أخيها صخر:

وما بلغتْ كفُّ امرىء متناولاً ... من المجد إلّا والذي نلتَ أطولُ

وما بلغ المهدُون للناس مِدْحةً ... وإن أطنبوا إلّا الذي فيك أفضلُ

فتناوله أبو نواس، فقالَ في مدح محمد الأمين:

إذا نحنُ أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نُثني وفوقَ الذي نُثْني

وإنْ جرت الألفاظ منّا بمدْحةٍ ... لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

لم يتعرض أبو نواس للبيت الأوَّل من بيتي الخنساء البتّة، وإنما تناول معنى البيت الثاني، فعمله برمّته في بيته الأول، وعلم لحذقه أن المعنى ناقص من جهة أنه لم يأتِ منه إلا بتفضيل ما قيل في ممدوحه على ما قيل في غيره من سائر الناس، وهو معنى الخنساء، وقد بقي من تمام معنى هذا الممدوح المخصوص بما يقوله هو في مدح غير ممدوحه، فأخبر أنه يعني به ممدوحه وثبوته له، وإن واجهت الألفاظ غيره، فجعل لفظ مدحه لغير ممدوحه، ولممدوحه معناه.

ومن هذا الباب قسم يقع في التشبيه والإخبار، وهو أن يكون للمشبّه أو المخبَر عنه صفات، فيعمد المتكلم إلى نفي بعضها نفياً يلزم منه إثبات ما في تلك الصفات له، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام علي: «أمَا ترضَى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي»؟! فسلبه النبوّة مستثنياً لها من جميع ما كان لها من موسى وهارون عليهما السّلام.

ومن القسم الأول من هذا الباب جميع معجزات الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - فإن صورة المعجزة تنسب للنبيّ الذي جاءت على يده، وتعدّ من فعله مجازاً، وهي في الحقيقة فعل الله تعالى. ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى «وما رميْتَ إذ رميْتَ ولكنّ الله رمَى» فأثبت الرمي للنبيّ صلى الله عليه وسلّم، إذ جاءت صورته على يده، ونفي معناه عنه؛ إذ كان لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلا من الله سبحانه، فإن كل حصاة أصابت عين إنسان. وهذا لا يكون إلاّ من فعل الله تعالى. (وانظر بديع القرآن ٣٠٤).

١١٢ - التثليم

عند قدامة، من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن. وهو أن يأتي الشاعر

بأشياء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها. مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

لا أرى من يعينني في حياتي   غيرَ نفسي إلّا بني إسْرالِ

أراد بني إسرائيل... وقال علقمة بن عَبَدة:

كأن إبريقهم ظبيٌ على شرَفٍ   مفدَّمٌ بَسبا الكتّان ملثومُ

أراد «بسبائب الكتّان» فحذف للعروض. وقال لبيد بن ربيعة:

* دَرَسَ المنَا بمُتَالعٍ فأبانِ *

أراد «المنازل» فقال «المنَا»... فثلم ونقص الكلمة للعروض - وانظر «نقد الشعر» ١٣٧.

١١٣ - الاستثناء

قال أبو هلال العسكري: والاستثناء على ضربين:

فالضرب الأول: هو أن تأتي بمعنى تريد توكيده والزيادة فيه، فتستثني بغيره، فتكون الزيادة التي قصدتها، والتوكيد الذي توخيّته في استثنائك، كما أخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرني أبو عمر الزاهد، قال: قال أبو العباس: قال ابن سلام لجندل بن جابر الفزاري[1]:

فتىً كملتْ أخلاقهُ غيرَ أنّه   جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا
فتىً كان فيه ما يسرُّ صديقه   على أنّ فيه ما يُسوء الأعاديا

فقال: هذا اسْتثناء، فتبين هذا الاستثناء لهم، كما قال النابغة[2]:

ولا عيب فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم   بهنَّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ

(١) البيتان في أكثر المصادر للنابغة الجعدي.
(٢) هو النابغة الذبياني.

ومثله قول أبي تمام:

تنصّل ربّها من غير جُرْمٍ ... إليك سوى النصيحة في الوِدَاد

وقال أبو هلال:

ولا عيبَ فيه غير أنّ ذوي النّدى ... خِساسٌ إذا قيسُوا به ولئامُ

والضرب الآخر: استقصاء المعنى، والتحرّز من دخول النقصان فيه.

مثل قول طرفة:

فسقى ديارَكِ غيرَ مُفسدِها ... صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

وقول الآخر:

فلا تبعَدَنْ إلّا من السّوءِ إنني ... إليك وإنْ شطتْ بيَ الدارُ نازعُ

وقال الربيع بن ضبع:

فَنِيتُ ولا يفنى صَميعي ومنطقي ... وكلّ امريءٍ إلا أحاديثَه فانِ

وقال أعرابي يصف قوساً:

* خرقاءُ إلا أنّها صَنَاعُ *

وقال آخر في الليل:

منها الدَّجُوجيُّ ومنها الأرْمَكُ[1] ... كالليل إلا أنها تَحرَّكُ

قلت: الضرب الأول هو (تأكيد المدح بما يشبه الذم) عند البلاغيين وابن المعتز، والضرب الثاني هو (الاحتراس).

وانظر (تأكيد المدح): وقد سبق في باب الهمزة.
وانظر (الاحتراس): وسيأتي في باب الحاء.

١١٤ - الاستثناء

قال ابن أبي الأصبع: الاستثناء كالاستدراك، كلّ منهما على قسمين:

(١) الدجوجي: الشديد السواد، والأرمك الذي يخالط غبرته سواد.

لغويّ، وصناعي. فاللغويّ قد فرغ النحاة من تقريره، والصناعي هو المتعلق بعلم البيان.

والفرق بينهما أن الصناعيّ لا بدّ أن يتضمّن ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدلّ عليه اللغويّ، كقوله تعالى في (الاستدراك): قالتِ الأعرابُ آمنّا قل لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلمْنا» فإن الكلام لو اقتصر فيه على ما دون الاستدراك لكان منفِّراً لهم، لأنهم ظنّوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادهما إيماناً، فأوجبت البلاغة بتبين الإيمان، فاستدرك ما استدركه من الكلام، ليعلم أن الإيمان موافقة القلب للّسان، ولأن انفراد اللسان بذلك يسمّى إسلاماً لا إيماناً، وزاده إيضاحاً بقوله تعالى «ولما يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم». فلما تضمّن الاستدراك إيضاح ما على ظاهر الكلام من الإشكال عُدّ من المحاسن.

وكذلك (الاستثناء) لا بدّ من تضمّنه معنى زائداً على الاستثناء، كقوله تعالى: «فسجدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعونَ إلاّ إبليس» فإن هذا الاستثناء لو لم يتقدّم لفظه هذا الاحتراس من قوله تعالى «كلّهم أجمعون» لما جاز إثباته في أبواب البديع، فإنه لو اقتصر فيه على قوله «فسجد الملائكة إلا إبليس» لأحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد، فيتأسَّى به إبليس، ولا يكون منفرداً بهذه الكبيرة، لاحتمال أن تكون آلة التعريف للعهد لا للجنس. فلمّا كان هذا الإشكال يتوجّه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الإتيان بالتوكيد، ليعلم أن آلة التعريف للجنس، فيرتفع هذا الإشكال بهذا الاحتراس. فحينئذ تعظم كبيرة إبليس، لكونه فارق جميع الملأ الأعلى، وخرق إجماع الملائكة، فيستحق أن يفرد بما جرى عليه من اللعن إلى آخر الأبد.

ومن ذلك قوله تعالى: «فلبثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاّ خمسيَن عاماً» فإن الإخبار عن هذه المدّة بهذه الصيغة يمهّد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم. إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمائة

وخمسين عاماً، لما كان لهذه العبارة من التهويل ما ليس للأولى، لأن لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع، فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء. وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعدما تقدّمه وقعٌ يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف، فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في إصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعاء.

ومن الاستثناء نوع لا يدخل في أبواب البديع إلا بعد أن يوصف المستثنى بوصف يتضمن نوعاً من المحاسن، أو يذيّل بمعنى مرتبط بمعناه يتضمن معنى س معاني البديع. كقوله تعالى «فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدينَ فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلّا ما شاء ربُّك إنّ ربّك فعالٌ لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنةِ خالدينَ فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ».

فإنه سبحانه كما علم أن أهل الشقاوة الذين تناولهم هذا الوعيد صنفان: عُصاة المؤمنين، وكفار الأمم. وأحد الصنفين غير مخلدّ في النار على مذهب أهل الحق. استثنى سبحانه من خلود الأشقياء استثناء مذيلاً بمعنى يشعر بانقطاع الخلود حيث قال «إن ربّك فعّال لما يريد». فكان مفهوم ذلك الإعلام بأنه لا اعتراض عليه في إخراج بعض أهل الشقاوة من النار.

ولما علم بأن كل من دخل الجنة لا يخرج منها، وأن أهل السّعادة كلهم سواء في الخلود. كقوله تعالى: «وما هم منها بمخرَجين» وإن تفاوتت درجاتهم فيها، وصف سبحانه خلودهم بعدم الانقطاع، حيث قال: «عطاء غير مجذوذ» أي غير منقطع. وإذا علم أن خلودهم في الجنة غير منقطع علم أن ذلك الاستثناء إنما كان لمدة مُقامهم في البرزخ، أو مقامهم في عرصة القيامة، أو غير ذلك من الأقوال التي يوحيها التأويل الذي وجّه إليه لامتناع الاستثناء من الخلود. ولما كان المستثنى في هذا الاستثناء موصولاً بصلة تصحح معنى الكلام، وتوضح ما على ظاهره من الإشكال ليوصف بحسن البيان، استحق دخوله في أبواب البديع... وانظر (بديع القرآن ١٢٣).

باب الجيم

١١٥ - المجْدُود

من الشعر: ما اشتهر وجرى على ألسنة الناس، نحو قول عنترة:

* وكمــا علمتِ شمـائلي وتكــرّمي *

فقد رزق جَدّاً واشتهاراً على قول امرىء القيس:

وشمــائلي مـا قــد علمتِ ومـا نبحتْ كــلابُــك طــارقــاً مثلي

ومنه أخذ عنترة بيته الذي اشتهر وجرى على ألسنة الناس. ونحو قول سَلْم الخاسر:

من راقبَ النــاسَ مــات غمّــاً وفـاز بــالــلذّةِ الــجــســورُ

فقد رزق جدّاً واشتهاراً على قول بشار:

من راقب الناسَ لم يظفرْ بحاجته وفـاز بالـطيّبات الفـاتـكُ اللّهِـجُ

ومنه أخذ سَلْم بيته الذي اشتهر وجرى على ألسنة الناس.

١١٦ - الاجتذاب والتركيب

أن يؤلف الشاعر البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض. مثل قول يزيد بن الطثرية:

إذا مـا رآني مقْبِلا غضّ طـرفَـهُ كأنّ شعاعَ الشمسِ دوُني يقابلُهْ

فأوّله من قول جميل:

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيّةٍ يقولون من هذا؟ وقد عرَفوني

ووسطه من قول جرير:

فغُضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي:

إذا أبصرْتني أعرضْت عنيّ كأنّ الشمسَ من حولي تدورُ

وبعض العلماء يسمى مثل هذا (الالتقاط والتلفيق).

١١٧ - التجريد

وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه، وهو أقسام:

منها نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم. أي بلغ من الصداقة حدّاً صحَّ معه أن يُستخلص منه صديق آخر.

ومنها نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر. ومنه قول الشاعر:

وشوهاء تعدُو بي إلى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفَنيق المرحَّل

أي تعدو بي، ومعي من استعدادي للحرب لابسٌ لامةً.

ومنها قوله تعالى: «لهمْ فيها دارُ الخُلد» لأن جهنَّم أعاذنا الله منها هي دار الخلد، لكن انتزع منها مثلها، وجعل فيها مقرّاً للكفار، تهويلاً لأمرها.

ومنها نحو قول الحماسي:

فإذا بقيت لأرحلن بغزوةٍ تحوي الغنائمَ أو يموتَ كريم

وعليه قراءة من قرأ «فإذا انشقت السّماء فكانتْ وردةٌ كالدِّهان» بالرفع بمعْنى فحصلت سماءٌ وردةٌ. وقيل تقدير الأول: أو يموت مني كريم. وتقدير الثاني: فكانت منها وردة كالدهان.

ومنها نحو قوله:

يا خيرَ مَن يركبُ المطيَّ ولا ... يشربُ كأساً بكفِّ مَنْ بَخِلا

ونحوه قول الآخر:

إن تلْقني لا ترى غيري تناظره ... تنسَ السِّلاحَ وتعرفْ جبهةَ الأسد

ومنها مخاطبة الإنسان غيره، وهو يريد نفسه، كقول الأعشى:

ودِّع هُرَيرةَ إنّ الركبَ مرتحِلُ ... وهل تطيقُ وداعاً أيّها الرجلُ

ومنه قول أبي الطيّب:

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ ... فليُسعدِ النطقُ إن لمْ تُسعِدِ الحالُ

ومنه قول الصِّمّة العنبريّ:

حننتَ إلى ريّا ونفسُك باعدتْ ... مزارَكَ من ريّا وشعباكُما معاَ

فما حسنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً ... وتجزعَ أنْ داعي الصبابة أسمَعَا

ومنه قول الحيْص بيْص:

إلامَ يراك المجدُ في زيّ شاعرٍ ... وقد نحلتْ شوقاً فروعُ المنابرِ

كتمتَ بصيتِ الشعر علماً وحكمةً ... ببعضها ينقاد صعبُ المفاخرِ

أمَا وأبيكَ الخَير إنك فارس الـ ... ـكلام ومحيي الدَّارِسَاتِ الغوابرِ

١١٨ - التجريد

قال العلوي في الطراز: إن التجريد في أصل اللغة هو إزالة الشيء

عن غيره في الاتصال، فيقال: جرّدت السيفَ عن غمده، وجرّدت الرجل عن ثيابه، إذا أزلتهما عنهما. ومنه قوله عليه السلام «لا مدّ ولا تجريد» يعني في حدّ القذف وحدّ الشرب. وأراد أنّ المحدود لا يمدّ على الأرض، ولا يجرّد عن ثيابه.

فأما في مصطلح علماء البيان فهو مقول على إخلاص الخطاب إلى غيرك وأنت تريد به نفسك. وقد يطلق على إخلاص الخطاب على نفسك خاصة دون غيرها.

وهو من محاسن علم البيان ولطائفه. وقد استعمل على ألسنة الفصحاء كثيراً، فصار مقصوراً على هذين الوجهين، فَلْنَقْصُر الكلام فيه عليهما، ونذكر له تقريرين:

التقرير الأول في (التجريد المحض): وهو أن تأتي بكلام يكون ظاهره خطاباً لغيرك، وأنت تريده خطاباً لنفسك، فتكون قد جردت الخطاب عن نفسك، وأخلصته لغيرك، فلهذا يكون تجريداً محققاً - وقد سبقت أمثلة ذلك في (التجريد) السابق.

التقرير الثاني في بيان (التجريد غير المحض): وهو أن تجعل الخطاب لنفسك على جهة الخصوص دون غيرها. والتفرقة بين هذا والأول ظاهرة، فإنك في الأول جردت الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك، فإطلاق اسم (التجريد) عليه ظاهر، بخلاف الثاني، فإنه خطاب لنفسك لا غير. وإنما قيل له (تجريد) لأن نفس الإنسان لما كانت منفصلة عن هذه الأبعاض والأوصال صارت كأنها منفصلة عنه، فلهذا سمي تجريداً. ومثاله ما قال عمرو بن الإطنابة:

أقول لها وقد جَشأتْ وجاشتْ مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي

ومن هذا ما قاله بعض الشعراء:

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يديَّ أصابتْني ولم تُرِدِ

من ذلك ما قاله الأعشى :

ودِّع هُـريرة إن الـركبَ مرتحـلُ   وهل تطيقُ وداعـاً أيها الـرجل؟

فهو في هذه الأبيات كلها خطابه مقصور على نفسه دون غيره .

فإذا تمهدت هذه القاعدة فهل يطلق اسم التجريد على النوع الثاني على جهة الحقيقة أم لا؟ وفيه مذهبان . ذلك أن بعض علماء البيان يذهبون إلى أنّ هذا النوع لا يطلق عليه اسم (التجريد) وإنما يقال له «نصف تجريد» وهذا هو الذي زعمه ابن الأثير، فإن التجريد الحقيقي هو ما ذكرناه في النوع الأول، وهو أن تخاطب غيرك وتوجّه الخطاب إليه وأنت تريد نفسك .

وأما ما هذا حاله فإنك توجه الخطاب فيه إلى نفسك، فلهذا كان نصف تجريد كما ترى . والحقيقة أن الإنسان لا يخاطب نفسه، وإنما يخاطب غيره . . . وانظر (الطراز ٧٦/٣) .

١١٩ - المجــرّدة

من (الاستعارة) هي التي تقترن بما يلائم المستعار له (المشبه) كقول البحتري :

يـؤدون الـتـحـيـةَ مـن بـعـيـد   إلـى قـمـرٍ مـن الإيـوانِ بـادِ

فقوله : «من الإيوان باد» تجريد، لأنه من ملائمات الرجل الذي هو المشبه، لا من ملائمات القمر الذي هو المشبه به، وكقولك رأيت أسداً يتكلم، ولقيت بحراً يضحك .

وانظر (المطلقة) وستأتي في باب الطاء .

وانظر (المرشحة) وستأتي في باب الراء .

وذكر العلوي أن الاستعارة تنقسم باعتبار اللازم لها إلى (مجـردة) و (موشحة) .

فإذا استعير لفظ لمعنى آخر فليس يخلو الحال إما أن يذكر معه لازم المستعار له، أو يذكر لازم المستعار نفسه، فإن كان الأول فهو (التجريد) وإن كان الثاني فهو (التوسيع)[1] فأما الاستعارة المجردة فإنما لقبت بهذا اللقب لأنك إذا قلت «رأيت أسداً يجدل الأبطال بنصله، ويشك الفرسان برمحه» فقد جردت قولك «أسدا» عن لوازم الآساد وخصائصها، إذ ليس من شأنها تجديل الأبطال، ولا شك الفرسان بالرماح والنّصال.

١٢٠ - المجــرَّدة

التورية (المجرّدة) هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين القريب أو البعيد. كقول الخليل لما سأله الجبّار عن زوجته، فقال: هذه أختي! أراد أخوّة الدين. وكقوله تعالى «وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار».

١٢١ - مجاراة المخاطب في اعتقاده

من الأغراض البلاغية التي تسوغ استعمال (إنْ) في حالة الجزم بوقوع الشرط. كقولك لمن يكذّبك: إنْ صدقتُ فماذا تفعل في أمري؟ مع علمك بأنك صادق.

وانظر (إنْ) وقد سبقت في باب الهمزة.

١٢٢ - الجزاءُ عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان

من وجوه (مخالفة ظاهر اللفظ معناه). وسيأتي في باب الخاء.

(١) لا يقتصر الأمر على هذين النوعين اللذين ذكرهما العلوي، فإن من الاستعارات ما يقترن بما يلائم المستعار له والمستعار منه معاً؛ أو يخلو من ملائمات كل منهما وذلك النوع من الاستعارة يجمع البلاغيون على تسميته (الاستعارة المطلقة).

١٢٣ - الجـــزئية

من علاقات (المجاز المرسل). وهي تسمية الشيء باسم جزئه، كالعين في الربيئة، لكونها الجارحة المقصودة في جعل الرجل «ربيئة» وما عداها لا يغني شيئا مع فقدها، فصارت كأنها الشخص كله. وعليه قوله تعالى «قم الليل إلّا قليلاً» أيْ: صَلِّ. ونحو: «لا تقم فيه أبدا» أي: لا تصلِّ. ونحو: «فتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ» وحقيقته: فتحرير عبد مؤمن، ونحو قول الشاعر:

وكـمْ علّمـتُـه نـظم القـوافـي فـلمّـا قـال قـافيـة هـجـاني

وحقيقته: وكم علمته نظم الشعر، والقافية جزء من هذا الشعر...

وقد اشترطوا في العلاقة أن يكون الكلّ مركبا تركيباً حقيقياً، فلا يعبّر بالأرض عن مجموع الأرض والسماء، وأن يستلزم انتفاء هذا الجزء انتفاء ذلك الكل، وأن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود.

١٢٤ - التجـــزئة

هي أن يأتي المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية، ويجمعها كلها على وزنين مختلفين جزءا بجزء، أحدهما على رويّ يخالف روي البيت، والثاني على روي البيت، كقول الشاعر:

هنـديّـة لحـظاِتهـا خـطيّـة خـطراتهـا داريّـة نفحـاتهـا

١٢٥ - الاجتلاب

هو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر، فيصرفه إلى نفسه على جهة المثل. وقد يسمى (الاستلحاق)، وهذا نحو قول النابغة الذبياني:

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها تصفق في راووقهـا حين تقطب

تمـزَّزْتها والـديك يـدعو صبـاحه إذا مـا بنو نعش دَنَـوْا فتصـوَّبُـوا

فاستلحق البيت الأخير فقال:

وإجّانة ريّا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجة كوكبُ
تمزَّزْتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دَنَوْا فتصوَّبُوا

وربما اجتلب الشاعر البيتين على جهة المثل، فلا يكون في ذلك بأس، كما قال عمرو ذو الطوق:

صَدَدْتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكانَ الكأسُ مجراهُ اليمينا
وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمروٍ بصاحبِكِ الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم، فهما في قصيدته. وكان أبو عمرو بن العلاء وغيره لا يرونَ ذلكَ عيباً.

وقال جرير للفرزدق - وكان يرميه بانتحال شعر أخيه «الأخطل بن غالب»:

ستعلم من يكون أبوه قَيْناً ومن كانت قصائده اجتلابا

فإنما وضع جرير «الاجتلاب» مكان «السّرقة» و«الانتحال» لضرورة القافية، وهذا رأي العلماء المحدثين.

أما ابن سلام الجمحي فينقل عن خلف الأحمر أنه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة الذبياني:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستنفر الحامي

للزبرقان بن بدر. قال ابن سلام: سألت يونس عن هذا البيت فقال: هو للنابغة، أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه، لا «مجتلِباً» له. وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة. وقد قال النابغة الجعدي في كلمة فخر بها ورد فيها على القشيري:

فإن يكن حاجب ممن فخرت به فلا يكن حاجب عمّاً ولا خالا

هلّا فخرت بيومي رَحرحان[1] وقد ظنت هوازن أن العزّ قد زالا
تلك المكارم لا قعبان[2] من لبن شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فإن بني عامر يروونه للنابغة الجعدي، ولكن الرواة مجمعون على أن قائله أبو الصلت بن ربيعة الثقفي. فإن ابن سلام جعل ما يأتي من كلام الغير على سبيل المثال ليس (اجتلابا) أي أن الاجتلاب عنده هو السرقة أو (الانتحال). فقد ذهب ابن سلام في «الاجتلاب» مذهب جرير في بيته السابق الذي هجا فيه الفرزدق. قال ابن رشيق: ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول.

١٢٦ - الجامع

في التشبيه هو (وجه الشبه)، وهو المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه تحقيقاً أو تخييلا.

وانظر (التحقيقي) في باب الحاء.
وانظر (التخييلي) في باب الخاء.

١٢٧ - الجامع

في الفصل والوصل، هو أمر بسببه يقتضي اجتماع الشيئين. والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعاً، أي أنه لابد أن يتحقق جامع بين المسند إليه في الجملة الأولى وبين المسند إليه في الثانية، وكذا بين المسندين فيهما. فيصح العطف في نحو «يشعر علي ويكتب» لأن المسند إليهما في الجملتين متحدان، فبينهما جامع عقلي. والمسندان هما الشعر والكتابة بينهما جامع خيالي، لتقارنهما في خيال الأدباء.

(١) رحرحان: اسم جبل قرب عكاظ كان له يوم من أيام العرب.
(٢) القعبان مثنى القعب، وهو القدح الضخم الذي يروي الرجل.

وفي نحو «يعطي الأمير ويمنع» لاتحاد المسند إليه فيهما أيضا، وتناسب العطاء والمنع بحكم التضاد، فبينهما جامع وهمي.

هذا عند اتحاد المسند إليهما كما رأيت في المثالين، أما عند تغايرهما فلا بد من مناسبة خاصة بينهما، ويكفي في ذلك المناسبة العامة، فالعطف صحيح في نحو «علي شاعر وخالد كاتب» وفي نحو «علي طويل وخالد قصير» عند تحقق مناسبة خاصة معلومة بين خالد وعلي، كأخوّة أو صداقة أو عداوة، أو اشتراكهما في تجارة، أو اتصافهما بعلم أو إمارة أو شجاعة... الخ.

أما مطلق المناسبة في شيء ما كالجرمية أو الحيوانية أو الإنسانية فلا تكفي. ففي المثالين المذكورين لا يصح العطف بدون مناسبة خاصة بين علي وخالد، بألّا يكونا أخوين أو صديقين... ولو كانت فيهما مناسبة بين المسندين. ولهذا حكموا بامتناع نحو «خفّي ضيق وخاتمي ضيق» مع اتحاد المسندين، لأنه لا مناسبة خاصة بين الخفّ والخاتم. ولا عبرة بكونهما معاً ملبوسين مثلاً، لبعد هذه المناسبة. وكذا لا يصح العطف في نحو «علي شاعر وخالد طويل» مطلقاً أي سواء كان بين علي وخالد مناسبة أو لم يكن، لعدم تناسب المسندين وهما الشعر وطول القامة.

والجامع بين الشيئين - مسند إليهما أو مسندين - إمّا عقلي أو وهمي أو خيالي، لأن العلاقة الجامعة لهما في القوة المفكرة، فإن كان أمراً حقيقياً فهو (العقلي).

وإن كان أمراً اعتبارياً، فإن كان غير محسوس فهو (الوهمي) وإن كان محسوساً فهو (الخيالي).

ولصاحب علم المعاني حاجة أكيدة إلى معرفة الجامع، لأهمية باب (الفصل والوصل) فيه، وهو مبني على الجامع لاسيما الخيالي، فإن مبناه على العرف والعادة.

وانظر (الجامع العقلي) في باب العين.
وانظر (الجامع الوهمي) في باب الواو.
وانظر (الجامع الخيالي) في باب الخاء.

١٢٨ - الجَمْع

وهو أن يجمع بين متعدّد اثنين أو أكثر في حكم واحد، كقوله تعالى «المال والبنون زينة الحياة الدنيا». ونحو قول أبي العتاهية:

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ مَفسدةٌ للمرْء أيُّ مَفسدَهْ

١٢٩ - الجمع

تشبيه الجمع: إذا تعدد المشبه به دون المشبه سمي (تشبيه جمع) للجمع فيه بين مشبهات بها. كقول البحتري:

بات نديماً لي حتى الصباح أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقَاح[(١)]

فقد شبه ثغره بثلاثة أشياء.

١٣٠ - الجمعُ مع التفريق

وهو أن يُدخل شيئان في معنى، ويفرّق بين جهتي الإدخال، أو أن يشبِّه المتكلم شيئين بشيء، ثم يفرق بين وجهي الاشتباه. كقول الشاعر:

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حَرِّها

---

(١) الأغيد الناعم، والمجدول من الجدل وهو الفتل، والمراد هنا دقة الخصر، والوشاح أديم عريض مرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وخصرها، والمنضد المنظم، والبرد حب الغمام، والأقاح جمع أقحوان، وهو ورد له نور.

١٣١ - الجمع مع التفريق والتقسيم

كقوله تعالى: «يومَ يأتي لا تَكَلَّم نفسُ إلا بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرضُ إلا ما شاء ربّك إنّ رَبَّكَ فَعال لما يريد. وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرض إلاّ ما شاء ربّك عطاءً غيَر مجذوذ» فقد جمع الأنفس بقوله: «لا تكلم نفسٌ» ثم فرّق بينهم بأن بعضهم شقي وبعضهم سعيد، ثم قسّم بأن أضاف إلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار، وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة بقوله: فأمّا الذين شقوا. . . الآية.

١٣٢ - الجمع مع التقسيم

وهو إمّا أن يجمع المتكلم أموراً كثيرة تحت حكم ثم يُقَسِّم بعد ذلك، أو يقسّم ثم يجمع. ومثال الأول قول المتنبي:

حتى أقام على أرباض خرشنة ... يشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبْي ما نكحوا والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فجمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها من معنى الشقاوة، ثم في البيت الثاني ذكر التقسيم.

ومثال الثاني قول حسّان بن ثابت:

قوم إذا حاربوا ضرُّوا عدوّهمُ ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوْا
سجية تلك منهم غير محدثَةٍ ... إن الحوادث فاعلم شرُّها البدع

١٣٣ - جمع الأوصاف

انظر (التقسيم) وسيأتي في باب القاف.

١٣٤ - جمع المختلفة والمؤتلفة

وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص به مدح الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية. وذلك كقول الخنساء في أخيها صخر، وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها، مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص به مدح الولد، فقالت:

جارى أباه فأقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحُضْرِ
وهما وقد برزا كأنهما ... صقران قد حطّا إلى وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزّت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما ... قال المجيب هناك: لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ... ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه ... لولا جلال السن والكبر

ومن هذا قول بعض المحدثين:

خُلقُوا وما خُلقُوا لمكرمة ... فكأنهم خُلقُوا وما خُلقُوا
رُزِقُوا وما رُزِقُوا سماح يدٍ ... فكأنهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا

فكل صدر من كل بيت مؤتلف المعنى، وكل عجز من كل بيت مختلف المعنى، وكل بيت جامع للمؤتلف والمختلف.

وهذا غير القسم الأول الذي مُثّل عليه بشعر الخنساء.

(وانظر بديع القرآن ١٣١).

١٣٥ - جمع المؤتلف والمختلف

عند أبي هلال العسكري: هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة

مختلفة أو متفقة، كقول الله تعالى «فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعَ والدمَ آياتٍ مفصلات» وقال عزّ اسمه: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي».

ومثاله من النثر ما كتب به الشيخ أبو أحمد: فلو عاش حتى يرى ما منينا به من وَغْد، حقير، نقير، نذل، رذل، غثّ، رثّ، لئيم، زنيم، أشح من كلب، وأذل من نقد، وأجهل من بغل، سريع إلى الشر، بطيء عن الخير، مغلول عن الحمد، مكتوف عن البذل... لجوج، حقود، حَزِق، نَزِق... يعتزي إلى أنباط سُقّاط، أهل لؤم أعراق، ورقّة أخلاق، وينتمي إلى أخبث البقاع ترابا، وأمرِّها شرابا، وأكمدها ثيابا، فهو كما قال الله تعالى: «والذي خَبُثَ لا يخرُجُ إلاَّ نَكِداً»، ثم كما قال الشاعر:

نبطيٌّ آباؤه لم يلده ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح
معشر أشبهوا القرود ولكن خالفوها في خفة الأوراح

ومثاله من المنظوم قول امرىء القيس:

سماحة ذا وبرُّ ذا ووفاءُ ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سَكِر

وقوله - وقد جمع فيه أوصاف الدمع من كثرته وقلته:

فدمعها سَكْبٌ وسَحٌّ وديمةٌ ورشٌّ وتَوْكافٌ وتنهملان

وانظر كتاب (الصناعتين) ٤٠٢.

١٣٦ - التجميع

من عيوب القوافي عند قدامة، قال: وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على رَوِيّ متهيىء لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فتأتي بخلافه، مثل ما قال عمرو بن شاس:

تذكرت ليلى لاتَ حيسن ادِّكارها وقد حُني الأصلاب ضلاًّ بتضلال

ومثل قول الشماخ:

لمن منـزلٌ عـافٍ ورسم منـازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها

(وانظر نقد الشعر) ١٠٩.

وقد شرح هذا ابن سنان الخفاجي فقال: لما قال «ادّكارها» أوهم أن الروي حرف الراء بوصل وخروج وردف قبله، ثم جاء بالقافية على اللام كذلك قول الشماخ.

(وانظر سر الفصاحة) ٢٢٠.

وقال ابن رشيق عن (التجميع) إنه تسمية قدامة، كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين. قال: ورأيت من يقول (التخميع) بالخاء، كأنه من الخمع[1] في الرجل (وانظر العمدة ١/١١٤).

وانظر (التصريع) في باب الصاد.
وانظر (التقفية) في باب القاف.
وانظر (المشطور) في باب الشين.

١٣٧ - التجميع

عند قدامة أيضا: هو ترك المناسبة في مقاطع الفصول في النثر، مثل قول سعيد بن حميد في أول كتاب له: «وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحرَّ، وإن كان قديم العبودية، ويسترق الشكر، وإن كان سالف فضلك لم يبقِ شيئاً منه» لأن المقطع على «العبودية» منافر للمقطع على «منه».

قلت: لعل قدامة لا يرى المنثور إلا مسجوعاً، وليس ذلك إلا لتعلقه بمذهب الصنعة.

(١) يقال خمع في مشيته أي ظلع، وبابه قطع وخضع. وبه (خماع) بالضم أي ظلع.

١٣٨ - الجملة الاسمية

الجملة الاسمية يؤتى بها للثبوت أو الثبات أي الدوام، فالأول بحسب الوضع، والثاني بحسب المقام، كما في المدح والذم، لأغراض تتعلق بذلك. كقول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرَّتنا لكن يمرُّ عليها وهو منطلق

يعني أن الإنطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائمًا.

قال عبدالقاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئا فشيئا، فلا تعرض في «زيد منطلق» لأكثر من إثبات الانطلاق فعلا، كما في «زيد طويل وعمرو قصير».

والجملة الاسمية المشتملة على الفعل، بأن يكون الخبر فيها جملة فعلية تفيد التجدد لا مجرد الثبوت ولا الثبات، وإنها تفيد الثبوت بأصل وضعها، أو الثبات بالمقام والقرائن في حالتين:

(١) الأولى ما إذا كان خبرها مفرداً نحو: زيد طويل. ونحو «هو منطلق» في البيت السابق.

(٢) والثانية ما إذا كان خبرها جملة خالية من الفعل، نحو زيد أبوه قائم، ونحو: عمرو أبوه مكرم الضيفان، لا في مثل «زيد أبوه قام» أو «زيد قام أبوه».

١٣٩ - الجملة الشرطية

يؤتى بالجملة شرطية لتقييد الفعل، أي الجزاء بالشرط، لاعتبارات تظهر من معاني أدواته. وذلك لأن المقصود من الجملة الشرطية هي النسبة التي يتضمنها الجزاء خبرية كانت أو إنشائية، والشرط قيد لها.

قال السكاكي: قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به، ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية أو الإنشائية.

فالجزاء إن كان خبراً فالجملة خبرية نحو: إن جئتني أكرمك، أي أكرمك لمجيئك. وإن كان إنشاءً فإنشائية، نحو: إن جاء زيد فأكرِمْه، أي أكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده في الجمل المصدرة بإِنْ وأمثالها في الجزاء. أما الشرط فهو قيد للمسند فيه.

١٤٠ - الجملة الظرفية

يؤتى بالجملة ظرفية في نحو: زيد عندك، لاختصار الفعلية، إذ الجملة الظرفية هي الظرف مع فاعله. أعني الظرف المستقر الذي يحذف متعلقه، ويصير نسياً منسياً، فيحصل الاختصار.

١٤١ - الجملة الفعلية

الجملة الفعلية قد يؤتى بها للتجدد والزمان باختصار. وبيان ذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة، بخلاف الاسم فإنه يدل عليه بها كقولنا: زيد قائم الآن، أو أمس، أو غداً.

ولما كان التجدد لازماً للزمان وهو غير قارّ الذات، أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود، وكان الزمان جزءاً من مفهوم الفعل كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد أيضا.

ويؤتى بها، أي بالجملة الفعلية، للاستمرار التجددي في المضارع، وذلك بحسب المقام، لا بحسب الوضع نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية، نحو «زيد منطلق» أي يحصل منه الانطلاق شيئا فشيئا، كقول طريف بن تميم:

أَوَ كلَّما وردت عكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفهم يتوسَّمُ

أي يصدر عنه تفرس الوجوه، وتأملها شيئاً فشيئاً، ولحظة فلحظة.

١٤٢ - المجمل

المجمل من التشبيه هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، وهو ما وجهه ظاهر يفهمه كل أحد، نحو: زيد كالأسد. وما وجهه خفي لا يفهمه إلا الخواص، كقول فاطمة الأنمارية - وقد سئلت عن بنيها: أيهم أفضل؟ - هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها. أي أنهم متناسبون في الشرف كما أن الحلقة المفرغة متناسبة الأجزاء في الصورة.

١٤٣ - المجنَّب

جعله ضياء الدين الأثير مما يشبه التجنيس، وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى، والجنيبة لها. ومثل له بقول البستي:

أبـا العبـاس لا تحسب بـأنّي ... لشيءٍ من حُـلاَ الأشعـارِ عَـارِي

فـلي طبـع كـسلسـالٍ مَـعيـن ... زلالٍ من ذُرا الأحجـار جـاري

وقال: إن دخول هذا الضرب في باب (لزوم ما لا يلزم) أولى من دخوله في التجنيس، لأنه بعيد عن مفهوم التجنيس الذي حاصله اتفاق اللفظ واختلاف المعنى. وهنا لم يتفق إلا جزء من اللفظ وهو أقله... وأي معنى نحصل عليه من قولنا «أشعار» و«عار» و«أحجار» و«جار»؟!

والعلوي يطلق على هذا النوع اسم (التجنيس المزدوج) وقال: هو أن تأتي في أواخر الأسجاع في الكلام المنثور، أو القوافي من المنظوم بلفظتين متجانستين، إحداهما ضميمة إلى الأخرى، على جهة التتمة والتكملة لمعناها... [الطراز ٢/٣٦٤].

١٤٤ - المجنَّح

وهو في الجناس غير التام أحد قسمي (القلب). والمقلوب المجنح هو

الذي يقع فيه أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره، لأن اللفظين في هذا الجناس القلبي صارا للبيت كالجناحين للطائر في وقوعهما متوازيين في الطرفين المتقابلين.

ومثاله قول الشاعر:

لاح أنوار الهدى من كفّه في كلّ حال

وانظر (القلب) في باب القاف.
وانظر (المردد) في باب الراء.

١٤٥ - الجناس

هو (التجنيس) وسيأتي.

١٤٦ - الجناس اللفظي

وينقسم إلى قسمين:

(١) الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها. مع اختلاف المعنى.

فإذا كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين، أو حرفين سمي الجناس (مماثلاً) ويسمى أيضاً (مستوفياً).

وإذا كانا من نوعين كفعل واسم خص باسم (الجناس المستوفى) نحو: ارع الجار ولو جار. ونحو قول الشاعر:

إذا رماك الدهر في معشر قد أجمع الناس على بغضهم
فدارِهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

(٢) الجناس غير التام. وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة - ويجب ألا يكون الاختلاف في العدد بأكثر من حرف.

واختلافهما يكون إما بزيادة حرف:

في الأول نحو: دوام الحال من المحال. ويسمى الجناس (المردوف).
أو في الوسط نحو: جدي جهدي. ويسمى الجناس (المكتنف) أو في الآخر نحو: الهوى مطية الهوان. ويسمى الجناس (المطرف).

ومنه الجناس المطلق: وهو الذي يتوافق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعها اشتقاق كقول صلى الله عليه وسلم: «أسلم سالمها الله» و«غفار غفر الله لها»، و«عصية عصت الله ورسوله».

فإن جمعها اشتقاق نحو: «لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد» فقد يسمى هذا (جناس الاشتقاق).

ومنه (الجناس المذيل) وهو الذي يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره.

ومنه (الجناس المطرف) ويكون الاختلاف بزيادة حرفين في أوله.

ومنه (الجناس المضارع) الذي يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم تتباعدا مخرجا:

إما في الأول نحو: ليل دامس، وطريق طامس.

وإما في الوسط نحو: «وهم ينهون عنه وينأون عنه».

وإما في الآخر نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

ومنه (الجناس اللاحق) ويكون الاختلاف بين ركنيه في متباعدين.

إما في الأول نحو: (همُزة لُمزة).

وإما في الوسط نحو: «إنه على ذلك لشهيد وإنه لحبِّ الخير لشديد».

وإما في الآخر نحو: «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به».

١٤٧ - الجناس المعنوي

وهو نوعان:

(١) جناس الإضمار، وسيأتي في باب الضاد.

(٢) جناس الإشارة، وسيأتي في باب الشين.

١٤٨ - التجنيس

هو الباب الثاني من البديع عند ابن المعتز، قال: هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام. ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها.

ونقل عن الخليل: الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو. فمنه: ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ويشتق منها مثل قول الشاعر:

يومٌ خَلَجتْ على الخليج نفوسهم[1]

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى، مثل قول الشاعر:

يا صاح إن أخاكَ الصّبّ مهمومُ فارفق به إن لوم العاشق اللوم[2].

وانظر (كتاب البديع) ٥٥

(١) البيت للخريمي وشطره الثاني (غضبا وأنت لمثلها مستام).

(٢) اللوم مخفف اللؤم.

وقال أبو هلال العسكري: التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها...

فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى: ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى.

وانظر (كتاب الصناعتين) **٣٢٣**.

والتجنيس تفعيل من التجانس، وهو التماثل، وإنما سمي هذا النوع جناساً لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين، فالمعنى الذي تدل عليه هذه اللفظة هي بعينها التي تدل على المعنى الآخر من غير مخالفة بينهما، فلما كانت اللفظة الواحدة صالحة لهما جميعا كان جناساً.

وحقيقة في مصطلح علماء البيان هو أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما.

وانظر التجنيس (التام) وقد سبق في باب التاء.

وانظر التجنيس (الناقص) وسيأتي في باب النون.

١٤٩ - تجانس البلاغة

ذكره أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في أقسام البلاغة.

وهو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة.

وتجانس البلاغة على وجهين: مزاوجة، ومناسبة:

فالمزاوجة: تقع في الجزاء، كقوله تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» أي: جازوه بما يستحق على طريق العدل، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء، لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان.

قلت: وهذا الوجه هو الذي يعرف عند البلاغيين باسم (المشاكلة).

والمناسبة: وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصِل واحد، فمن ذلك قوله تعالى «ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم» فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير. والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أمّا هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير.

قلت: وهذا الوجه ضرب من (الجناس) عند البلاغيين.

وانظر (المشاكلة) وستأتي في باب الشين.

وانظر (التجنيس) في هذا الباب.

١٥٠ - المجانس

عند قدامة، هو أن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق، مثل قول أوس بن حجر:

لكنْ بِفِرْتاجْ فالخلْصاءِ أنتَ بها فحنبلٍ فعُلا سَرَّاءَ مسرورُ

ومثل قول زهير:

كأنّ عيني وقدْ سال السَّليلُ بهم وجِيرَةٌ ما هُم لو أدنهمْ أمَمُ[1]

ومثل قول العوام في يوم العظالى:

وفاضَ أسيراً هانىءٌ وكأنّما مفارق مفروق تغشَّيْنَ عنْدما

١٥١ - التجاهل

من الأغراض البلاغية التي تسوغ استعمال (إنْ) في حالة الجزم

(١) سال السليل أي ساروا فيه سيراً سريعاً لما انحدروا فيه، والسليل واد بعينه، وجيرة- ويروي عبرة، أي هم عبرة لي أي سبب عبرتي وبكائي، وما زائدة لتوكيد المعنى، أمم قريب، وجواب لو محذوف.

بوقوع الشرط. وذلك حين يكون المتكلم عالماً بوقوع الشرط، ولكنه لا يريد أن يظهر علمه بذلك، فيتجاهل حتى لا يؤاخذ بكلامه، كقول الخادم لمن سأله عن سيده: إنْ كان هنا أُخْبرك. ويرجع في الأمر إلى سيده ليعرف رأيه...

وانظر (إنْ) وقد سبقت في باب الهمزة.

١٥٢ - تجاهل العارف

من محاسن الكلام عند ابن المعتز، قال: ومنها تجاهل العارف، كقول زهير:

وما أدْرِي ولستُ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

وقال ابن أبي أُمية:

فديتُك لم تشبعْ ولَمْ تَرْوَ من هجري أتستحسنُ الهجرانَ أكثرَ من شهْرِ؟
أُراني سأسْلُو عنكَ إنْ دام ما ترى بلا ثقةٍ، لكنْ أظنُّ ولا أدري!

وسماه أبو هلال العسكري (تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) وعرفه بأنه إخراج ما تعرف صحته مخرج ما يشك فيه، ليزيد بذلك تأكيدا.

قال: ومثاله من النثر ما كتبته إلى بعض أهل الأدب: «سمعت بورود كتابك، فاستفزني الفرح قبل رؤيته، وهز عطفي المرح أمام مشاهدته. فما أدري أسمعتُ بورود كتاب، أم ظفرتُ برجوع شباب؟ ولم أدْرِ ما رأيت: أخطّ مسطور، أم روض ممطور؟ وكلام منثور، أم وشي منشور؟ ولم أدرِ ما أبصرتُ في أثنائه: أأبيات شعر، أم عقود در؟ ولم أدر ما حمَّلْتَه: أغيثٌ حل بوادي ظمآن، أم غَوْث سبق إلى لهفان؟».

قال: ونوع منه، ما كتب كافي الكفاة:

كتبت إليك والأحشاء تهفُو وقلبي ما يقرّ له قرارُ

عن سلامة، إن كان في السالمين من اتصل سهاده، وطال رقاده. ففؤاده يجف، ودمعه يكف، ونهاره للفكر، وليله للسهر.

ومن المنظوم قول بعض العرب:

بـالله يا ظبيـاتِ القـاع قلن لنـا ليلايَ منكنَّ أمْ ليلى من البشر؟

وقول آخر:

أأنتِ ديار الحيّ أيّتها الـرُّبا الْـ ـلأنيقة أم دار المها والنعـائمُ؟
وسِرْبُ ظباء الوحش هذا الذي أرى برَبْعِك أم سرب الظباء النواعم؟
وأدمعنا اللاتي عفـاك انسجامُهـا وأبلاك أم صوبُ الغمام السَّـواجم؟
وأيـامنـا فيـك اللواتي تصـرَّمتْ مع الوصل أمْ أضغاث أحلام نائم؟

وانظر (سوق المعلوم مساق غيره) وسيأتي في باب السين.

وانظر (التشكك) وسيأتي في باب الشين.

١٥٣ - الجهامة

من عيوب الكلام، وهي إيراد الكلمات القبيحة في السمع، والنابية عن الذوق.

١٥٤ - جودة الفاصلة

هي حسن موقعها، وتمكنها في موضعها، وهي معدودة من (حسن المقطع).

وتأتي جودة الفاصلة على ثلاثة أضرب:

(١) فضرب منها أن يضيق على الشاعر موضع القافية، فيأتي بلفظه قصيراً قليل الحروف، فيتمم به البيت، كقول زهير:

وأعلمُ ما في اليومِ والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غدٍ عَمِ

وقول النابغة:

كالأقحوان غداةَ غِبّ سمائِه[1] جفَّتْ أعاليه وأسفلُه نَدِ

وقول الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لَذةٍ وأخرى تداويتُ منها بِها

(٢) وضرب منها أن يضيق به المكان أيضا، ويعجز عن إيراد كلمة سالمة تحتاج إلى إعراب ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الإعراب فيتمه بها. مثل قول امرىء القيس:

بعثْنا ربيئاً قبل ذاك مخمَّلاً كذئبِ الغضَا يمشي الضَّراء[2] ويتقي

وقول زهير:

وقد كنتُ من سلْمَى سنيناً ثمانياً على صِيرِ أمرٍ[3] ما يمُرُّ وما يحلُو

(٣) والضرب الثالث أن تكون الفاصلة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر لائقة، ومستقرة في قرارها، ومتمكنة في موضعها، حتى لا يسد غيرها مسدها، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف. كقول الله تعالى «وأنه هو أضحك وأبْكى، وأنه هو أمات وأحيا، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى» وقوله تعالى «وللآخرة خيرٌ لك من الأولى. ولسوف يُعطيك ربك فترضَى».

فقوله «أبكى» مع «أضحك»، و«أحيا» مع «أمات»، و«الأنثى» مع «الذكر»، و«الأولى» مع «الآخرة» والرضا مع العطية في نهاية الجودة، وغاية حسن الموقع.

---

(١) السماء: المطر.

(٢) مشي الضراء: المشي فيما يواريك ممن تكيده وتختله.

(٣) صير الأمر: منتهاه وصيرورته.

ومن الشعر قول الحطيئة:

هـمُ القـومُ الـذيـن إذا ألمَّتْ من الأيـام مـظلمـةٌ أضـاءُوا

وقال زياد بن جميل:

همُ البحـورُ عطاءً حين تسـألُهمْ وفي اللقاءِ إذا تلقى بِهِمْ بهُمُ(١)

وهذا مستحسن جدا، لما تضمنه من التجنيس.

ومنه قول أبي نواس:

إذا امتحن الـدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ لـه عن عدوٍّ في ثيـاب صـديقِ

«الصديق» ها هنا جيد الموقع، لأن معنى البيت يقتضيه، وهو محتاجٌ إليه. وقول أبي هلال:

وقـد زُيِّنَتْ أسـواقُـه بـطرائفٍ إذا انصـرفتْ عنها العيـون تعودُ

«تعود» ها هنا جيد متمكن الموقع.

ومما عيب من القوافي قول ابن قيس الرقيَّات، وقد أنشد عبدالملك:

إنّ الحـوادث بـالمـدينـةِ قـدْ أَوْجَعْنَنـي وقَـرعْـنَ مَـرْوتـيـه

وَجَببْنَنـي جبَّ السّـنـامِ فـلم يتـركْنَ ريـشـاً في منـاكِبـيـهْ

فقال له عبدالملك: أحسنت إلا أنك تخنثت في قـوافيك! فقـال: ما عَدوتُ قول الله عز وجل: «ما أغنىَ عني ماليه. هلك عني سلطانيه». وليس كما قال، لأن فاصلة الآية حسنة الموقع. وفي قوافي شعره لِيُن... وانظر كتاب (الصناعتين) ٤٥٠.

وانظر (المقاطع والمطالع) وستأتي في باب القاف.

(١) البهم جمع بهمة وهو الجريء الشجاع القلب.

١٥٥ - المجاورة

مما استخرجه أبو هلال العسكري، وهي تردد لفظتين في البيت، ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى، أو قريباً منها، من غير أن تكون إحداهما لغواً لا يحتاج إليها. وذلك كقول علقمة:

ومُطعِمُ الغُنْم يومَ الغُنْمِ مطعمُه ... أنَّى تـوجَّـه والمحـروم محـرومُ

فقوله «الغُنْم يوم الغنم» مجاورة، و«المحروم محروم» مثله.

وقوله أبي تمام:

إنّـا أتَـينـاكـم نَصُـورُ مـآربـاً ... يستصغرُ الحدثَ العظيمَ عظيمُها

وقوله:

رَدَعـوا الزمـانَ وهم كهـولٌ جِلَّةٌ ... وسـطوْا على أحـداثـه أحـداثـا

وقول ابن الرومي:

مـشـتـرك الـحظ لا مُـحـصِّـله ... مُحصِّـلُ المجـد غيـرُ مشتـركـهْ
مـنتـهـك الـمـال لا مـمـنّـعـه ... ممنّـع العِـرْضِ غيـر منتَهكـهْ

وقول المسلم بن الوليد:

أتتْـك المـطايـا تهتـدي بمـطيّـةٍ ... عليها فتى كالنّصلِ يؤنسُه النصلُ

(وانظر «الصناعتين» ٤١٥).

قـلـتُ: في بعض ما مثل به أبـو هلال العسكـري للمجـاورة، اختلطت أمثلة المجاورة بالتجنيس. والذي يفهم من إفراده باباً للمجاورة أن معنى اللفظتين المترددتين في البيت واحد، مع حاجة المعنى إلى كل منهما.

١٥٦ - المجاورة

من علاقات (المجاز المرسل)، نحو: خلت الراوية، تريد المزادة أو السقاء. والراوية في الأصل البعير الذي يحملها، سميت باسمه لكونه حاملاً أو مجاوراً لها عند الحمل.

ومن المجاورة الذهنية أو الذكرية (التغليب) في مثل: قابلتُ أبويك، ويثيب الله القانتين، وأنت تريد أباه وأمه، والقانتين والقانتات. ونحو قوله تعالى «إلا امرأته كانت من الغابرين».

١٥٧ - الإجازة

الإجازة هنا مشتقة المعنى من الإجازة في السقي. يقال: أجاز فلانٌ فلانا إذا سقى له أو سقاه... وقال ابن السِّكيت: يقال للذي يَرِد على أهل الماء فيستقي «مستجيز»، قال القطامي:

وقالوا: فُقَيْمٌ قديم الماء فاستجزْ عَبادة إن المستجيز على قتر

ويجوز أن يكون من «أجزْتُ عن فلان الكأس»، إذا تركته، وسقيت غيره، فجازت عنه دون أن يشربها، قال أبو نواس:

وقلت لساقينا أجزْنا فلم أكنْ ليأبَى أميرُ المؤمنين وأشرَبا
فجوِّزها عنِّي عُقاراً ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطنّباً

ومعنى (الإجازة) هو أن يبني الشاعر بيتاً أو قسيمًا يزيد على ما قبله. وربما أجاز بيتاً أو قسيمًا بأبيات كثيرة.

فأما ما أجيز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبي العتاهية: أجز:

* بردَ الماءُ وطابا *

فقال أبو العتاهية:

* حبَّذا الماءُ شرابا *

وأمّا ما أجيز فيه بيت ببيت فقول حسان، وقد أرق ذات ليلة، فقال:

متاريك أذناب الأمور إذا اعْتَرتْ أخـذْنا الفـروعُ واجتنـبنا أصولَـها

وأجْبَلَ[1]، فقالت ابنته: يا أبَتِ، ألا أجيز عنك؟ فقال: أوَ عندك ذاك؟ قالت: بلى! قال: فافعلي، فقالت:

مقاويلُ للمعروف خُرْسٌ عن الخنا كـرامٌ يعاطـون العشيـرةَ سُـولَها

فحمي الشيخ عند ذاك، فقال:

وقـافيـةٍ مثـل السِّنـان ردفتُهـا تناولْتُ من جوّ السمـاء نزولَهـا

فقالت ابنته:

براها الذي لا يُنطق الشعرُ عنده ويعجـز عن أمثالهـا أن يقـولهـا

ويروى أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء، فقال: أجيزي عنيّ هذا البيت:

أهـدَى لـه أحبـابُـه أُتْـرُجَّـةً فبكى وأشفق من عيـافة زاجـرِ

فقالت غير مفكرة:

خـافَ الـتلوُّن إذ أتـتـه لأنهـا لـونان، بـاطنُها خـلافُ الـظاهـرِ

فحلف لها بكل الأيمان - وكانت تعزه - لئن ظهر البيت إن دخلتُ منزلكم أبداً. وأضافه إلى بيته.

وأما ما أجيز فيه قسيم ببيت ونصف فقول الرشيد للشعراء: أجيزوا:

* الـمـلـكُ لله وحـدَهْ *

---

(١) أجبل الشاعر: إذا توقفت قريحته.

فقال الجماز:

* ولـلـخـلـيـفـة بـعـدَهْ *

ولـلـمـحـبّ إذا مـا حـبـيـبُـه بـات عـنـدَهْ

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف:

أَمِنّي تخاف انتشار الحديث وحظّي في ستره أَوْفَرُ؟

فصنع القصيدة المشهورة:

هواكَ هوايَ الذي أُضمِرُ وسرُّكَ سرِّي فما أظهرُ

إلا أنه خرج فيها عن المقصد.

١٥٨ - الإجازة

قال ابن قتيبة في (الإجازة): اختلفوا في الإجازة، فقال بعضُهم: هو أن تكون القوافي مقيدة، فتختلف الأرداف. كقول امرىء القيس:

* لا يدّعي القومُ أنّي أفِرّ *

فكسر الرِّدف. وقال في بيت آخر:

* وكِنْدةُ حولي جميعاً صُبُرْ *

فضم الرِّدف. وقال في بيت آخر:

*... ألحقتْ شرّاً بشَرّ *

ففتح الرِّدفْ.

وقال الخليل بن أحمد: هو أن تكون قافية ميمًا والأخرى نوناً، كقول القائل:

يا رُبَّ جَعْدٍ منهُمُ لو تَدرِينْ يضرِبُ ضرْبَ السَّبِطِ المقادِيمْ

أو طاءً والأخرى دالاً. . . وهذا إنما يكون في الحرفين يخرجان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين. قال ابن الأعرابي: الإجازة مأخوذة من إجازة الحبل والوتر. . . وانظر (الشعر والشعراء) ١/٤٤.

١٥٩ - التجــاوُز

هو من أنواع (الإشارة) عند ابن رشيق. وهو (التتبيع) وقد سبق في باب التاء.

١٦٠ - المجَــاز

قال ابن فارس: وأما (المجاز) فمأخوذ من جاز يجوز، إذا اسْتَنَّ ماضياً، تقول: جاز بنا فلان، وجاز علينا فارس. هذا هو الأصل.

ثم تقول: يجوز أن تفعل كذا، أي: ينفذ ولا يُرَدّ ولا يُمنع. وتقول: عندنا دراهمُ وَضَحٌ وازنة، وأخرى تجوز جواز الوازنة. أي: إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازها، وجوازها لقربها منها. فهذا تأويل قولنا (مجاز). أي: أن الكلام الحقيقي يمضي لسَنَنِهِ لا يعترض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه، إلاّ أن فيه من تشبيه واستعارة وكفّ ما ليس في الأول. وذلك كقولك: «عطاءُ فلانٍ مُزْنٌ واكفٌ» فهذا تشبيه. وقد جاز مجاز قولك. عطاؤه وافٍ.

ومن هذا في كتاب الله جلّ ثناؤه «سِنَسِمُهُ على الْخُرطوم» فهذا استعارة. وقال: «وله الجواري المُنْشَئاتُ في البحر كالأعلام» فهذا تشبيه.

ومنه قول الشاعر:

ألَمْ تـرَ أنّ الله أعطاك سُـورَةً ... تـرى كلَّ مَلْك دونها يتـذبـذبُ
بـأنـك شمسٌ والملوك كـواكبُ ... إذا طلعتْ لم يبـدُ منهنَّ كوكبُ

فالمجاز هنا عند ذكر «السورة» وإنما هي من البناء، ثم قال: «يتذبذب». والتذبذبُ يكون لذباذب الثوب، وهو ما يتدلّى منه فيضطرب، ثم شبّهه بالشمس وشبّههمْ بالكواكب... وانظر كتاب (الصاحبي ١٦٨).

قال ابن رشيق:

والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسنُ موقعاً في القلوب والأسماع. وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن محالاً محضاً، فهو (مجاز) لاحتماله وجوه التأويل. فصار التشبيه والاستعارة وغيرها من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصّوا به - أعني اسم المجاز - باباً بعينه. وذلك أن يسمّى الشيءُ باسم ما قاربه، أو كان منه بسبب، كما قال جرير بن عطيّة:

إذا سقط السماءُ بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غِضَابا

أراد المطر، لقربه من السماء، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب، لأن كلّ ما أظلّك فهو سماء. وقال «سقط» يريد سقوط المطر الذي فيه. وقال: «رعيناه» والمطر لا يُرعى، ولكن أراد النبْت الذي يكون عنه. فهذا كلّه مجاز. وكذلك قول العتّابي:

يا ليلةً لي بجوَّارين ساهرةً حتّى تكلّم في الصبح العصافيرُ

فجعل الليلة «ساهرة» على المجاز، وإنما يُسْهَر فيها. وجعل للعصافير كلاماً، ولا كلام لها على الحقيقة.

ومن المجاز عندهم قول الشاعر وغيره: «فعلتُ ذاك والزمانُ غِرّ» «والزمان غلام» وما أشبه ذلك، وهو يريد نفسه، ليس الزمان. ولا أرى ذلك مستقيماً، بل الصواب عندي ونفس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً، لأنا نجد في هذا النوع ما لا يُسْتَسَاغُ فيه هذا التأويل، كقول بعضهم:

سألْتني عن أناسٍ هلكُوا شربَ الدهرُ عليهمْ وأكلْ

فليس معناه شربت أو أكلت عليهم، لأنه إنما يعني بُعد العهد، لا السلُّوّ وقلة الوفاء. وقال أبو الطيب:

أفْنَتْ مودّتَها الليالي بعدنا ومشَى عليها الدهرُ وهو مقيّدُ

فإنما أراد الدهر حقيقة. وقال الصنوبري:

كان عيشي بهم أنيقاً فولّى وزماني فيها غلاماً فشاخا

فليس مراده كنتُ فيهم غلاماً فشخْت. ولكل موضع ما يليق به من الكلام، ويصحُّ فيه من المعنى.

قال: وأما كون (التشبيه) داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء، إنما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح، لا على الحقيقة.

وكذلك (الكناية) في مثل قوله عزَّ وجلَّ إخباراً عن عيسى ومريم عليهما السّلام «كانا يأكلان الطعام» كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان.

وقوله تعالى حكاية عن آدم وحوّاء صلى الله عليهما «فلماّ تغشّاها» كناية عن الجماع. وقول النبي صلى الله عليه وسلم لحادٍ كان يحدو به: «إياك والقوارير» كناية عن النساء لضعف عزائمهن.. وانظر (العمدة) ١/ ١٨٠.

و(المجاز) هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطّاه إليه. فالمجاز إذن اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما. وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محلّ إلى محلّ كقولنا «زيدٌ أسدٌ» فإن زيد إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف، وقد جُزْنا من الإنسانية إلى الأسدية، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما. وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة.

وقال السّكاكي: (المجاز) هو الكلمة المستعملة في غير ما هي

موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع.

وعرّف عبدالقاهر (المجاز) بأنه كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع الواضع لملاحظة بين الثاني والأول، قال: وإن شئت قلت: كل كلمة جُزْت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز. فإطلاق لفظ «الشمس» على الوجه المليح مجاز، وإصلاق لفظ «البحر» على الرجل الجواد مجاز أيضاً.

فلفظ «الشمس» له دلالتان: إحداهما حقيقية، وهي هذا الكوكب العظيم المعروف، والأخرى مجازية، وهي الوجه المليح. وللفظ البحر دلالتان أيضاً، إحداهما هذا الماء العظيم الملح، وهي حقيقة، والأخرى هذا الرجل الجواد، وهي مجازية. ولا يمكن أن يقال إن هاتين الدلالتين سواء وأن الشمس حقيقية في الكوكب والوجه المليح، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم والرجل الجواد، لأن ذلك لو قيل لكان اللفظ مشتركاً، بحيث إذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقاً بغير قرينة تخصصه لم يفهم المراد به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك. . . وإنما أهل الخطابة والشعر الذين توسّعوا في الأساليب المعنوية، فنقلوا الحقيقة إلى المجاز، ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع.

وكل مجاز له حقيقة، لأنه لم يطلق عليه لفظ (مجاز) إلا لنقله عن حقيقة موضوعة. وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز.

والمجاز عند البلاغيين قسمان:

(١) **المجاز العقلي**: يكون في الإسناد، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له، ويسمى «المجاز الحكمي» و«الإسناد المجازي». ولا يكون إلا في التركيب. . .

(٢) **المجاز اللغوي**: ويكون في نقل الألفاظ عن حقائقها اللغوية إلى معان أُخرى بينها صلة ومناسبة.

وهذا المجاز يكون في المفرد كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له.

وهذا النوع (المجاز اللغوي) قسمان:

أ - مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة ويسمّى «المجاز الاستعاري» كما يسمّى «الاستعارة». وستأتي في باب العين.

ب - مجاز لا تكون فيه العلاقة هي المشابهة، ويسمّى «المجاز المرسل» وسمّي مرسَلاً لأنه لم يقيّد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات كثيرة لا تكاد تحصر. وسيأتي «المجاز المرسل» في باب الراء.

وانظر (المجاز العقلي) وسيأتي في باب العين.

وانظر (الحقيقة) في باب الحاء.

وانظر (التوسع) في باب الواو.

١٦١ - المجــازي

من الإسناد، هو (المجاز العقلي)، وسمّي إسناداً مجازيــاً نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر، لأن الإسناد جاوز به المتكلم حقيقته وأصله إلى غير ذلك.

وانظر (المجاز) وقد سبق.

وانظر (المجاز العقلي) وسيأتي في باب العين.

باب الحاء

١٦٢ - محبوك الطرفين

يريدون بهذا النوع من المنظوم أن تكون كل أبيات القصيدة أو القطعة مبتدأة ومختتمة بحرف واحد من حروف المعجم.

وأول من جاء بشيء من ذلك أبو بكر محمد بن دريد المتوفي سنة **٣٢١هـ** وقد نظم قطعاً مربعة على عدد الحروف لم يلتزم فيها بحراً واحداً، بل جعل كل قطعة منها مستقلة عن سائرها في الوزن. وأولها قوله في حرف الهمزة:

أبقيتَ لي سقَما يمازج عَبْرتي ... مَنْ ذا يلَذُّ مع السقام بقاءَ
أشمتَّ بي الأعداء حين هجرتني ... حاشاك مما يشمتُ الأعداءَ
أبكيتني حتى ظننت بأنني ... سيصير عمري ما حييت بكاءَ
أخفي وأعلن باضطرار أنني ... لا أستطيع لما أُجِنُّ خفاءَ

وجاء بعد ابن دريد أبو الحسن علي بن محمد الأندلسي البرزي فنسج على منواله، ولكنه جعل أبيات كل قطعة عشرة. ولذلك تعرف منظومته بالقصائد المعشَّرة.

وتلاهما صفيُّ الدين الحلّيّ (ت ٧٥٠ هـ) فنظم من هذا النوع تسعاً وعشرين قصيدة على عدد الحروف الهجائية، والتزم هذا العدد في كل

قصيدة. وقد مدح الحلي بقصائده تلك السلطان الأرتق المنصور نجم الدين أبا الفتح، ولذلك تعرف تلك القصائد بالأرتقيات. ومطلع القصيدة الأولى منها:

أبت الوصال مخافة الرقباء   وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتْك من بعد الصدود مودةً   وكذا الدواء يكون بعد الداء

وللشيخ أبي عبدالله بن عمران في المديح، وهو يذكر في أول كل بيت حرفاً من حروف المعجم منطوقاً به على أن يكون جزءاً من عروضه ومطلعها:

أَلِفٌ، أيا خير البرية هذي   مِدَحِي وما أنا في مقامي هاذي
باء، بها أظهرت صدق محبتي   وبذلك الجاه الكريم لِيَاذِي

ومن هذا النوع أخذ المتأخرون ما يسمونه (التطريز) وسيأتي في باب الطاء.

وللصفي أيضاً أبيات تقرأ طولاً وعرضاً فلا يتغير وضعها ومن هنا قوله:

ليتَ شِعْرِي	لكَ علـمٌ	من سقَامي	يا شِفَائي
لكَ عِلْـمٌ	مِنْ زَفيري	ونحُـولي	وضَنَائي
مِنْ سِقامي	ونُحُـولي	دَاوِني إذْ	أنتَ دَائي
يا شِفَائي	وضَنَـائي	أنتَ دائي	ودَوَائـي

١٦٣ - الاحتجاج

انظر (الاستشهاد والاحتجاج) وسيأتي في باب الشين.

١٦٤ - الأحجية

هي (اللغز) وسيأتي في باب اللام.

١٦٥ - المحاجاة

ذكر ابن رشيق أن الناس في وقته كانوا يسمون (اللحن) محاجاة، لدلالة الحجة عليه.

وانظر (اللحن) في باب اللام.

١٦٦ - المحذور

انظر (الاستفهام) وسيأتي في باب الفاء.

١٦٧ - الحذف

من أقسام (الإشارة) نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته:

إن شئتِ أشرفنا جميعاً فدعا   اللهَ كُلٌّ جَهْدَهُ فأسمِعا
بالخير خيرا وإن شرًّا فاا   ولا أريد الشرّ إلّا أنّ تَاا

كذا رواه أبو زيد الأنصاري وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش، وقال لأن الرجز يدل عليه، إلا أن رواية النحويين «وإنْ شرًّا فا» و«إلا أن أتى» قالوا: يريد «وإن شرّ فشرّ» و«إلا أن تشائي»، وأنشدوا:

ثم تنادوا بعد تلك الضوضا   منهم بهات وهل ويا يا
نادى منادٍ منهمُ ألا تا   قالوا جميعاً كلهم: بلى فا

وأنشد الفرّاء:

* قلت لها: قُومي، فقالت: قافْ *

يريد: قد قمت... وانظر كتاب (العمدة) ١/٢١٣.

١٦٨ - الحذف

أحد قسمي الإيجاز، ويكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من

البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مُشْترك مسترذل، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة.

ولا بد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال.

ويظهر المحذوف من جهتين:

إحداهما من جهة الإعراب، على معنى أن الدال على المحذوف هو من طريق الإعراب. وهذا كقولك «أهلا وسهلا» فإنه لا بد لهما من ناصب ينصبهما، يكون محذوفاً، لأنهما منقولان من المعنى.

والأخرى ليست من جهة الإعراب، وهذا كقولنا: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة إعرابه، وإنما يكون ظاهرا من جهة المعنى، لأن معناه فلان يعطي المال، ويمنع الذمار، ويصل الأرحام، ويقطع الأمور برأيه ويفصلها.

وهذا الإيجاز بالحذف يكون بحذف الجمل، ويكون بحذف المفردات.

ويرد على ضروب أربعة:

الضرب الأول: حذف الأسئلة المقدرة، ويلقب في علوم البيان بالاستئناف، ثم هو يجري على وجهين:

(١) أن يكون استئنافاً بإعادة الصفات المتقدمة، ومثاله قوله تعالى في صدر سورة البقرة «هدىً للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب» إلى قوله تعالى «وأولئك هم المفلحون» فموضع الاستئناف من الآية هو قوله تعالى «أولئك

على هدى من ربهم» لأنه لما عدد صفات المتقين بالإيمان بالغيب وبإقامة الصلاة، وبالإنفاق... الخ اتجه السائل أن يسأل بأن هؤلاء قد اختصوا بهذه الصفات، فهل يختصمون بغيرها. فأجيب عنه بأن الموصوفين بتلك الصفات هم المستحقون للفوز بالهداية عاجلاً، وللفلاح آجلا.

(٢) أن يكون الاستئناف واقعاً بغير الصفات. ومثاله قوله تعالى: «ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون» إلى قوله تعالى «وجعلني من المكرمين».

فموقع الاستئناف هو قوله تعالى «قيل ادخُل الجنة» كأن سائلا سأل: كيف حال هذا الرجل الذي لم يعبد إلهاً غيره، وأخلص في عبادته عند لقاء ربه بعد التصلب في دينه، والسخاء له بروحه؟ فقيل: «قيل ادخل الجنة»، وطرح الجار والمجرور، ولم يقل: قيل له، لانصباب القصد إلى القول، لا إلى المقول له مع كونه معلوماً، فلهذا لم يذكره.

الضرب الثاني: أن يكون الحذف من جهة السبب، لأن السبب والمسبب متلازمان، ولذلك جاز حذف أحدهما وإبقاء الآخر.

الضرب الثالث: الحذف على شريطة التفسير، وهو أن تحذف جملة من صدر الكلام ثم يؤتى في آخره بما له تعلق به، فيكون دليلا عليه. وذلك يكون فيما يرد على جهة الاستفهام، كقوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله» لأن التقدير في الآية أفمن شرح الله صدره كمن جعل قلبه قاسيا؟ وقد دل على ذلك بقوله: «فويل للقاسية قلوبهم».

وقد يكون وارداً على جهة النفي والإثبات كقوله تعالى: «لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا» لأن تقدير الآية لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح

وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. وقد دل عليه المحذوف بقوله: «أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا».

وقد يرد على غير هذين الوجهين كقوله تعالى: «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وَجلة أنهم إلى ربهم راجعون» فالمعنى في الآية: والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القرب الخالصة لوجه الله تعالى «وقلوبهم وجلة» أي خائفة من أن ترد عليهم صدقاتهم، فحذف قوله: ويخافون أن تردَّ عليهم هذه النفقات. وعلى هذا المعنى يحمل قول أبي نواس:

سُنّةُ العشاق واحدةٌ فإذا أحببت فاستكنِ

فحذف الاستكانة من الأول وذكرها في المصراع الثاني، لأن التقدير واحدة وهي أن يستكينوا ويتضرعوا، فإذا أحببت فاستكن.

الضرب الرابع: ما ليس من قبيل الاستئناف، ولا من جهة التسبب، ولا من الحذف على شريطة التفسير. وهذا في القرآن كثير الورود، ولا سيما في القصص، ومما ورد في الشعر من هذا قول المتنبي:

لا أُبغِضُ العِيس لكني وقيت بها قلبي من الهم أو جسمي من السقم

وهذا البيت فيه محذوف تقديره: لا أبغض العيس لما يلحقني بسببها من ألم السفر ومشقته، ولكني وقيت بها كذا وكذا.

ومن حذف الجمل أيضاً حذف جملة الشرط، ولذلك جاز تقدير الشرط بعد الأمر والنهي والتمني والاستفهام، فيورد الجواب عقبها مجزوماً بإنْ المقدرة مع الشرط.

ومنه حذف جواب الشرط، إما لمجرد الاختصار نحو «وإذ قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحمون» أي أعرضوا، بدليل ما بعده وهو قوله تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها

معرضين»، أو للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب، ومثالهما قوله تعالى: «ولو ترى إذ وُقفوا على النار» وقوله: «ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم» أي لرأيت أمراً فظيعاً. وحذف جواب القسم من نحو «والفجر وليالٍ عشر...» أي لتعذبنَّ يا كفار مكة.

وهو أوسع مجالاً من حذف الجمل، لأن المفردات أخف في الاستعمال، فلهذا كثر فيها.

وحذف المفردات أنواع كثيرة،يضيق المجال عن الإفاضة فيها في هذا المقام. وهي مفصلة في أبواب النحو، ومفصلة مقاصدها ودواعيها البلاغية في كثير من مصادر البلاغة المعتمدة.

ويتسنى لمن يتطلب المزيد مما يحذف من المفردات أن يجد غايته في كتب كثيرة منها: شروح التلخيص، وكتاب الطراز للعلوي، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وغيرها من مراجع البلاغة المعتمدة.

١٦٩ - حذف المسند

يحذف المسند لقصد الاختصار، والاحتراز من العبث، لوجود قرينة دالة عليه، كما في قول الشاعر:

ومن يكُ أمسى بالمدينة رحله فإن وَقَيارٌ بها لغريبُ

فالمسند إلى (قيار) محذوف لقصد الاختصار، إذ التقدير: فإني لغريب، وقيار غريب.

ومن حذف المسند إذا كان فعلا قوله تعالى «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكتم خشية الإنفاق» فأنتم فاعل لفعل محذوف لوجود مما يفسره.

ولا بد للحذف من قرينة تدل عليه، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال محقق، نحو قوله تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله» إذ التقدير خلقهن الله. أو يكون السؤال كما في قول الشاعر:

لِيُبْكَ يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح[1]

فضارع فاعل لفعل محذوف مدلول عليه بسؤال مقدر، كأنه قيل: مَنْ يبكيه؟ فقال: يبكيه ضارع.

وقد روي هذا البيت بنصب يزيد، وبناء الفعل مثله للفاعل، ولكن المعنى على الرواية الأولى أفضل، لما فيها من تكرر الإسناد، والتفصيل يعد الإجمال، وهو أوقع في النفس.

١٧٠ - حذف المسند إليه

ويحذف المسند إليه عند البلغاء لسبب بلاغي من الأسباب الآتية:

(١) الاحتراز من العبث: وذلك حين توجد قرينة تدل عليه فلا يكون موجب لذكره، وإن كان ركناً في الكلام، فائدة، نحو:

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليلُ سهرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طويلُ

لم يقل «أنا عليل» لوجود القرينة الدالة عليه، وهي السؤال عنه.

(٢) اختبار تنبه السامع أو مقدار تنبهه، وذلك عندما تكون القرينة بحيث تخفى إلا على ذوي الفطنة أو الذكاء النادر، كقولك لرجل زاره شخصان، أحدهما أقدم صحبة من الآخر، وكل منهما يطلب المعونة: «أهل للمعونة» تريد أقدمهما صحبة.

(٣) صونه عن اللسان تعظيمًا له، أو صون اللسان عنه تحقيراً لشأنه.

---

(١) الضارع الذليل، والمختبط طالب المعروف بلا شفيع أو واسطة.

فالأول كقولك عند جواد: يعطي الجزيل، والثاني كقولك لمن يشهد بالباطل: شاهد زور. تريد الإخبار عن شاهد معين، فلا تذكر اسمه تحقيراً له.

(٤) تأتي الإنكار، وقد سبق في باب الهمزة.

(٥) تعينّ المراد أو ادعاء تعيُّنه، فالأول نحو «فعالٌ لما يريد» تريد الله عز وجل. والثاني كقولك: وَهّاب الألوف، تريد جواداً تدعي تعينه.

وقد يكون الحذف لأغراض أخر، كضيق المقام، أو خوف فوات الفرصة، كقولك للصياد «غزال»!.

وكالمحافظة على سجع، أو وزن، أو قافية.

وكالإخفاء عن غير السامع من الحاضرين فتقول: «جاء» وأنت تريد معيناً معروفاً لمخاطبك.

وكاتباع الاستعمال، كقولهم «رمية من غير رام» أي هذه رمية، ونحو «نعم الرجل زيد» إذ المعنى هو زيد.

وانظر (ذكر المسند إليه) في باب الذال.

١٧١ - المحاذاة

قال ابن فارس: معنى (المحاذاة) أن يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإن كانا مختلفين، فيقولون: «الغدايا والعشايا»، فقالوا: «الغدايا» لانضمامها إلى «العشايا». ومثل قولهم: أعوذ بك من السامة واللامة، فالسامة من قولك سَمَّتْ، إذا عضت، واللامة أصلها «ألمّت». لكن لما قرنت بالسامة جعلت في وزنها.

وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف، كتبوا

«والليل إذا سجى» بالياء، وهو من ذوات الواو لما قرن بغيره مما يكتب بالياء.

قال: ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه «ولو شاء الله لسلطهم عليكم» فاللام التي في «لسلطهم» جواب «لو» ثم قال «فلقاتلوكم» فهذه حوذيت بتلك اللام، وإلا فالمعنى: لسلطهم عليكم فقاتلوكم. ومثله «لأعذبنه عذاباً شديدا أو لأذبحنه» فهما لاما قسم، ثم قال: «أو ليأتيني» فليس ذا موضع قسم، لأنه عذر للهدهد، فلم يكن ليقسم على الهدهد أن يأتي بعذر، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه. فكذا باب (المحاذاة).

قال: ومن الباب وزنته فاتزن، وكِلْته فاكتال، أي استوفاه وزناً وكيلا. ومنه قوله جل ثناؤه: «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» تستوفونها، لأنها حق للأزواج على النساء.

قال: ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو «إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم» أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء. و«مكروا ومكر الله» و«يسخرون منهم سخر الله منهم» و«نسوا الله فنسيهم» و«جزاء سيئة سيئة مثلها». ومثل هذا في شعر العرب قول القائل:

ألا لا يجهلَنْ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وانظر كتاب (الصاحبي) ١٩٦.

وانظر (المشاكلة) وستأتي في باب الشين.

وانظر (الترصيع) وسيأتي في باب الراء.

١٧٢ - الاحتراز من العبث

من الأسباب البلاغية التي تقتضي حذف المسند إليه. وقد سبق في هذه المادة.

١٧٣ - التحرز مما يوجب الطعن

أن يأتي المتكلم بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن.

وهذا هو اللقب الذي اختاره ابن سنان الخفاجي في «**سر الفصاحة**». وهو (الاحتراس) عند البلاغيين، وسيأتي:

ومما مثل به الخفاجي قول الشريف الرضي في وصف المطر المستسقى به القبر، وذكر السحابة:

تجري، وذاك الرَّمسُ غيرُ مُروَّعٍ منها، وذاك التربُ غيرُ مُثارِ

واستقبح قول أبي الطيّب:

سقَى مثواكَ غادٍ في الغوادي نظيرُ نوالِ كفِّكِ في النوال
لساحيه على الأجداث حَفْشٌ كأيدي الخَيلِ أبْصَرتِ المخالي[١]

ومن الاحتراز أيضا قول عبدالله بن المعتز في صفة الخيل:

صببْنا عليها ظالمين سياطنا فطارتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فإنه لو لم يقل «ظالمين» لكان للمعترض عليه أن يقول إنما ضربت هذه الخيل لبطئها...

وانظر (التكميل) وسيأتي في باب الكاف.

١٧٤ - الاحتراس

من ضروب (الإطناب)، وهو (التكميل) وسيأتي في باب الكاف.

(١) الساحي الذي يقشر الأرض بشدة انصبابه، والأجداث القبور، وحفش وقع شديد، والمخالي التي يوضع فيها الشعير للخيل.

ونقل ابن رشيق أن الاحتراس ضرب من ضروب (التتميم) وقد سبق في باب التاء. قال: إن معنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة، وإما احتياطا واحتراساً من التقصير، وينشدون بيت طرفة:

فسَقى ديارِك غيرَ مُفسدِها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

لأن قوله «غير مفسدها» تتميم للمعنى، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر. ومثله قول جرير:

فسقاكِ حيثُ حللْتِ غير فقيدةٍ هزَجُ الرّواح وديمة لا تقلعُ

فقوله «غير فقيدة» تتميم لما أراد من دنوها وسقياها غير راحلة ولا ميتة، إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقي، فاحترس من ذلك. وقد عاب قدامة على ذي الرمة قوله:

ألا يا اسْلمي يا دار ميَّ على البِلى ولا زال منهلًّا بجرعائك القطرُ

فإنه لم يحترس كما احترس طرفة، فرد ذلك عليه بأنه الشاعر قدم الدعاء بالسلامة للدار في أول البيت. وهذا هو الصواب.

١٧٥ - الاحتراس

من بعض مقاصد (التعريض) وسيأتي في باب العين.

١٧٦ - التحريف

من ضروب التجنيس غير التام، وفيه يتغير الشكل فقط، مثل مسْلم ومُسلّم، واللّها واللُّهى. وانظر (المحرّف) وسيأتي في هذا الباب بعد هذا.

١٧٧ - المحـــرَّف

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان في هيئات الحروف فقط، ويتفقا في النوع والعدد والترتيب.

وسمّي هذا النوع محرّفاً لانحراف إحدى الهيئتين عن الهيئة الأخرى. والاختلاف قد يكون بالحرف، كقولهم: جُبّة البُرْد جُنّة البَرد. فالجبّة والجنّة جناسهما من (اللاحق) وليس من هذا، ولكن الذي فيه هو البُرْد والبَرْد، فقد وقع الاختلاف بينهما في حركة الباء، لأنها في الأول ضمة وفي الثاني فتحة.

ونحوه قولهم: الجاهل إمّا مُفْرِط أو مُفرِّط، الأول من الإفراط وهو تجاوز الحدّ، والثاني من التفريط وهو التقصير فيما لا ينبغي التقصير فيه. وإنما نص على هذا لئلا يتوهم أنّه من (الناقص) بناء على أن الحرف المشدّد فيه حرفان، لأن الحرف المشدّد في حكم الواحد في هذا الباب لوجهين:

أحدهما: أن اللسان يرتفع عند النطق عن الحرفين دفعة واحدة كالحرف الواحد، وإن كان في الحرفين نقل ما ، إلا أنه لم يعتبر لقرب أمره.

والآخر: أنهما في الكتابة شيء واحد، وأمارة التشديد منفصلة، فجعلا كالحرف الواحد. ولذلك قيل إن الحرف المشدّد في هذا الباب في حكم المخفف، فمفْرِط ومفرِّط إنما اختلفا في سكون الفاء في الأول وفتحها في الثاني.

وقد يكون الاختلاف بالحركة والسّكون جميعاً، كقولهم: البِدعة شَرَكُ الشِّرْك، فإن الشين من الأول مفتوح ومن الثاني مكسور، والراء من الأول مفتوح ومن الثاني ساكن. وكقول أبي العلاء:

والحسْنُ يـظهرُ في بيتين رونقُـه   بيتٍ من الشِّعْر أو بيتٍ من الشّعَرِ

وانظر (غير التامّ) في باب الغيبن.
وانظر (اللاحق) في باب اللام.
وانظر (الناقص) في باب النون.

١٧٨ - تحريك الهمّة
إلى ما ينبغي تحصيله

من الأغراض البلاغية التي تستفاد من (الخبر) نحو: لكلّ مجتهدٍ نصيب، ومثل قوله تعالى: «للّذين أحسنوا الحُسْنَىٰ وزيادة».

١٧٩ - التحسرّ والتحزّن

من أغراض الخبر، كما في قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: «ربِّ إنيّ وضعتُها أنثى». ونحو قول الشاعر:

قَوْمي هُم قتلوا - أُمَيْمَ - أخي فإذا رميْتُ يصيبني سَهْمي
فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جللاً ولئنْ سَطَوْتُ لأوهنَنْ عَظْمي

١٨٠ - الحسِّي

من الصفات الحقيقية، وهو ما يدرك بالحواس الخمس... وذلك كالألوان والأشكال والمقادير والحركات، وما يتصل بذلك من حسن وقبح المدركة بالبصر، وكالأصوات القوية والضعيفة، والتي بين بين المدركة بالسمع، وكالطعوم من حرافة ومرارة وملوحة وحموضة، وغير ذلك مما يدرك بالذوق، وكالروائح التي تدرك بالشمّ، وكالحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والخشونة والملاسة، واللين والصلابة، والخفة والثقل، والمدركة باللمس.

وانظر (الجامع) وقد سبق في باب الجيم.
وانظر (التمثيل) وسيأتي في باب الميم.

١٨١ - حسن الابتداء

وهو آخر ما ذكر ابن المعتز من محاسن الكلام. قال: ومنها حسن الابتداءات، قال النابغة:

كلِيني لهمٍّ يـا أميمـةَ نـاصبِ وليـلٍ أقـاسيـه بـطيء الكـواكبِ

وقال الأعشي:

كفَى بـالـذي تُـولينَـهُ لـو تجسّمـا

وقال بعض المحدثين:

كـأنّ اللواتي قـلن لي أتـسيـرُ غصـونُ رمـالٍ فـوقهن بـدورُ

وقال أبو تمام:

أجلْ أيّها الربع الذي خفَّ آهلُهْ لقد أدركتْ فيك النوى ما تحاولُهْ

وقال أيضاً:

يـا رَبْعُ لـو رَبعُـوا على ابن همـومِ

ونقل أبو هلال العسكري عن بعض الكتاب:

«أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات، فإنهنّ دلائل البيان».

وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله ممّا يتطيرّ منه ويُستجفَى من الكلام والمخاطبة والبكاء ووصف إقفار الديار وتشتيت الآلآف ونعي الشباب وذم الزمان، لاسيّما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني، ويستعمل ذلك في المراثي ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسّساً على هذا المثال تطيرّ منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، مثل ابتداء ذي الرُّمة:

ما بالُ عينِك منها الماء ينسكبُ كـأنّـه من كُلىً مفـريّـةٍ سَـرِبُ

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتداءه:

أربْعَ البِلى إنّ الخشوعَ لَبادِ عليك وإني لم أَخُنْك ودادِي

قال: فلما انتهى إلى قوله:

سلامٌ على الدّنيا إذا ما فُقِدتُم بني بَرْمكٍ من رائحين وَغادِ

وسمعه استحكم تطيّره، وقيل إنه لم يمض أسبوعٌ حتى نكبُوا...
وأنشد البحتري أبا سعيد قصيدة أوّلها:

لكَ الويلُ من ليلٍ تَطاوَل آخرُه ووشْك نوَى حيٍّ تُزَمُّ أباعِرُهْ

فقال أبو سعيد: بل الويل والحرَبُ لك! فغيّره وجعله «له الويلُ» وهو رديء أيضاً. وأنشد أبو مقاتل الداعي:

لا تقلْ بُشرَى، ولكنْ بُشرَيان غُرَّةُ الداعي، ويومُ المهرجان

فأوجعه الدّاعي ضرباً، ثم قال: هلاّ قلتَ: «إنْ تقل بشرى فعندي بشْريان»؟!.

فإذا أراد أن يذكر داراً فليذكرها كما ذكرها الخُرَيمي:

ألا يا دارُ دامَ لك الحبورُ وسَاعدكِ الغضارةُ والسرورُ

وكما قال أشجع:

قصرٌ عليه تحيّةٌ وسلامُ نَشَرتْ عليه جمالَها الأيامُ

وأحسنُ مرثية جاهلية ابتداءً قول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا إنّ الذي تحذرين قد وقعا

قالوا: وأحسنُ مرثية إسلامية ابتداء قول أبي تمام:

أصمَّ بكَ الناعي وإن كان أسْمَعَا وأصبح مغنَى الجودِ بعدك بلْقعا

وقول الآخر:

أنعَى فتَى الجـودِ إلى الجـودِ ما مثـلُ مَن أنعَى بمـوجـودِ
أنعَى فتىً مصَّ الثـرى بعـدهُ بـقـيّـة الـمـاءِ مـن الـعُـودِ

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقّد الابتداء والمقطع.

والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعاً مونقين... وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام. ولهذا المعنى يقول الله عزّ وجلّ: ألَمٌ، وحَمٌ، وطَس، وطسم، وكهيعص، فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية إلى الاستماع لما بعده، والله أعلم بكتابه. ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوّف للثناء على الله، فهو داعية إلى الاستماع. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلّ كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبتر».

فأما الابتداء البارد، فابتداء أبي العتاهية:

ألَا مـا لسيّـدتـي؟ مـا لهـا؟ أدَلّـتْ فـأحـمـل إدلاهـا

وانظر كتاب (الصناعتين) ٣٤٧.

وانظر (براعة الاستهلال) في باب الباء.

١٨٢ - حسْن البيَان

هو إبراز المعنى في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها، وهو عين البلاغة. وكتاب الله العزيز كله موصوف بالدرجة العليا من حسن البيان، لمطابقة أسلوبه من الحقيقة والمجاز

والكناية والإيجاز والإطناب وغير ذلك لمقتضيات الأحوال، وتهبط بعد كتاب الله درجات البيان، فتتفاوت على حسب قربها وبعدها في حسن البيان.

والفرق بين (حسن البيان) و(الإيضاح) من وجهين:

أحدهما: أن الإيضاح لا يرِدُ إلا على ما فيه إشكال من الكلام، فيوضحه، ولا كذلك حسن البيان.

والثاني: أن الإيضاح يكون العبارة الفاضلة وبالعبارة النازلة، وحسن البيان لا يكون إلا بالعبارة الفاضلة.

وحسن البيان منه المتصل، ومنه المنفصل.

فالمتصل منه هو الكلام الذي يأتي حسن بيانه في نفس نظمه، ويفهم من تأليف عبارته.

والمنفصل هو الكلام الذي لا تحصل الإبانة عنه إلّا من خارجه.

ومن هذا القسم المنفصل قوله تعالى: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلْقه»... الآية، فإنه سبحانه صرّح بذكر المثل، وليس في الكلام كلّه ولا قبله ولا بعده ما خرج مخرج المثل، ولا ما يصلح أن يكون مثلاً. وهو أن أميّة بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم نَخِر في يده، وقال: يا محمد، أنت تزعم ربّك يحيى هذا بعد أن صار إلى هذه الحال. فنزلت الآية الكريمة... وانظر (بديع القرآن) ٢٠٦.

١٨٣ - حُسْن الاتباع

وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه غيره، فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقه، ويُحكم له به دون الأول.

قال ابن أبي الأصبع: هذا الباب ممّا يخصّ كلام المخلوقين، وما أخذ

بعضهم من بعض، ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز فيه، فإن القرآن متّبَعٌ لا متّبع.

ومن اتباع أبي تمامٍ غيره، أي عنترة، في قول عنترة واصفاً فرسه:

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرةٍ وتحمحُمِ

فقال أبو تمام:

لو يعلم الركنُ من قد جاء يلثمهُ لخرَّ يلثمُ منه موطىء القدمِ

قلتُ: ليس في بيت أبي تمام اتّباع لبيت عنترة إلّا في إسناد الفعل إلى ما لا يعقل.

واتّبع البحتريّ أبا تمام فقال:

لو أن مشتاقاً تكلّف فوق ما في وُسْعِهِ لسعَى إليك المنبرُ

واتبع المتنبي البحتري في ذلك، فقال:

لو تَعْقِلُ الشجر التي قابلْتها مدّتْ محيّيةً إليكَ الأغصُنا

وكل هذا من قول الفرزدق في زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين:

يكادُ يمسكه عِرفانَ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

١٨٤ - حُسْن الختام

ويسمّى (حسن الانتهاء) وهو أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً، لتبقى لذته في الأسماع، مؤذناً بالانتهاء، بحيث يبقى المستمعون يحسّون ببلاغة المتكلم، ويتمنون الاستزادة من حديثه، كقول أبي نواس في ختام قصيدته:

وإني جديرٌ إذ بلغتُك بالمنى وأنتَ بما أمّلتُ فيك جديرُ

فإنْ تُولني منك الجميل فأهلُه وإلّا فإني عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره:

بَقيت بقاءَ الدهر يا كهفَ أهله وهذا دعاء للبريّة شاملُ

وانظر (براعة الاستهلال) وقد سبقت في باب الباء.

١٨٥ - حُسْن التخلّص

انظر (التخلص) وسيأتي في باب الخاء.
وانظر (حسن الخروج) وسيأتي في هذا الباب.
وانظر (الاستطراد) وسيأتي في باب الطاء.

١٨٦ - حسن التشبيه

من محاسن الكلام عند ابن المعتز. قال: ومنها حسن التشبيه، نبدأ بإمام الشعراء، قال امرؤ القيس:

ومسرُودةُ السّكِّ موْضونةٌ تَضَاءَلُ في الطيِّ كالمبردِ
تفيض على المرء أردانُها كفيضِ الأتيِّ على الجدْجدِ(١)

وقال:

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً لَدى وكرِها العُنّابُ والحشفُ البالي

... وكتب مروان إلى بعض الخوارج: إني وإياك كالزجاجة والحجر، إنْ وقع عليها رضّها، وإن وقعتْ عليه فضّها..

وانظر (التشبيه) وسيأتي في باب الشين.

---

(١) قال قدامة: وصف الدرع في حال طيها بالبيت الأول، ثم وصفها في حال نشرها بالثاني. ومعنى البيت الأول إذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد. والدرع المسرودة من السرد وهو تداخل الحلق بعضها في بعض أو المثقوبة، والسك الدرع الضيقة الحلق. والموضونة المنسوجة، والآتي السيل، والجدجد الصخور الصلبة.

١٨٧ - حسن التعليل

حسن التعليل أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علّة الشيء المعروفة، ويأتي بعلّة أُخرى أدبية طريفة، لها اعتبار لطيف، ومشتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه. فيدّعي لوصف علّة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسناً وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً.

ومثله قول المعرّي في الرثاء:

وما كُلْفَةُ البدر المنير قديمة ... ولكنها في وجهه أثر اللّطمِ

يقصد أنّ الحزن على المرثيّ شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك يَدَّعي أنّ كلفة البدر - وهي ما يظهر على وجهه من كدرة - ليست ناشئة عن سبب طبيعي. وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي.

ومثله قول الشاعر:

أمّا ذُكاءُ فلم تصفرّ إذ جنحتْ ... إلا لفرقة ذاك المنظرِ الحسنِ

يقصد أن الشمس لم تصفرّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف، ولكنها اصفرّت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

وكقول الشاعر:

ما قَصَّرَ الغيثُ عن مصر وتربتها ... طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجلِ

ولا جرى النيل إلاّ وهو معترف ... بسبْقكمْ فلذا يجري على مَهَلِ

ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتاً فيقصد بيان علّته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

فالوصف الثابت غير الظاهر العلة كقول الشاعر:

لم يَحْكِ نائلك السحابُ وإنما ... حمّتْ به فصبيبها الرّحضاءُ

أي أن السحاب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها، لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر، ولكنها حمتْ حسداً لك، فالماء الذي ينصبّ منها هو عرق تلك الحمى.

والوصف الثابت الظاهر العلة غير التي تذكر كقول المتنبّي:

مـا بـه قتـلُ أعـاديـه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فإن قتل الأعادي عادة للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرّهم. ولكن الشاعر اخترع لذلك سبباً غريباً، فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به، حتى لدى الحيوان الأعجم من أن الكرم ومحبته إجابة طالب الإحسان، ومن ثم فتك بهم، لأنه علم أنه إذا غدا للحرب رجت الذئاب أن يتسع رزقها، وتنال من لحوم أعدائه القتلى.

والوصف غير الثابت قد يكون ممكناً كقول مسلم بن الوليد:

يـا واشياً حسنت فينـا إسـاءتـه نجّى حذارُك إنْساني من الغَـرَقِ

فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه، عقَّبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينيه من الغرق في الدموع.

وقد يكون غير ممكن كقول الشاعر:

لو لم تكنْ نيّة الجوزاء خدمتَه لَمـا رأيت عليهـا عقـد منتـطقِ

فقد ادّعى الشاعر أن الجوزاء تريد خدمة الممدوح، وهذه صفة غير ممكنة، ولكنّه علّلها بعِلّة طريفة، ادّعاها أيضاً ادّعاء أدبياً مقبولاً، إذ تصوّر أن النجوم التي تحيط بالجوزاء، إنما هي نطاق شدّته حولها على نحو ما يفعل الخدم، ليقوموا بخدمة الممدوح.

ومثله تعليل ابن المعتز لحمرة عين حبيبته:

قالوا: اشتكَتْ عينه، فقلتُ لهمْ   من شِـدَّةِ الفَتْكِ نـالها الـوصبُ
حمـرتُهـا من دمـاء مَن قتلتْ   والـدَّمُ في النّصل شـاهدٌ عجبُ

فأنكر أن يكون سبب حمرتها الرمد الذي أصابها، وادّعى هذه العلة الطريفة التي أكدها بهذا التشبيه البديع كما ترى.

١٨٨ - حسن التضمين

من محاسن الكلام عند ابن المعتز. وسيأتي عند ذكر (التضمين) في باب الضاد.

١٨٩ - حسْن الخروج

وهو أيضاً من محاسن الكلام عند ابن المعتز، قال: ومنها حسن الخروج من معنى إلى معنى، قال بعضهم:

إذا مـا اتّقى اللهَ الفتى وأطاعـه   فليسَ به بأسٌ وإنْ كان من جَرْمِ

وقال بشار:

خليليّ من جَـرْمٍ أعينا أخـاكما   على دهـره إنّ الكـريم مُعـينُ
ولا تَبخَـلا بخلَ ابن قَـزْعَة إنـهُ   مخـافَـةَ أن يُـرْجَى نَـداه حَـزينُ
إذا جئتَـه في الحقّ أغلقَ بـابَـهُ   فـلمْ تَـلْقـهُ إلاّ وأنـت كَـمـيـنُ

وقال آخر، ويقال إنه السموْءَل بن عاديا اليهودي:

وإنّـا لقومٌ مـا نرى القتـلَ سُبّـةً   إذا مـا رأتْـه عـامـرٌ وسَـلُولُ

وقال أبو العتاهية:

وأحببْتُ من حبِّهـا البـاخلين   حتّى وَمِقْتُ ابن سَلْمٍ سـعيـدا

إذا سيــلَ عُـرْفــاً كسَـا وجهَــهُ ثيـابـاً من المنـع صفـراً وسُـودا
يُغيـرُ على المـال فعـلَ الجـوادِ وتـأبـى خـلائقُـهُ أن يـجــودا

قلت: إن معنى «حسن الخروج» عند ابن المعتز هو (الاستطراد) عند سائر البلاغيين والنقاد.

وانظر (الاستطراد) وسيأتي في باب الطاء.

١٩٠ - حسن الانتقال

هو (التخلّص). وسيأتي في باب الخاء.

١٩١ - حُسْن النسَق

هو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليمًا مستحسناً، لا معيباً مستهجناً.

من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام تاماً بنفسه، واستقلّ معناه بلفظه، وإن ردفه مجاوره صارا بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السّامع أنهما إذا انفصلا تجزّأ حسنهما، ونقص تمامهما، وتقسّم معناهما، وهما ليسا كذلك، بل حالهما في تمام المعنى وكمال الحسن مع الانفراد والافتراق، كحالهما مع الالتئام والاجتماع.

ومن شواهد هذا الباب من الكتاب العزيز قوله تعالى: «وقيل يا أرضُ ابلعي ماءَك، ويا سماءُ اقلعي، وغِيضَ الماءُ وقُضِي الأمرُ، واستوتْ على الجوديّ وقيل بُعْداً للقوم الظَّالمين». فأنت تَرى إتيان هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسَق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة.

١٩٢ - محاسن الكلام

قال ابن المعتز بعد أن أنهى الكلام في فنوَن (البديع) الخمسة:

«ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنهما كثيرة

لا ينبغي للعالم أن يدّعي الإحاطة بها، حتى يتبرّأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره. وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين، ويعلم الناظر أنّا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً، من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة. فمن أحبّ أن يقتدي بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا فله اختياره». . .

ومحاسن الكلام عند ابن المعتز ثلاثة عشر فنّاً، هي على الترتيب:

(١) الالتفات: وسيأتي في باب اللام.

(٢) الاعتراض: وسيأتي في باب العين.

(٣) الرجوع: وسيأتي في باب الراء.

(٤) حسن الخروج: وقد سبق في هذا الباب.

(٥) تأكيد المدح: وقد سبق في باب الهمزة.

(٦) تجاهل المعارف: وقد سبق في باب الجيم.

(٧) الهزل يراد به الجدّ: وسيأتي في باب الهاء.

(٨) حسن التضمين: وسيأتي في باب الضاد.

(٩) التعريض والكناية: وسيأتيان في بابي العين والكاف.

(١٠) الإفراط في الصفة: وسيأتي في باب الفاء.

(١١) حسن التشبيه: وقد سبق في هذا الباب.

(١٢) لزوم ما لا يلزم: وسيأتي في باب اللام.

(١٣) حسن الابتداء: وقد سبق في هذا الباب.

قلت[1]: وربما خطر بالبال سؤال عن علة فصل الفنون الخمسة اختصها ابن المعتز باسم (البديع) عن هذه الفنون الثلاثة عشر التي سماها «محاسن الكلام»، وهل هناك فرق بين الأولى والثانية؟.

(١) انظر كتابنا (دراسات في نقد الأدب العربي) الطبعة السادسة: ص ٢٥٧.

يخيّل إلينا ألاّ فرق بين الفنون الخمسة وغيرها، إلا أن يقال إن الأولى أكثر وروداً في الشعر والكلام من الأُخرى، وذلك قول غير صحيح، لأنّ «المذهب الكلامي» و«ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها» - وقد جعلها ابن المعتز من فنون البديع الخمسة - ليسا أكثر وروداً أو استعمالاً في الشعر والأدب من «التشبيه» أو «الكناية والتعريض» وقد جعلهما ابن المعتز من محاسن الكلام، حتى إن صحّ هذا القول فإنه لا ينهض مسوّغاً للفصل بين النوعين. وقد حاولت أن أهتدي إلى العلّة فلم أجدها بعد الفحص والتأمل، إلا في أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد، بل ألّفه على مرحلتين. وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة التي سماها «البديع» وهي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. ثم وقف عندها، وأنهى كتابه، وكتب خاتمته التي اعتاد كل مؤلف أن ينهي بها تأليفه، ونصّ هذه الخاتمة «وألّفته سنة أربع وسبعين ومائتين، وأوّل من نسخه منيّ علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجّم».

ولعل ابن المعتز سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتتبّعين اعتراضاً على قصر (البديع) على هذه الفنون الخمسة، وأنهم رأوا أن (البديع) أكثر مما ذكر، فأقرَّهم على دعواهم، وصنع بقية المحسنات، لينفي عن نفسه وعن علمه مظنة الجهل بمحاسن الكلام الكثيرة التي لا ينبغي للعالم أن يدّعي الاحاطة بها، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره.

وانظر (البديع) وقد سبق في باب الباء.

١٩٣ - الحَشْوُ

هو (الاعتراض) عند بعض البلاغيين - وسيأتي في باب العين - وهو كل كلام أدخل في غيره بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام.

١٩٤ - الحَشْوُ

زيادة في الكلام لغير فائدة، وذلك إذا كانت هذه الزيادة متعينة، وهو إما مفسد للمعنى، كلفظ «الندى» في قول المتنبي:

ولا فضلَ فيها للشجاعة والنّـدى وصبْـر الفتى لولا لقـاءُ شَعُـوب

فيها: أي في الدنيا، وشعوب علَم للمنيّة. فإنّ عدم الفضيلة على تقدير عدم الموت إنما يظهر في الشجاعة والصبر، لتيقُّن الشجـاع بعدم الهلاك، وتيقن الصابر بزوال المكروه، بخلاف الباذل ماله إذا تيقن بالخلود، وعرف احتياجه إلى المال دائمًا، فإن بذله حينئذٍ أفضل مما إذا تيقّن بالموت وتخليف المال.

وإما غير مفسد للمعنى كلفظ «قبله» في قول زهير:

وأعلمُ علمَ اليـوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غدٍ عمٍ

وهذا بخلاف نحو أبصرته بعيني، وسمعته بأذني، وكتبته بيدي، في مقام يفتقر إلى التأكيد.

أما إذا كانت الزيادة غير متعينة فإنها تختص باسم (التطويل) وسيأتي في باب الطاء.

١٩٥ - الحَشْوُ

من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن عند قدامة، وهو أن يُحْشَى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن. مثال ذلك ما قال أبو عدي القرشي:

نحن الرءوسُ، وماالرءوسُ إذا سمتْ في المجـدِ لـلأقـوام كـالأذنـابِ

فقوله «للأقوام» حشو لا منفعة فيه. وقال مَصقَلَةُ بن هُبيرة:

ألِكْني إلى أهـلِ العراقِ رسـالـةً وخصَّ بها - حُيِّيتَ - بكرَ بن وائلِ

فقوله «حيِّيت» حشو لا منفعة فيه...

١٩٦ - الحَشْوُ

عند أبي هلال العسكري ثلاثة أضرب: اثنان منها مذمومان، وواحد محمود.

فأحد المذمومين هو إدخالك في الكلام لفظاً لو أسقطته لكان الكلام تامّاً مثل قول الشاعر:

أنعَى فتًى لم تذرَّ الشمسُ طالعةً يوماً من الدهر إلا ضـرَّ أو نفعَا

فقوله «يوماً من الدهر» حشو لا يحتاج إليه، لأن الشمس لا تطلع ليلاً.

وقول بعض بني عبس:

أبَعْـدَ بني بكـر أؤمِّـل مُقبـلا من الدهر أو آسَى على إثْرِ مُدْبِرِ
وليس وراء الفـوْت شيء يَـردُّه عليك إذا ولّى سوى الصَّبرِ فاصْبرِ
أُولاكَ بنـو خيـر وشـرٍّ كليهمـا جميعـاً ومعـروفٍ أُريـدَ ومنكَـرِ

فقوله «أُرِيدَ» حشو وزيادة، وقوله «كليهما» يكاد يكون حَشواً، وليس به بأس. وباقي الكلام متوازن الألفاظ والمعاني، لا زيادة فيه ولا نقصان. وهذا الجنس كثير في الكلام.

والضرب الآخر: العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله، ويمكن أن يعبّر عنه بأقصر منه. مثل قول النابغة:

تبيّنْتُ آيـاتٍ لـهـا فعـرفتُهـا لستّـةِ أيـامٍ وذا العـامُ سـابـعُ

كان ينبغي أن يقول: لسبعة أعوام، ويتم البيت بكلام آخر يكون فيه فائدة، فعجز عن ذلك، فحشا البيت بما لا وجه له.

وأما الضرب المحمود فكقول كثير:

لَـو آن البـاخلين وأنت فيهـم رأوك تـعلّمـوا مـنـك المـطالا

قوله «وأنت فيهم» حشو إلا أنه مليح. ويسمي أهل الصنعة هذا الجنس (اعتراض كلام في كلام). ومنه قول الآخر:

إن الثمانين - وبلِّغتها - قد أحوجت سمعي إلى تَرْجُمَان

١٩٧ - الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم (الاتكاء) وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن. فإن كان ذلك من أجل القافية فهو (استدعاء).

وقد أتى العتابي بما فيه كفاية حيث يقول:

إن حشو الكلام من لكنة المر ء وإيجازه من التقويم

فجعل الحشو لكنة. وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة، وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة.

١٩٨ - الحَصْر

هو تخصيص أمر بأمر في صفة من الصفات، وهو (القصْر) وسيأتي في باب القاف.

١٩٩ - حصر الجزئي وإلحاقه بالكليّ

وهو أن يأتي المتكلم إلى نوع ما فيجعله بالتعظيم له جنساً بعد حصر أقسام الأنواع منه والأجناس، كقوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين». فإنه سبحانه وتعالى بعد إخباره بأن عنده مفاتح كل غيب، إذ اللام للجنس ها هنا،

مجملاً في القول، تمدّح بأنه يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد، وحصر الكليّات المولّدات. ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لا يكمل به معنى التمدح، لاحتمال أن يظن ضعيف أنه يعلم الكليات دون الجزئيات، فإن المولّدات الثلاث، وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى العالم، فكل واحد منها كلي بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس المتوسطة والأنواع وأصنافها، فقال لكمال التمدح «وما تسقط من ورقة إلا يعلمها» وعلم أن ذلك قد يشاركه فيه من مخلوقاته كل من خلق له إدراكاً، وهداه إلى طريق ذلك فشارك فيه، فتمدح سبحانه بما لا يشارَك فيه بقوله «ولا حبة في ظلمات الأرض» ثم ألحق هذه الجزئيات بعد حصرها بالكليات حيث قال «ولا رطب ولا يابس» لأن جميع المولدات وعناصرها التي تولدت منها ما كان منها في باطن الأرض وما خرج إلى ظاهرها لا يخرج عن هذين القسمين. وألغى ذكر المعتدل فإنه ممتزج من هذين القسمين، فاستغنى بذكر الأصل عن الفرع. ثم قال «إلا في كتاب مبين» إشارة إلى أن علمه بذلك علم من معلومه مقيد في كتاب مبين.

ومن هذا قول الشاعر:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل	قصارى المطايا أن يلوح له القصر
وكنت وعزمي والظلام وصارمي	ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
فسرت بآمالي لملك هو الورى	ودارٍ هي الدنيا ويوم هو الدهر

ففي البيت الأخير يتضح ذلك الفن، فإن هذا الشاعر قصد تعظيم الممدوح، وتفخيم أمر داره التي قصده فيها، ويتخيل يومه الذي لقيه فيه، فجعل الممدوح جميع الورى، وجعل داره التي قصده فيها كل الدنيا، وجعل يومه الذي لقيه فيه جملة الدهر، فجعل الجزئي كلياً بعد حصر أقسام الجزئي.

٢٠٠ - التحضيض والتنديم

هناك حروف تسمى حـروف التنديم والتخصيص، وهي: هَـلاَّ، وألّا، ولولا، ولوما.

وسميت حروف التنديم لأنها إذا دخلت على الماضي أفادت جعل المخاطب نادماً على ترك الفعل.

وسميت حروف التحضيض لأنها إذا دخلت على المضـارع أفادت حضّ المخاطب،وحَثّه على الفعل.

قال السكاكي: كأن حروف التنديم والتحضيض مأخوذة من (هل) و(لو) اللتين للتمني ،مركبتين مع (لا) و(ما) المزيدتين. فـ(لا) ركبت مع (هل) فصارت (هَلاَّ) ثم أبدلت الهاء همزة فصارت (ألّا). وركبت مع (لو) فصارت (لولا). و(ما) ركبت مع (لو) فصارت (لوما).

والغرض من تركيب هل ولو مع ما ذكر هو جعلهما متضمنتين معنى التمني، أي مشتملتين دالتين عليه، لكي يتولـد من ذلك المعنى الـذي تضمنتاه معنى التنديم في الماضي، والتحضيض في المضارع. فنحو: هلاّ أكرمت علياً، ولولا أكرمته على معنى ليتك أكرمته، قصد إلى جعله نادماً على ترك الإكرام. ونحو: هلا تغيث المنكوبين، ولوما تغيثهم، على معنى ليتك تغيثهم، قصد إلى حثّه على الاغاثة.

٢٠١ - التحقير

من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الأصلي، نحو: مَنْ هذا؟ بقصد تحقيره مع أنك تعرفه.

٢٠٢ - تحقير المسند إليه

من الأغراض البلاغية التي يعرّف من أجلها المسند إليه.
وهو أيضاً من الأغراض البلاغية التي تدعو إلى تنكير المسند إليه.

٢٠٣ - التحقيق

التحقيق عند علي بن عيسى الرُمّاني: هو التشبيه على الإطلاق، وهو التشبيه بالنفس، مثل تشبيه الغراب بالغراب، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء، وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق.

انظر (التشبيه) وسيأتي في باب الشين.
وانظر (التقدير) وسيأتي في باب القاف.

٢٠٤ - الإستحقاق

من (المقابلة) وسيأتي في باب القاف.

٢٠٥ - الحقيقة

قال ابن فارس: إن (الحقيقة) من قولنا «حَقَّ الشيءُ» إذا وجب واشتقاقه من الشيء المحقّق، وهو المحكم، تقول: ثوب محقق النسج، أي محكمه... فالحقيقة: هي الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: أحمد الله على نعمه وإحسانه. وهذا أكثر الكلام. قال الله جلّ ثناؤه: «والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» وأكثر ما يأتي من الآي على هذا.

وقد كثر كلام العلماء والبلاغيين في تحديد الحقيقة، ولا يخرج كلامهم عن المعنى السابق.

فالسكاكي يعرّفها بأنها «الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع» كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص، فلفظ الأسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه.

قال ولك أن تقول: الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة.

ونقل العلوي في الطراز عن أبي الحسين البصري أن الحقيقة ما أفاد معنى مصطلحاً عليه في الوضع الذي وقع التخاطب فيه.

وعند ابن الأثير أن الحقيقة هي اللفظ الدالّ على موضوعه الأصلي، والحقيقة اللغوية هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني. ويُعَرِّف عبدالقاهر الجرجاني الحقيقة في المفرد بأنها كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت في مواضعة، أو ادّعى الاستئناف فيها. وإنما اشترط هذا كله لأن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز حكم فيها من حيث أن لها دلالة على الجملة، لا من حيث هي عربية أو فارسية، أو سابقة في الوضع أو محدثة مُوَلّدَة.

ويقسم الباحثون في الألفاظ ودلالتها الحقيقة إلى أقسام ثلاثة هي:

(١) الحقيقة اللغوية.

(٢) الحقيقة العرفية.

(٣) الحقيقة الشرعية.

٢٠٦ - الحقيقة اللغوية

هي ما وضعها واضع اللغة ودلت على معان مصطلح عليها في تلك المواضعة. وهذا كألفاظ الورد، والكثيب، والجبل، والبرق. وتلك الألفاظ تستعمل في معناها الأصلي فتكون حقيقة، وتستعمل في غيره فتكون مجازا. والمجاز لا بد أن يكون مسبوقاً بالحقيقة المفهومة لدى صاحب اللغة وواضعها. ولا يقضي بكونها حقيقة لغوية فيما دلت عليه إلّا إذا كانت مستعملة في موضعها الأصلي، فلا بد من سبق وضعها أولاً.

ومن هنا قال العلماء: إن الوضع الأول للكلمة ليس مجازاً ولا حقيقة وإنما يكون وصفها بذلك بعد الاستعمال.

٢٠٧ - الحقيقة العرفيّة

وهي التي نقلت من مدلولها عند صاحب اللغة إلى مدلول آخر بالاستعمال والتّعارف بين الناس. وتنقسم الحقيقة العرفية إلى قسمين:

(١) الحقيقة العرفية الخاصة:

وهي التي وضعها أهل عرف خاص، وجرت على ألسنة العلماء من الاصطلاحات التي تختص بكلّ علم، فإنها في استعمالها عندهم حقائق، وإن خالفت الأوضاع اللغوية. وهذا نحو ما يجريه النحويون في اصطلاحاتهم من الرفع والنصب والجزم والحال والتمييز، وما يستعمله المتكلمون في مباحثهم في علوم النظر كالجوهر والعرض والكون، وما يجري على ألسنة أهل الحِرف والصناعات فيما يفهمونه بينهم، ويجري وفق مصطلحاتهم مجرى الحقائق اللغوية في وضوحها بحسب تعارفهم عليها.

(٢) الحقيقة العرفية العامة:

وهي تنحصر في صورتين: الصورة الأولى أن يشتهر استعمال المجاز بحيث يكون استعمال الحقيقة مستنكراً، كحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كقولنا: حرِّمت الخمر، فالتحريم مضاف إلى الخمر، وهو في الحقيقة مضاف إلى الشرب. وقد صار هذا المجاز أعرف من الحقيقة، وأسبق إلى الفهم. وكتسميتهم الشيء باسم ما يشابهه، كتسميتهم حكاية كلام المتكلم بأنه كلامه، كما يقال لمن أنشد قصيدة لامرىء القيس بأنه كلام امرىء القيس، لأن كلامه بالحقيقة هو ما نطق به، وأما حكايته فكلام غيره، ولكنه صار حقيقة لسبقه إلى الأفهام بخلاف الحقيقة، وكتسميتهم الشيء باسم ما له تعلّق به. وهذا نحو تسميتهم قضاء الحاجة

بالغائط، وهو المكان المطمئن من الأرض، فإذا أطلق فإن السّابق إلى الفهم منه مجازه، وهو قضاء الحاجة، دون حقيقته، وهو المكان المطمئن.

فصارت هذه الأمور المجازية حقائق بالتعارف من جهة أهل اللغة، تسبق إلى الأفهام معانيها دون حقائقها الوضعية اللغوية.

الصورة الثانية: قصر الاسم على بعض مسميّاته وتخصيصه به، وهذا نحو لفظ «الدابّة» فإنها جارية في وضعها اللغوي على كل ما يدبّ من الحيوان من الدودة إلى الفيل. ثم إنها اختصت ببعض البهائم، وهي ذوات الأربع من بين سائر ما يدبّ على الأرض. وكلفظي «الجنّ» و«القارورة» فإن الأول موضوع لكل ما استتر، والثاني موضوع لكل مقر للمائعات. ثم اختص «الجنّ» ببعض من يستتر عن العيون، واختصّت «القارورة» ببعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه.

ولابد في هذه الحقيقة أيضاً أن تكون مسبوقة بالوضع اللغوي، حتى تحصل في العرف مقصورة على بعض مجازيه. ومثلها الحقيقة العرفية العامية لا بدّ فيها من وضع لغوي سابق.

٢٠٨ - الحقيقَة الشرعيّة

وهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغوي.

وتنقسم إلى أسماء شرعية، وهي التي لا تفيد مدحاً ولا ذماً عند إطلاقها، كالصلاة، والزكاة، والحج، وسائر الأسماء الشرعية. وإلى دينية تفيد مدحاً وذمّاً، وهذا نحو: المسلم، والمؤمن، والكافر، والفاسق، وغير ذلك من الأسماء الدينية.

وهذه الأسماء صارت منقولة بالشرع إلى معانٍ أُخرى، ونسيت معانيها

اللغوية. فالصلاة مفيدة لهذه الأعمال المخصوصة، وهكذا حال الزكاة والصوم،فهي مقيدة بهذه المعاني على جهة الحقيقة دون غيرها من معانيها اللغوية.

٢٠٩ - الحقيقي

أحد قسمي القصر (الحقيقي) و(الإضافي).

والقصر الحقيقي ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة والواقع، بحيث لا يتجاوز المقصورُ المقصورَ عليه إلى غيره أصلا. نحو: لا كامل إلا الله، ولا يروي مصر إلا نهر النيل. وقصر الموصوف على الصفة من (الحقيقي) لا يكاد يوجد، لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه بالكلية، بل هو محال؛ لأننا إذا أثبتنا بطريق القصر صفة ونفينا ما سواها من الصفات، فتلك الصفات المنفية لها نقائض، وهذه النقائض لابد من ثبوتها، ولا يمكن نفيها معها.

والإلزام ارتفاع الصفات وارتفاع نقائضها، وهو محال. ففي قولنا: ما إبراهيم إلّا فارس. إذا أردنا أنه لا صفة له من الواقع غير الفروسية لزم ذلك ألا يتصف بالكرم ولا بنقيضه، ولا يتصف بالنباهة ولا بنقيضها، وهكذا هو محال.

والقصر الحقيقي قسمان:

(١) الحقيقي حقيقة:

وهو ما لا يتجاوز فيه المقصورُ المقصور عليه إلى غيره حقيقة كما مُثِّل، فالقصر فيه بالنظر إلى الحقيقة في ذاتها.

(٢) الحقيقي ادعاء:

ما لا يتجاوز المقصورُ المقصور عليه ادعاء، فهو مبني على المبالغة، بفرض أن ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم فلا يعتد به. نحو:

لا شاعر إلّا شوقي، على ادعاء أن جميع الشعراء ممن عدا شوقي في حكم العدم، لأنهم لا يسامونه في منزلته الشعرية.

٢١٠ - الحقيقي

أحد قسمي (الاستغراق) الذي ينقسم إلى:

(١) حقيقي: وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة، نحو: «عالم الغيب والشهادة» أي كل غيب وكل شهادة.

(٢) عُرْفِيّ: وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب العرف، نحو: جمع الأمير الصاغة، تريد صاغة بلده أو مملكته.

و(الاستغراق) بقسميه من دواعي (تعريف المسند إليه) وسيأتي في باب العين.

٢١١ - الحقيقية

الصفة الحقيقية، يراد بها الهيئة المتمكّنة في الذات، المتقررة فيها بحيث تستقل الذات بالاتصاف بها، لكونها ليست معنى متعلقاً بشيئين. وتنقسم إلى حسيّة وعقليّة.

٢١٢ - الحقيقية

أحد قسمي (الاستعارة) التي تنقسم باعتبار ذاتها إلى حقيقية وخيالية.

قال العلوي في الطراز: أما (الحقيقية) فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً، كقولك: رأيت أسدا. والضابط لها أن يكون المستعار له أمراً محققا، سواء جرد عن حكم المستعار له أو لم يجرد بأن يذكر الاستعارة ثم يأتي بعد ذلك بما يؤكد أمر المستعار له، ويوضح حاله. وهذا مثاله قولك: رأيت أسداً على سرير ملكه، وبدراً على فرس أبلق، وبحراً على بابه الوفاد... فيأتي بهذه الأمور عقيب ذكر الاستعارة من أجل تأكيد أمرها،

وإيضاح حالها، لأنك إذا قلت «رأيت أسداً» فقد حصل مطلق الاستعارةُ اختصاصه بالشجاعة التي هي خاصة الأسد، فهذه استعارة مطلقة، ثم لما قلت على سرير ملكه فصلته عن حكم الآساد، إذ ليس الجلوس على السرر من شأنها، وإنما جيء بذلك من أجل تأكيد المستعار له، وهذه تسمى (مجردة).

وانظر (الاستعارة الخيالية) في باب الخاء.

وانظر (المجردة) وقد سبقت في باب الجيم.

٢١٣ - التحقيقي

من وجه الشبه، أن تكون الصفة موجودة على حقيقتها في طرفي التشبيه، نحو تشبيه الشعر بالليل، ووجه الشبه السواد في كل منهما، وكتشبيه النشر بالمسك، ووجه الشبه طيب الرائحة في كل منهما. فوجه الشبه هنا مأخوذ من صفة موجودة في كل واحد من الطرفين. وذلك أن السواد ملاحظ في الشعر والليل، والطيب مراعى في رائحتها وفي رائحة المسك، وكلاهما على حقيقته موجود في الإنسان وفيها.

وكذلك إذا شبهت الرجل بالأسد، فالوصف الجامع بينهما الشجاعة وهي على حقيقتها موجودة في الإنسان، وموجودة في الأسد. وإنما يقع الفرق بينه وبين السبعُ الذي شبه به من جهة القوة والضعف، والزيادة والنقصان.

وانظر (التخييلي) وسيأتي في حرف الخاء.

٢١٤ - المحَقَّق

المحقَّق من التجنيس ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن، رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع. نحو قول أحد بني عبس:

وذلكم أن ذُلّ الجار حالفكم وأنَّ أنْفكُم لا يعرف الأنَفا

فاتفقت الأنْف مع الأنَف في جميع حروفها دون البناء، ورجعا إلى أصل واحد.

والقاضي الجرجاني يسميه (التجنيس المطلق) وسيأتي في باب الطاء.

٢١٥ - الحُكْمِي

من المجاز، هو (المجاز العقلي)، والحكمي منسوب للحكم بمعنى الإدراك، أو أنه نسبة للحكم بمعنى النسبة والإسناد لتعلقه بها.

والمراد بالحكم المنسوب إليه والمتعلق به مطلق نسبة سواء كانت إسنادية أو إضافية أو إيقاعية، وحينئذ فهو من نسبة الخاص للعام، أو من تعلق الخاص بالعام. فالمجاز كما يكون في الحكم وهو النسبة التامة يكون في النسبة الإضافية كمكر الليل، والإيقاعية لنوّمت الليل أي أوقعت النوم عليه.. فالمراد بالحكم الذي تعلق به المجاز ليس خصوص النسبة التامة، بل مطلق نسبة.

فالمجاز إذا كان من الإضافية أو الإيقاعية يصدق عليه أنه متعلق بالحكم بمعنى مطلق نسبة من تعلق الخاص بالعام.

وانظر (المجاز) وقد سبق في باب الجيم.

وانظر (العقلي) وسيأتي في باب العين.

٢١٦ - الحَلِف على المراد

ويكون بما فيه من تعظيم المقسم أو غير ذلك بما يناسبه. وذلك كما في قول الله عزّ وجلّ: «فَوَربِّ السّماءِ والأرضِ إنّه لحقٌّ مثلَ ما أنكم تنطقون». فقد أقسم الله تعالى بما يتضمن عظمته.

ذكر ذلك البهاء السّبكي في «عروس الأفراح» - وانظر (شروح التلخيص) ٤/٤٦٩.

٢١٧ - الحـــلّ

هو (نثر النظم). وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع. وذلك كقول الشاعر:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه   وصــدّق مـا يعتــاده من تـوهُّمِ

فيقال مثلا في نثر هذا البيت: لما قبحت أفعاله، لم يزلْ سوءُ الظنّ يقتادُه، ويصدِّق توهمه الذي يعتاده.

٢١٨ - الـحاليّة

من علاقات (المجاز المرسل). وذلك إذا ذكر لفظ «الحالّ» وأريد «المحلّ» لما بينهما من الملازمة، نحو قـوله تعـالى: «وأمّا الـذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي في جنّته التي تحلّ بها الرحمة. وقوله تعالى «خذوا زينتكم عند كل مسجد» أي لباسكم، لحلول الزينة فيه، فالزينة حالّ، واللباس محلها. ونحو قول الشاعر:

قـلْ للجبـان إذا تـأخّـر سـرجُـه   هلْ أنتَ من شرك المنيّة ناجِ؟

يريد إذا تأخر فرسه، والسّرج حالّ، والفرس محلّ له.

٢١٩ - المحلّية

من علاقات (المجاز المرسل) أيضاً فيما إذا ذكر لفظ المحلّ، وأريد الحال فيه، نحو قولهم «جري الميزاب» يريدون ماءه، وكقوله تعالى: «فليدعُ ناديَة» يريد المجتمعين فيه، وقوله تعالى «واسأل القرية التي كنّا فيها» أطلق لفظ القرية، وأراد سكانها. وقد يكون هذا من (مجاز الحذف)، أي حذف المضاف، أي: ماء الميزاب، وأهل النادي، وسكان القرية.

٢٢٠ - الحـــال

هو الأمر الدّاعي إلى إيراد الكلام على صورة مخصوصة، سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع، أم كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل، وجعل غير المنكر كالمنكـر، والمنكر كغير المنكر.

وانظر (ظاهر الحال) في باب الظاء.

وانظر (مقتضى الحال) في باب القاف.

٢٢١ - الحيدة والانتقال

وهو أن يجيب المسئول بجواب لا يصلح أن يكون جواباً عما سئل عنه، أو ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه. وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدل بعد معارضته بما يدل عـلى أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله، فينتقل عنه إلى استدلال يقرب من فهم الخصم يكون فيه قطعه عن المعارضة، فيكون استدلاله الأول محتملاً للمعارضة، واستدلاله الثاني لا يحتمل ما يبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم، كما جاء في مناظرة الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - مع الجبار لما قال لـه الخليل: «ربي الذي يحي ويميت» فقال الجبار: «أنا أحيي وأميت» ثم دعا من وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه القتل فقتله. فعلم الخليل عليه السلام أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل، فانتقل - صلوات الله عليه - إلى استدلال لا يجد الجبار له وجهاً يتخلص به منه، فقال: «فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» فانقطع الجبار «فبهت الذي كفر»... وانظر (بديع القرآن) ٢٨٢.

٢٢٢ - الاحتياط

انظر (الاحتراس) وقد سبق في هذا الباب.

٢٢٣ - الاحتياط

لضعف التعويل على القرينة: من دواعي ترجيح ذكر المسند. كما في قولك: «عقلٌ في السماء، وحظ مع الجوزاء» فلو حذف قوله «مع الجوزاء» ما دلّ عليه المذكور دلالة قاطعة، إذ يحتمل أن يكون الحظ عاثراً، كما هو شأن الكثيرين من ذوي الآراء والعقول.

وهو كذلك من دواعي ترجيح ذكر المسند إليه، كأن تقول: شوقي نعم الشاعر، فتذكر المسند إليه «شوقي» إذا سبق لك ذكره في حديث سابق، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.

٢٢٤ - الاستحالة والتناقض

من عيوب المعاني عند قدامة، وهما أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة. والأشياء تتقابل على أربع جهات:

إما على طريق **المضاف**: ومعنى المضاف هو الشيء الذي إنما يقال بالقياس إلى غيره، مثل الضعف إلى نصفه، والمولي إلى عبده، والأب إلى ابنه. فكل واحد من الأب والابن، والمولى والعبد، والضعف والنصف، يقال بالإضافة إلى الآخر. وهذه الأشياء من جهة ما إن كلّ واحد منها يقال بالقياس إلى غيره هي من المضاف. ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالمقابل له، فهي من المتقابلات.

وإما على طريق التضاد: مثل الشرير للخير. والحار للبارد، والأبيض للأسود.

وإما على طريق العدم والقنية: مثل الأعمى والبصير، والأصلع وذي الجُمّة.

وإما على طريق النفي والإثبات: مثل أن يقال: زيد جالس، زيد ليس بجالس.

فإذا أتى في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات، وكان هذا الجمع من جهة واحدة، فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية، بل هو لاحق بجميع المعاني.

والمقصود بالجمع من جهة واحدة أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منثور أو منظوم متقابلان من هذه المتقابلات، ويكون ذلك الاجتماع من جهتين، لا من جهة واحدة، فيكون الكلام مستقيمًا غير محال ولا متناقض، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف: إن العشرة مثلاً ضعف، وأنها نصف، لكن يقال إنها ضعف لخمسة، ونصف لعشرين، فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين. فأما من جهة واحدة كما إذا قيل إنها ضعف ونصف لخمسة فلا.

وكذلك يجوز أن تجتمع المتقابلات على طريق العدم والقنية من جهتين. مثال ذلك أن يقال: زيد أعمى العين بصير القلب، فيكون ذلك صحيحا، فأما من جهة واحدة كما لو قيل في إنسان واحد: إنه أعمى العين بصيرها، فلا.

وكذلك في التضاد أن يقال في الفاتر حار عند البارد، وبارد عند الحار، فأما عند أحدهما، فلا.

وفي النفي والإثبات أن يقال: زيد جالس في وقته الحاضر الذي هو فيه جالس، وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام، فذلك جائز، فأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس، فلا.

ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذا السبيل، كقول خفاف ابن ندبة:

إذا انتكث الحبل ألفيته صبور الجنان رزيناً خفيفا

فلو لم تكن إرادته أنه رزين من حيث ليس خفيفا، وخفيف من حيث ليس رزيناً لم يجز. وكذلك قول الشنفري:

فدقّتْ وجــلّتْ واسبكرَّتْ وأكملتْ فلو جُنّ إنسان من الحسن جُنّتِ

فإنه إنما أراد «دقت»، من جهة، و«جلّت» من أخرى، فأما لو كان أراد أنها «دقت» من حيث «جلّت» لم يكن جائزاً.

وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه. وما جمع فيها قيل فيه بين المتقابلات من جهة واحدة، ومنه ما التناقض فيه ظاهر يعلم في أول ما يلقى السمع - ومنه ما يحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض فيه.

فمما جاء من ذلك على جهة التضاد قول أبي نواس يصف الخمر:

كـأن بقايـا ما عفـا من حُبـابهـا تفــاريقُ شيبٍ في ســواد عِــذارِ

فشبه حباب الكأس بالشيب، وذلك قول جائز، لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده، لا في شيء آخر غيره، ثم قال:

تردّتْ به ثم انفـرى عن أديمها تَفَــرِّيَ ليـل عن بيــاض نهــارِ

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار. وليس في هذا التناقض مُنصرف إلى جهة من جهات العذر، لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر. ولعل قوماً أن يحتجوا لأبي نواس بأن يقولوا إن قوله «تفري ليل عن بياض نهار» لم يرد به أسود ولا أبيض، لكن الذي أراده إنما هو ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء، أسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الألوان. فنقول: من يحتج بهذه الحجة تبطل حجته من

جهات، إحداها أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله «بياض نهار». والثانية تشبيه الحباب بالشيب، لأن الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض. والثالثة أن النهار والليل ليسا غير الضياء والظلمة، فيظن بالجاعل لهما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر.

ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق المضاف قول عبدالرحمن القس:

فإني إذا ما الموتُ حلّ بنفسها يُزال بنفسي قبل ذاك فأُقبرُ

فقد جمع بين «قبل» و«بعد» وهما من **المضاف**، لأنه لا قبْل إلا لبعد، ولا بعد إلا لقبل، حيث قال: إنه إذا وقع الموت بها، وهذا القول كأنه شرط وضعه، ليكون له جواب يأتي به، وجوابه هو قوله: يزال بنفسه قبل ذاك. وهذا شبيه بقول القائل: «إذا الكوز انكسر انكسرت الجرت قبله».

ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق القنية والعدم قول ابن نوفل:

لأعلاج ثمانيةٍ وشيخٍ كبير السن ذي بصر ضريرِ

فلفظة «ضرير» للذي لا بصر به، وقول هذا الشاعر في هذا الشيخ إنه ذو بصر. وإنه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم، وذلك أنه كأنه يقول: إن له بصرا ولا بصر له! فهو بصير أعمى.

ومن التناقض قول ابن هرمة:

تراه إذا ما أبصر الضيف كلبُه يكلمه من حبه وهو أعجمُ

فإن هذا الشاعر أقنى الكلب الكلام في قوله إنه يكلمه، ثم أعدمه إياه عند قوله إنه **أعجم**، من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره إنما أجراه على طريق الاستعارة.

ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الإيجاب والسلب قول عبدالرحمن القس:

أرى هجرها والقتلَ مثلين فاقصروا ملامكُم فالقتل أعفى وأيسرُ

فأوجب هذا الشاعر أن الهجر والقتل مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: إن القتل أعفى وأيسر، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله... وانظر (نقد الشعر) ١٣١.

قال ابن سنان الخفاجي: وقد ذهب أبو الفرج قدامة بن جعفر إلى أن قول ابن هرمة في صفة الكلب:

تراه إذا ما أبصر الضيفَ مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجمُ

من المتناقض، لأنه أقنى الكلب الكلام في قوله «يكلمه» ثم أعدمه إياه عند قوله «وهو أعجم». وهذا غلط من أبي الفرج طريف، لأن الأعجم ليس هو الذي قد عدم الكلام جملة كالأخرس، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة ولا يفصح. قال الله - تبارك وتعالى -: «لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» وإذا قيل: فلان يتكلم وهو أعجم، لم يكن متناقضا. على أن الروايةِ الصحيحة في بيت ابن هرمة: يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا.

وهذا البيت من إحسان ابن هرمة المشهور... انظر (سر الفصاحة) ٢٨٥.

٢٢٥ - الاستحياء

من بعض مقاصد (التعريض) وسيأتي في باب العين.

باب الخاء

٢٢٦ - الخبر

قال ابن فارس: أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام، تقول: أخبرته، أخبره، والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصـديق قائله أو تكذيبه.

وهو إفادة المخاطب أمراً في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو «قام زيد» و«يقوم زيد» و«قائم زيد».

ثم يكون واجباً وجائزاً وممتنعاً. فالواجب قولنا: «النار محرقة» والجائز قولنا: «لقي زيد عمرا» والممتنع قولنا: «حملت الجبل».

وقال صاحب البرهان: والخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه.

ومن الخبر ما يبتدىء لمخبر به، فيخص باسم (الخبر). ومنه ما يأتي بعد سؤال فيسمى (جوابا). كقولك في جواب من سألك: ما رأيك في كذا؟ فتقول: رأيي كذا. وهذا يكون ابتداء منك، فيكون خبرا. فإذا جاء بعد سؤال كان جواباً.

قال: وليس في صنوف القول وفنونه ما يقع فيه الصدق والكذب غير الخبر والجواب، إلاّ أن (الصدق والكذب) يستعملان في الخبر، ويستعمل مكانهما في الجواب (الخطأ والصواب).

والمعنى واحد، وإن فرق اللفظ بينهما. وكذلك يستعمل في الاعتقاد في موضع الصدق والكذب (الحق والباطل). والمعنى قريب من قريب.

والخبر منه جزم، ومنه مستثنى، ومنه ذو شرط.

فالجزم مثل «زيد قائم» وقد جزمت في خبرك بقيامه. والمستثنى: «قام القوم إلا زيداً» فقد استثنيت زيدا ممن قام. وذو الشرط: «إذا قام زيد صرت إليك» فإنما يجب مصيره إليه إذا قام زيد، فهو معلق بشرط.

وكل واحد من هذه المعاني إما أن يكون مثبتاً، وإما أن يكون منفياً. فالمثبت: كقولك «قام زيد». والمنفي: «ما قام زيد» والمستثنى من المثبت منفي، والمنفي إذا استثني منه مثبت. ولا يخلو بعد ذلك من أن يكون عاماً كليا، أو خاصاً جزئيا، أو مهملا.

فكل ما ظهر فيه لفظ العموم فهو (عام) كقولك: «كل القوم جاءنا» و«جميع المال أنفقت». ومنه قول الله عز وجل: «كل شيء هالكٌ إلا وجهه» فهذا لا يجوز أن يراد به الخصوص، لظهور لفظ العموم فيه.

وكل ما ظهر فيه لفظ الخصوص فهو (خاص) كقولك «بعض المال قبضت» و«من القوم من جاءنا». ومثله قول الله عز وجل: «ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما» فهذا لا يجوز أن يراد به العموم، لظهور لفظ الخصوص فيه. وما لم يظهر فيه لفظ العموم ولا لفظ الخصوص فهو (مهمل). وقد يكون عاماً، وقد يكون خاصاً، واعتباره أن تنظر: فإن كان من الأشياء الواجبة أو الممتنعة فهو عام، وإن كان لفظه واحدا، كقول الله عز وجل: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» لأنه من الواجب أن يكون كل أحد على نفسه بصيرة. وإن كان من الممكن فهو (خاص)، كقول الله عز وجل: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» فهذا خاص، وهذه لفظة على الجماعة، لأن القول ممن قال، والجمع ممن جمّع

من الأشياء الممكنة، وجائز أن يقع منهم وألا يقع. فهذا أصل يعمل به في الخاص، والعام، والمهمل.

ومن البين للعقل أن الأخبار المثبتة الجازمة في الأمر الواجب، ماضيها، ومستقبلها، وما أنت فيه منها، وعامها، وخاصها، ومهملها صدقٌ أجمع.

وأن منفيات ذلك كله كذب.

وأن مثبتات هذه الأخبار في الأحوال التي قدمنا ذكرها إذا كانت من الممتنع فهي كذب، ومنفياتها صدقٌ.

وأن جميع هذه الأخبار في هذه الأحوال إذا جاءت في الأمر الممكن فقد يكون صدقاً، وقد يكون كذباً.

وانظر (صدق الخبر وكذبه) وسيأتي في باب الصاد.

قال ابن فارس: والمعاني التي يحتملها لفظ (الخبر) كثيرة. فمنها (التعجب) نحو: ما أحسن زيداً!

و(التمني) نحو: وددتك عندنا.

و(الإنكار) نحو: ما له علي حق.

و(النفي) نحو: لا بأس عليك.

و(الأمر) نحو قوله جل ثناؤه: «والمطلقات يتربصن».

و(النهي) نحو قوله: «لا يمسه إلا المطهرون».

و(التعظيم) نحو: سبحان الله.

و(الدعاء) نحو: عفا الله عنه.

و(الوعد) نحو قوله جل وعز: «سنريهم آياتنا في الآفاق».

و(الوعيد) نحو قوله: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

و(الإنكار والتبكيت) نحو قوله جل ثناؤه: «ذق إنك أنت العزيز الكريم».

وربما كان اللفظ خبراً والمعنى شرطاً وجزاء، نحو قوله تعالى: «إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون» والمعنى: إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا. ومثله «الطلاق مرتان» المعنى: من طلق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف، أو يسرحها بإحسان.

ويكون اللفظ خبرا والمعنى دعاء وطلباً، ونحو: «إياك نعبد وإياك نستعين» معناه: فأعنا على عبادتك. ويقول القائل: أستغفر الله، والمعنى: اغفر.

٢٢٧ - اختبار تنبه السامع

من الأغراض البلاغية التي تقتضي حذف المسند إليه. وقد سبق في باب الحاء.

٢٢٨ - الاستخبار

قال ابن فارس: (الاستخبار) طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو (الاستفهام). وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق، قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار، لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته، وربما لم تفهمه. فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي. قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخُبْر، ولا يوصف بالفهم.

وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه، كسؤالك عما لا تعلمه، فتقول: ما عندك؟ ومن رأيت؟.

ويكون استخباراً في اللفظ، والمعنى (تعجب)، نحو: «ما أصحاب الميمنة»! وقد يسمى هذا (تفخيما). ومنه قوله: «ماذا يستعجل منه المجرمون»

تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه. ويكون استخبارا، والمعنى (توبيخ) نحو: «أذهبتم طيباتكم»، ومنه قول الشاعر:

أغَــرَرتــنــي وزعــمْــتَ أنّــ ـك لابـنٌ بــالـصــيـف تــامــرْ

ويكون اللفظ استخباراً والمعنى (تفجع). نحو «ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً».

ويكون استخباراً، والمعنى (تبكيت) نحو «أأنت قلت للناس» تبكيت للنصارى فيما ادّعوه.

ويكون استخباراً، والمعنى (تقرير). نحو قوله جلّ ثناؤه: «ألستُ بربكم».

ويكون استخباراً، والمعنى (تسوية) نحو: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم».

ويكون استخباراً، والمعنى (استرشاد) نحو: «أتجعل فيها من يفسد فيها».

ويكون استخباراً، والمعنى (إنكار) نحو: «أتقولون على الله ما لا تعلمون».

ويكون استخباراً، والمعنى (عَرْض) كقولك: ألا تنزل؟.

ويكون استخباراً، والمعنى (تحضيض) نحو قولك: هلّا خيراً من ذلك.

ويكون استخباراً والمراد به (الإفهام) نحو قوله جلّ ثناؤه: «وما تلك بيمينك» قد علم الله أن لها أمراً قد خفي على موسى عليه السلام، فأعلمه من حالها ما لم يعلمه.

ويكون استخباراً، والمعنى (تكثير) نحو قوله جلّ ثناؤه: «وكم من قريةٍ أهلكناها» و«كأيِّن من قرية».

ويكون استخباراً، والمعنى (نفي)، قال الله جلّ ثناؤه «فمن يهدي من أضلَّ الله» فظاهره استخبار والمعنى: لا هادي لمن أضل الله.

وقد يكون اللفظ استخباراً والمعنى (إخبار وتحقيق) نحو قوله جلّ ثناؤه: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر»؟ قالوا: معناه قد أتى.

ويكون بلفظ الاستخبار والمعنى (تعجب) كقوله جلّ ثناؤه: «عمّ يتساءلون» و«لأي يوم أُجِّلت»... أنظر (الصاحبي) ١٥٤.

وانظر (الاستفهام) وسيأتي في باب الفاء.

٢٢٩ - الاستخدام

من المحسّنات المعنوية، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحد المعنيين، ثم يراد بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ معناه الآخر. أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، ثم يراد بضميره الآخر معناه الآخر. وفي كليهما يجوز أن يكون المعنيان حقيقيين، وأن يكونا مجازيين، وأن يكونا مختلفين:

فالأول: وهو أن يراد باللفظ أحد المعنيين وبضميره معناه الآخر قوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره في «رعيناه» النبت، وكلا المعنيين مجازي.

والثاني: وهو أن يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، وبضمير الآخر معناه الآخر قوله:

فسقَى الغَضَا والسّاكنيه وإن همُ شبُّوه بين جوانحي وضلوعي

أراد بأحد ضميري «الغضا» المكان الذي فيه شجر الغضا، وبالآخر الذي في «شبّوه» النار الحاصلة في شجر الغضا. وكلاهما مجازي.

٢٣٠ - الاستخدام

وهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها محملان، ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما، تستخدم كل لفظة منهما أحد محملي اللفظة المتوسطة. ومن ذلك قوله تعالى: «لكل أجلٍ كتابٌ يمحو الله ما يشاء ويثبت»، فإن لفظة «كتاب» تحمل الأمد المحتوم بدليل قوله تعالى: «حتى يبلغ الكتابُ أجله» أي حتى يبلغ الكتاب أمده، أي أمد العدة، وأجله منتهاه.

والكتاب المكتوب. وقد توسطت لفظة «كتاب» بين لفظتي «أجل» و«يمحو»، فاستخدمت لفظة «أجل» أحد مفهوميها، وهو الأمد. واستخدمت لفظة «يمحو» مفهومها الآخر، وهو المكتوب. فيكون تقدير الكلام على ذلك: لكل حدّ مؤقت مكتوب يمحو ويثبت.

٢٣١ - الخروج

أنظر (حسن الخروج) وقد سبق في باب الحاء.
وانظر (التخلص) وسيأتي في هذا الباب.
وانظر (الاستطراد) وسيأتي في باب الطاء.

٢٣٢ - الُخروج من النسيب

إلى المدح وغيره. قال أبو هلال العسكري: كانت العرب في أكثر شعرها تبتدىء بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج قالت: فدع ذا وَسَلِّ الهمّ عنك بكذا، كما قال:

فدع ذا وسلِّ الهمّ عنك بِجَسرة ذمولٍ إذا صام النهـار وهجّرا[1]

(١) الجسرة الناقة العظيمة. والذمول التي تسير سيراً ليناً. وصام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة.

وكما قال النابغة:

فَسَلّيْتُ ما عندي بروحة عِرْمِس تخبّ بـرحلي مـرةً وتُنـاقِـلُ[1]

وربما تركوا المعنى الأول، وقالوا: «وعيس» أو «وهوجاء». وما أشبه ذلك كما قال علقمة:

إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فـليس لـه من ودّهـن نصـيـبُ
وعنس يُـرينـاهـا كـأن عيـونهـا قـوارير في أدهـانهن نصـوبُ[2]

فإذا أرادوا ذكر الممدوح قالوا: «إلى فلان»، ثم أخذوا في مديحه، كما قال علقمة:

ونـاجيـة أفنَى ركيبَ ضُلوعهـا وحـارِكَـهـا تَـهـجُّـر ودُؤبُ
وتصبـح عن غبّ الثرى وكـأنها مولّعة تخشى القنيص شبـوبُ[3]

فوصفها، ثم قال:

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكلكلهـا والقصـريين وجيبُ[4]

وربما تركوا المعنى الأول، وأخذوا في الثاني من غير أن يستعملوا ما ذكرناه. قال النابغة:

تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجـوم بآيب
عليّ لعمرٍو نعمةٌ بعـد نعمـةٍ لـوالـده ليست بـذات عقـارب

(١) العرمس الصخرة، وشبهت بها الناقة إذا كانت صلبة شديدة. والمناقلة أن تناقلَ يـديها ورجليها في السير، وهو وضع الرجل مكان اليد.
(٢) العنس الناقة القوية.
(٣) الناجية الناقة القوية. ركيب ضلوعها: ما ركب على ضلوعها من الشحم واللحم. الحارك مقدم السنام. القنيص الصائد. الشبوب الحسنة.
(٤) القصريان: ضلعان تليان الترقوتين. والوجيب: الخفقان.

فأما الخروج المتصل بما قبله فقليل في أشعارهم. ومنه قول دجّانة بن عبدقيس التميمي:

وقال الغواني قد تضمّر جلده   وكان قديماً ناعم المتبذَّل
فلا تأسَ أني قد تلافيت شيبتي   وهزَّ الغواني من شميط مُرَجّلِ
بمشرفة الهادي نبذُّ عِنَانَها   يمين الغلام الملجم المتدلّلِ

فوصل وصف الفرس بما تقدم من وصفه الشيب وصلاً.

قال ابن رشيق: وأما (الخروج) فهو عندهم شبيه (بالاستطراد) وليس به، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تخيّل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه. كقول حبيب في المدح:

صب الفِراق علينا صبّ من كثيبٍ   عليه إسحاق يوم الروع منتقما
سيف الامام الذي سمّته هيبته   لما تخرَّم أهلَ الأرض مخترما

ثم تمادى في المدح إلى آخر القصيدة.

ومن الناس من يسمي الخروج (تخلصاً) و(توصّلاً). وانظرهما في بابي الخاء والواو.

٢٣٣ - خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

يسمّى خروج الكلام على الوجوه المذكورة في (أضرب الخبر) وهي الخلوّ عن التأكيد في (الضرب الابتدائي)، والتقوية بمؤكد استحساناً في الضرب الطلبي، ووجوب التأكيد بحسب الإنكار في (الضرب الإنكاري) يسمَّى كل ذلك إخراجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

وكثيراً ما يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

(١) فيجعل غير السّائل كالسّائل: أي فيؤكد له استحساناً، إذا قدم له ما يلوّح بالخبر، فيستشرف له استشراف الطالب المتردّد، نحو قوله

تعالى: «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرَقون» فقوله: «ولا تخاطبني...» أي لا تَدْعُني يا نوح في شأن قومك الذين ظلموا، وفي استدفاع العذاب عنهم، يلَوّح بالخبر تلويحاً، فهو يشير إلى جنس الخبر، وأنه إغراق. نعم يشعر مع ضميمة قوله قبل «واصنع الفلك» فصار المقام مظنّة التردّد والطلب، أي مقام أن يتردّد المخاطب ويسأل: أصاروا محكوماً عليهم بالإغراق أم لا؟ فكان الجواب «إنهم مغرقون» مؤكد بإنّ، أي محكوماً عليهم بالإغراق.

(٢) ويجعل غير المنكر كالمنكر: أي فيؤكد له وجوباً إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار، نحو قول حَجْل بن نضلة:

جـاء شقيـقٌ عـارضـاً رمحَـهُ إنّ بـني عـمّـك فيـهـمْ رمـاحْ

فشقيق لا ينكر أنّ في بني عمّه رماحاً، لكنّ مجيئه عارضاً رمحه، أي واضعاً الرمح على عرضه من غير اكتراث وتهيؤ للقائهم، علامة على أنه يعتقد أن لا رمح فيهم، بل كلهم عُزْل لا سلاح معهم، فأُنزل منزلة المنكر، وخوطب خطاب التفات من الغيبة إلى الخطاب.. بقوله: «إنّ بني عمك فيهم رماح» مؤكداً بإنّ.

قال السعد: وفي البيت -أي في عجزه- تهكم من الشاعر بشقيق واستهزاء به. كأنه يرميه بالضعف والجبن، بحيث أنه لو علم أن فيهم رماحاً لما التفت لِفْتَ الكفاح أي جانبه، ولم تقْوَ يده على حمل الرماح، على طريقة قوله:

أقـولُ لمحـرزٍ لـمـا التقيْنـا تـنـكّـبْ لا يـقـطِّرْكَ الـزحـامُ

أي تجنب القتال، وتنحّ عنه، لئلا يلقيك الزحام على أحد جانبيك، يرميه بأنه لم يباشر الشدائد، ولم يدفع إلى مضايق المجامع، كأنه يخاف عليه أن يداس بالقوائم، كما يخاف على الصبيان والنساء، لقلة غنائه، وضعف بنائه.

(٣) ويجعل المنكر كغير المنكر، فيلقي إليه الخبر غير مؤكد، إذا كان معه شيء من الدلائل إن تأمله ارتدع عن إنكاره. ومعنى كونه معه أن يكون معلوماً له، مشاهداً عنده، كما يقال لمنكر الإسلام: «الإسلام حقّ» من غير تأكيد، لأن مع ذلك المنكر دلائل دالة على حقيقة الإسلام.

وهناك مواضع أُخرى يخرج فيها الكلام مطلقاً على خلاف مقتضى الظاهر، ومنها:

(١) وضع المضمَر مكان المظهر: وسيأتي في باب الواو.

(٢) وضع المظهر مكان المضمر: وسيأتي في باب الواو.

(٣) الالتفات: وسيأتي في باب اللام.

(٤) أسلوب الحكيم: وسيأتي في باب السين.

(٥) التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، للإشارة إلى تحقق وقوعه.

(٦) القلب: وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر لنكتة بلاغية نحو: عرضت الناقة على الحوض، مكان «عرضت الحوض على الناقة».

وانظر (أضرب الخبر) في باب الضاد.
وانظر (الضرب الابتدائي) في باب الباء.
وانظر (الضرب الطلبي) في باب الطاء.
وانظر (الضرب الإنكاري) في باب النون.
وانظر (مؤكدات الحكم) في باب الهمزة.

٢٣٤ - إخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك

هو (تأكيد المدح) بما يشبه الذم، عند ابن المعتز وأكثر البلاغيين، وهو (الاستثناء) عند غيرهم.

وهذه التسمية ذكرها ابن فارس. . . (الصاحبي) **٢٢٤**.
وانظر (تأكيد المدح) وقد سبق في باب الهمزة.
وانظر (الاستثناء) وقد سبق في باب الثاء.

٢٣٥ - المختَرع

المخترع من الشعر هو ما لم يُسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه، كقول امرىء القيس:

سمـوْت إليها بعـدما نـام أهلُهـا سموَّ حَباب الماء حالاً على حالِ

فإنه أوّلُ من طرق هذا المعنى وابتكره، وسلّم إليه الشعـراء فلم ينازعه أحد إيّاه. وقوله:

كـأنّ قلوبَ الطيـر رطباً ويـابسـاً لدى وكْرِها العُنّابُ والحشَف البالي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع، وهو أول الناس اختراعاً وأكثرهم توليداً - كما يقول ابن رشيق - ومن الاختراع قول طرفة:

ولـولا ثلاثٌ هنَّ من لـذّة الفتى وجدِّك لم أحفلْ متى قام عُوَّدي
فمنهنّ سبقُ العـاذلات بشَـرْبَـةٍ كميْتٍ متى ما تعْلَ بـالماء تـزْبدِ
وكرِّي إذا نادى المضـاف محنّباً كسيـد الغضـا نبّهتَـه المتـورِّدِ
وتقصيرُ يوم الدّجْن والدجن معجبٌ ببهكنـةٍ تحت الخبـاءِ المعمّـدِ

وقال يصف السفينة في جريها:

يشق حبَابَ الماء حيـزومُها بهـا كمـا قَسَم التُّرْبَ المفـايلُ بـاليدِ

وله أيضاً اختراعات أكثرها من هذه القصيدة. .

قال ابن رشيق: والفرق بين (الاختراع) و(الإبداع) وإن كان معناهما في العربية واحداً، أن (الاختراع) خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان

بما لم يكن منها قطّ. و(الإبداع) إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له (بديع) وإن كثر وتكرّر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ، فإذا تمّ للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمر، وحاز قصب السّبق... (العمدة) ١/ ١٧٧.

قلتُ: لقد خان التوفيق ابن رشيق في محاولته الفصل بين الاختراع والإبداع، وجعله الاختراع في المعنى، والإبداع في اللفظ، مع قوله إن معناهما في العربية واحداً. وناقض بذلك نفسه حيث قال إنّ معنى (الإبداع) إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف، والذي لم تجر العادة بمثله، فالكلام في الابداع كالكلام في الاختراع، فكيف ينتهي إلى القول بأن الاختراع للمعنى، والإبداع للّفظ؟!.

وانظر (الإبداع) وقد سبق في باب الباء.

٢٣٦ - الاختصار الذي ينوب عن الاطالة

ذكره ابن طباطبا في (عيار الشعر)، ولم يعرِّفه، ومثل له بقول لبيد بن ربيعة العامري:

وبَنُو الربّان أعداء لـ«لا» وعلى أَلْسُنِهِمْ ذلَّتْ «نَعَمْ»!
زَيَّنَتْ أحسَابُهمْ أنسَابَهمْ وكذاكَ الحلمُ زَينُ للكَرَمْ!

٢٣٧ - التخصيص

من الأغراض البلاغية التي تقتضي وصف المسند إليه - انظر باب الواو.

ومن الأغراض البلاغية التي تقتضي تقديم المسند إليه ـ انظر باب القاف.

٢٣٨ - تخصيص المسند إليه

تخصيص المسند إليه مما يستدعي تقييده بالوصف، والتخصيص يكون بتمييزه إن كان نكرة، وبتوضيحه إن كان معرفة.

وفي عرف النحاة أن (التخصيص) هو تقليل الاشتراك في النكرات، وأن(التوضيح) هو رفع الاحتمال في المعارف.

وبيان ذلك أن كلمة «رجل» مثلاً تدل على كل رجل، فإذا قلت جاءني رجل فقد اشترك في مدلول كلمة رجل مع الرجل الذي جاءك سائر الرجال. ولكنك إذا قلت مثلاً جاءني «رجل عالم» فإنه لا يشترك في مدلول كلمة «رجل» هنا مع الرجل الذي جاءك إلا من كان من طائفة العلماء. وكلمة «أحمد» مثلاً تطلق على أشخاص مختلفين منهم التاجر، والكاتب، والشاعر، والخطيب... فإذا قلت مثلاً جاءني «أحمد التاجر» أصبحت كلمة (أحمد) نصّاً في واحد بعينه، لا يحتمل غيره.

٢٣٩ - تخصيص المسند

يخصّص المسند بالإضافة في نحو: زيدٌ غلامُ رجلٍ.
ويخصص أيضاً بالوصف في نحو: زيدٌ رجلٌ عالم.
والغرض من التخصيص أن تكون الفائدة أتمّ. ويترك تخصيصه بهما إذا دعت الحال لتركه.

٢٤٠ - المختَصُّ

من المعاني، هو الذي حازه المبتدىء فملكه، وأحياه السّابق فاقتطعه، ولذلك صار المعتدي عليه مختلساً سارقاً، والمشاركُ له محتذياً تابعاً.

٢٤١ - الخاصِّيّة

تنقسم الاستعارة المصرّحة باعتبار الجامع إلى نوعين، هما الاستعارة العامية، والاستعارة الخاصية...

والاستعارة (الخاصية) هي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً، لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص. كقول كثيرّ يمدح عبدالعزيز بن مروان:

غَمْـر الـرداء إذا تبسّم ضـاحكـا   غَلِقَتْ لضحكتـه رقـابُ المـالِ

غمر الرداء: كثير العطايا والمعروف، استعار الرداء للمعروف، لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه. وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب، لأن الغمر من صفات المال، لا صفات الثوب.

وهذه الاستعارة لا يظفر بإدراكها وتذوّقها إلا ذوو الفطر السليمة، والخبرة التامة.

وانظر (العامية) وستأتي في باب العين.

٢٤٢ - الخطّ

من التجنيس هو «جناس التصحيف» وسيأتي في باب الصّاد.

٢٤٣ - الخط

من أصناف الدلالات، ووجوه البيان، ذكره الجاحظ، قال: فأما الخطّ فمما ذكر الله عز وجلّ في كتابه من فضيلة الخطّ، والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيّه عليه السلام «اقرأ وربّك الأكرم، الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلَمْ» وأقسم به في كتابه المنزل على نبيّه المرسل، حيث قال: «ن. والقلم وما يَسْطُرون». ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين، كما قالوا: قلّة العيال أحد اليسارَين. وقالوا: القلم أبْقى أثراً، واللسان أكثرُ هذراً.

وقال عبدالرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام.

وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن[1]، مثله للقائم الراهن.

والكتاب يُقْرأ بكلّ مكان، ويدرس في كل زمان، واللسانُ لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره... (البيان والتبينٌ) ١/ ٨٠.

وانظر (الدلالة) في باب الدال.

وانظر (الكتاب) في باب الكاف.

٢٤٤ - الخطابُ العامّ

والمقصود منه أن يخاطب به غير معينٌ، إيذاناً بأن الأمر لعظمته حقيق بأن لا يخاطب به أحدٌ دون أحدٍ.

ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: «ولو تَرى إذْ وقفوا على النّار».

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «بَشِّر المشّائين في الظّلم».

وربّما يخاطَب في هذا واحد بأسلوب التثنية، كما قال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدبِ   نُقَضِّ لبُاناتِ الفؤادِ المعـذَّبِ

ومثل هذا كثير في الشعر العربي، وبخاصة في مطالع القصائد.

قال الطيِّبي: إن المراد بالخطاب العام هو عموم استغراق الجنس في المفرد. فهو كالألف واللام الداخلة على اسم الجنس.

قال: وتسميته خطاباً عاماً مأخوذ من قول صاحب «الكشّاف»: ما أصابك يا إنسان؟ خطاب عامّ...

---

(١) الحائن الهالك.

وانظر (عروس الأفراح) - (شروح التلخيص) صفحة ٤٧٣ من المجلد الرابع.

٢٤٥ - التخفيف

من بعض مقاصد (التعريض) وسيأتي في باب العين.

٢٤٦ - الاختلاس

هو تحويل المعنى من غرض إلى غرض، وقد يسمى أيضاً «نقل المعنى» مثل قول أبي نواس:

مَلِكٌ تصوَّر في القلوبِ مثالُه … فكأنّه لم يخْلُ منه مكانُ

اختلسه من قول كثير:

أريدُ لأنْسَى ذكرها فكأنّما … تمثَّلُ لي ليلَى بكلِّ سبيلِ

وقول عبدالله بن مُصعب:

كأنك كنت محتكماً عليهمْ … تخيَّرُ في الأبُوَّة ما تشاءُ

اختلسه من قول أبي نواس:

خليتْ والحسنُ تأخذُهُ … تنتقي منه وتنتخبُ

فاكتست منه طرائفه … ثمَّ زادتْ فضلَ ما تهبُ

والاختلاس في البيت الأول. ومن هذا النوع قول امرىء القيس:

إذا ما ركبْنا قال ولدانُ حيِّنا … تعالَوْا إلى أن يأتنا الصيدُ نخطبُ

فقد نقله ابن مقبل إلى القدح، فقال:

إذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ … نزاريّة قبل الإفاضةِ يقدح!

٢٤٧ - التّخلّص

قال ابن رشيق: من الناس من يسمِّي (الخروج) تخلُّصاً وتوصُّلا، وينشدون أبياتاً منها:

إذا مـا اتّقى الله الفتى وأطاعَـه فليسَ به بأسٌ وإنْ كان من جَرمِ
ولو أنّ جرماً أطعمُوا شحم جفرةٍ لباتُوا بطاناً يضرطون من الشحمِ

وأولى الشعر بأن يسمّى تخلّصاً ما تخلّص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول، وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه، كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر:

وكفكفتُ منّي عبـرةٍ فـرددْتُهـا إلى النّحـر منها مستهـلٌّ ودامـعُ
على حين عاتبتُ المشيبَ على الصّبا وقلتُ ألمّـا أصْحُ والشيبُ وازعُ

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال:

ولكنَّ همّـاً دون ذلك شـاغـلٌ مكـان الشغاف تبتغيـه الأصـابـعُ
وعيدُ أبي قابوسَ في غير كنُهـه أتـاني ودُوني راكسٌ فالضـواجـعُ

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك، فقال:

فبتّ كـأنـي سَـاورتنـي ضئيلـةٌ من الرُّقْش في أنيابها السّم ناقعُ
يسهّدُ في ليـل التمـام سليمُهـا لحلْي النسـاء في يديـه قعـاقـعُ
تناذرها الـراقون من سُـوء سمّها تـطلقـه طـوراً وطـوراً تـراجـعُ

فوصف الحية والسَّليم الذي شبّه به نفسه ما شاء، ثم تخلص إلى الاعتذار الذي كان فيه فقال:

أتـاني أبيْتَ اللعنَ أَنـك لمتني وتلك التي تسْتكُّ منها المسـامِعُ

ويروى «وخبِّرْتُ خير الناس أنك لمتني» ثم اطرد ما شاء من تخلّص إلى تخلّص، حتى انقضت القصيدة. . . (العمدة) ١/١٥٩.

وقال العلويّ إنّ معنى (التخلص) في ألسنة علماء البيان أن يسردَ الناظم والناثر كلامهما في مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه، ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود بينه وبين الأول عُلْقة ومناسبة. وهذا نحو أن يكون الشاعر مستطلعاً لقصيدته بالغزل، حتى إذا فرغ منه خرج إلى المدح على مخرج مناسب للأول، بحيث يكون الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض، كأنه أفرغ في قالب واحد.

والتخلص في النثر أسهل منه في النظم، لأن الناظم يراعي القافية والوزن.

وقد عجب العلوي من الغانمي حيث أنكر التخلص أن يكون واقعاً في كتاب الله تعالى. قال وما ذاك إلاّ من أجل اشتغاله بفن الشعر والكتابة عن الاطلاع على أسرار كتاب الله تعالى. ثم أورد العلوي طائفة من آيات الله في كتابه العزيز، وشرح بإفاضة ما فيها من حسن التخلص، وكذلك أورد من الأحاديث النبوية ومن كلام الإمام علي شواهد على هذا الفن. وكذلك أورد طائفة من كلام البلغاء في المنثور والمنظوم: انظر (الطراز) ٢/٣٤٧.

٢٤٨ - التخليع

من عيوب الوزن عند قدامة. وهو أن يكون الشعر قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميّله إلى الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره، حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض فيصحّ فيه، فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة، قليل الحلاوة. وذلك مثل قول الأسْود بن يَعْفُر:

إنا ذممنا على ما خَيّلَتْ   سعد بن زيد وعمراً من تميمْ

وضبّة المشتري العار بنا   وذاك عمٌّ بنا غيرُ رحيمْ

لا ينتهون الدّهـر عن مولى لنـا قَـوْرك بـالسهم حـافـات الأديمْ
ونـحـن قـوم لـنـا رمـاحُ وثـروة مـن مـوال وصَـمـيـمْ
لا نشتكي الوصم في الحرب ولا نَئِنُّ منهـا كتـأنـان الـسليمْ

ومثل قول عروة بن الورد:

يـا هـنـد بـنـت أبـي ذراع أخلفتني ظني ووتـرتني عشقـي
ونـكحـت راعي ثُـلّةٍ يثـمِّـرهـا والـدهـر فـائتـه بمـا يـبقـى

ومثـل قصيدة عبيـد بن الأيرص، وفيهـا أبيات قـد خرجت عن العروض البتة، وقبح ذلك جودة الشعر، حتى أصاره إلى حدّ الرديء منه. فمن ذلك قوله:

والمـرء مـا عـاش في تكـذيب طـول الـحيـاة لـه تـعـذيـب

فهذا معنى جيد ولفظ حسن، إلّا أن وزنه قد شانه، وقبح حسنه، وأفسد جيده.

فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة أو الأبيات كلها أو أكثرها كان قبيحاً من أجل إفراطه في التخليع واحدة، ثم من أجل دوامه وكثرته ثانية.

وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط،، أو كان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق يخرجه عن الوزن، مثل ما قال مُتَمِمّ بـن نويرة:

وفقـد بني أمٍ تداعـوا فلم أكن خـلافهمُ لأستـكين وأضـرعـا

فأما الإفراط والدوام فقبيح.
وقـال اسحاق يحكي عن يـونس أنه قـال: أهون عيـوب الشعـر

الزحاف، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فمنه ما نقصانه أخفى، ومنه ما هو أشنع، وهو في ذلك جائز في العروض، قال خالد بن أخي أبي ذؤيب الهُذَلي:

لعلك إمّا أم عمرو تبدّلت سواك خليلا شاتمي تستخيرها

وهذا مزاحَف في كاف «سواك». ومَنْ أنشده «خليلا سواك» كان أشنع. قال: وكان الخليل بن أحمد يستحسنه في الشعر إذا قلَّ البيت أو البيتان، وإذا توالى وكثر في القصيدة سمج. قال إسحاق: فإن قيل: كيف يستحسن وهو عيب؟ قيل: يكون مثل هذا الحول والقَبَل واللثغ في الجارية يشتهي القليل منه، وإن كثر هجن وسمج. والْوَضَحُ في الخيل يُشتهى، ويستطرف خفيفه، الغُرَّةُ والتحجيل، فإذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا. قال: وخفيف البَلَق يحتمل، ولم أر أبلق سابقاً، ولم أسمع به...
انظر (نقد الشعر) ١٠٨.

٢٤٩ - الخُلْفُ

انظر (صدق الخبر وكذبه) وسيأتي في باب الصاد.

٢٥٠ - المخالف

عند بعض البلاغيين، هو الذي يقرب من التضادّ، كقول أبي تمام:

تردَّى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليلُ إلّا وهي من سُندسٍ خضْرُ

فإن الحمْر والخضْر من (المخالف). وبعض الناس يجعل هذا من (المطابق). وكذلك قول عمرو بن كلثوم:

بأنّا نُوردُ الراياتِ بيضاً ونصدرُهنَّ حُمْراً قد رَوينَا

وقول الوليد بن عبيد البحتري:

وإلّا لقيتُ الموتَ أحمرَ دُونَه كما كان يَلْقي الدهرَ أغبرَ دوني

والصحيح أنهم يعتبرون في التضاد استعمال الألفاظ، والأحمر والأبيض ليسا بضدّين على عُرفهم، وإنما ضد البياض السّواد.

ومن قبيح المخالف قول أبي تمام:

مكرُهمْ عنده فصيحٌ وإنْ همْ خاطبوا مكره رأَوْه جليبا

لأنه لما أراد أن يخالف بين فصيح وجليب - وهو الذي قد جُلب في السّبي فلم يفصح بالكلام - جعل المكر جليباً، وذلك من الاستعارات المستحيلة والأغراض الفاسدة... وانظر (سرّ الفصاحة) **٢٤**.

وانظر (الطباق)، وسيأتي في باب الطاء.

وانظر (التدبيج)، وسيأتي في باب الدال.

٢٥١ - المخَالفُ

من التجنيس، وهو أن يشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأُخرى، دون ترتيبها، كقول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنَّ جلاء الشّكِّ والرِّيَبِ

وقول البحتري:

شواجر أرماحٍ تقطّعُ بينَهُمْ شواجنَ أرحامٍ ملُومٍ قطوعُها

وقول المتنبي:

ممتّعة ممنعة رداحٌ يكلّف لفظُها الطيرَ الوقُوعَا

فإن اشتملت كل كلمة على حروف الأُخرى وكان بعض هذه قلب

حروف هذه خصّ باسم (جناس العكس) كقوله صلى الله عليه وسلم «يقالُ لصاحب القرآن يومَ القيام اقرأ وارقأ». وقول عبدالله بن رواحة يمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم:

تحمله الناقةُ الأدْماءُ معتجراً بالبُرْد كالبْدرِ جلّى نُوُره الظُّلَما

٢٥٢ - المخالفة

هي الخروج على مذاهب الشعراء، وترك الاقتفاء لآثارهم.

٢٥٣ - مخالفة العرف

عند قدامة، من عيوب المعاني مخالفة العرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع، مثل قول المرَّار:

وخالٍ على خدَّيك بادٍ كأنّه سَنا البدر في دَعْجاءَ بادٍ دُجونها

فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سُودٌ أو ما قاربها في ذلك اللون، والخدود الحسانُ إنما هي البيض، وبذلك تُنْعت، فأتى الشاعر بقلب هذا المعنى.

ومن هذا الجنس قولُ الحكم الُخضْري:

كانت بنو غالبٍ لأُمتّها كالغيث في كلّ ساعةٍ يكفُ

فليس في المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كلّ ساعة.. (نقد الشعر) ١٣٤.

٢٥٤ - مخالفة ظاهر اللفظ معناه

وجوه كثيرة، منها:

(١) الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع:

كقول الله عزّ وجلّ «قُتل الخرّاصون» و«قُتل الإنسانُ ما أكفره»!

و«قاتلهم الله أنّ يؤفكون» وأشباه ذلك. ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم للمرأة «عَقْرَى حَلْقَى» أي: عقرها الله، وأصابها بوجع في حلقها.

وقد يراد بهذا أيضاً (التعجب) من إصابة الرجل في منطقه، أو في شعره، أو رميه، فيقال: «قاتله الله، ما أحسن ما قال!» و«أخزاه الله ما أشعره!» و«لله درُّه، ما أحسن ما احتج به!». ومن هذا قول امرىء القيس في وصف رامٍ أصاب:

فهو لا تنمى رَميَّتُه ما له لا عدَّ من نَفَرِهْ!

يقول: إذا عدّ نفره أي قومه، لم يعدّ معهم، كأنه قال: قاتله الله، أماته الله. وكذلك قولهم: هوت أمّه، وهبلته، وثكلته. قال كعب بن سعد الغنَوي:

هَوتْ أمّه ما يبعثُ الصبّح غادياً وما ذا يؤَدِّي الليل حين يثوبُ

(٢) الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان. نحو قوله تعالى «إنّما نحن مستهزئون، الله يستهزىء بهم» أي يجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكذلك «سخر الله منهمْ» و«ومكرُوا ومَكَرَ الله» و«وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها»، هي من المبتدىء سيئة، ومن الله عزّ وجلّ جزاء.

(٣) أن يأتي الكلام على مذهب (الاستفهام) وهو (تقرير) كقوله تعالى «قلْ من يكلؤكمْ بالليل والنهار من الرحمن».

(٤) أن يأتي على مذهب (الاستفهام) وهو (توبيخ). كقوله تعالى «أتأتون الذكرانَ من العالمين».

(٥) أن يأتي على لفظ (الأمر) وهو (تأديب) كقوله تعالى «وأشهدوا ذَوَيْ عدل منكم» و«واهجروهن في المضاجع واضربوهن».

(٦) أن يأتي على لفظ (الأمر) وهو (إباحة) كقوله تعالى «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً».

(٧) أن يأتي على لفظ (الأمر) وهو (فرض) كقوله سبحانه وتعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة».

(٨) ومنه عام يراد به خاص، كقوله سبحانه حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم «وأنا أول المسلمين» لم يرد كل المسلمين، لأن الأنبياء السابقين كانوا مؤمنين ومسلمين. وإنما أراد مسلمي زمانه.

(٩) ومنه جمع يراد به واحد واثنان، كقوله تعالى: «وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» واحد واثنان فما فوق. وكقوله سبحانه «فإن كان له إخوة فلأمه السُّدس» أي أخوان فصاعدا.

(١٠) ومنه واحد يراد به الجمع، كقوله تعالى «لا نفرق بين أحد من رسله» والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعداً.

(١١) ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد، نحو قوله سبحانه «وإن كنتم جنباً فاطهروا».

(١٢) ومنه أن يوصف الواحد بالجمع، نحو قول الشاعر:

* جاء الشتاء وقميصي أخلاق *

(١٣) ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما. كقوله سبحانه «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما». روي في التفسير أن الناسي كان يوشع بن نون، ويدلك قوله لموسى عليه السلام «إني نسيت الحوت».

(١٤) ومنه أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما أو تنسبه لأحدهما، وهو لهما. كقوله تعالى «وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها».

(١٥) ومنه أن يخاطب الشاهد بشيء، ثم يجعل الخطاب له على لفظ

الغائب، كقوله عز وجل «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها».

(١٦) ومنه أن يجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي:

يا ويح نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر

(١٧) ومنه أن يخاطب الرجل بشيء، ثم يجعل الخطاب لغيره، كقوله سبحانه «فإن لم يستجيبوا لكم» الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال للكفار «فاعلموا إنما أُنزل بعلم الله وألا إله إلا هو» يدلك على ذلك قوله «فهل أنتم مسلمون».

(١٨) ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك الاثنين فتقول: افعلا. قال الله تعالى «ألقيا في جهنم كل كفار عنيد» الخطاب لخزنة جهنم أو زبانيتها.

قال الفراء: والعرب تقول: ويلك أرحلاها وازجراها، وأنشد لبعضهم:

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله واجتز شيحا

وقال الشاعر:

فإن تزجُراني يا ابن عفّان أنزجِرْ وإن تدعاني أحمِ عرضاً ممنَّعا

(١٩) ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع، كقوله سبحانه «قال ربّ ارجعُون».

(٢٠) ومنه أن يتصل الكلام بما قبله، حتى يكون قول واحد وهو قولان. نحو قوله تعالى «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» ليس «وكذلك يفعلون» من قولها.

(٢١) ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل، كقوله سبحانه «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» أي لا معصوم من أمره.

(٢٢) ومنه أن يأتي «فعيل» بمعنى «مُفْعل» نحو قوله «بديع السموات والأرض» أي مبدع. وكذلك «عذاب أليم» أي مؤلم.

(٢٣) ومنه أن يجيء «فعيل» بمعنى «فاعل» نحو: حفيظ، وقدير، وسميع، وبصير، وعليم.

(٢٤) ومنه أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به، وهو قليل، كقوله «إنه كان وعده مأتياً» أي: آتياً.

٢٥٥ - مخالفة القياس

مما يخل بفصاحة الكلمة، وهو كون الكلمة جارية على خلاف القانون الصرفي، مثل لفظ «الأجلل» في قول الشاعر:

الحمدُ لله العليِّ الأجلَل أنت مليكُ الناسِ ربّاً فاقبَلِ

فإن القانون «الأجلّ» بالإدغام لا الفكّ.

نعمْ، إن ما سمع عن العرب على خلاف القانون لا يخل بالفصاحة.

٢٥٦ - الخَلَلُ

من عيوب الشعر، وهو (الإخلال) وسيأتي.

٢٥٧ - الإخلال

الإخلال أن يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد به غير واف به، كقول الحارث بن حِلزة:

والعيشُ خيرٌ في ظلا لِ النُّوك ممّن عاش كدًّا

وأصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل، ولفظه غير واف بذلك.

٢٥٨ - الإخلال

عند قدامة، من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وهو أن يترك الشاعر من اللفظ ما يتم به المعنى، مثال ذلك قول عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود:

أعـاذَل عـاجـلُ مـا أشتهـي أحـبُّ من الأكـثـر الـرائـث

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحبُّ إلي من الأكثر المبطىء. فترك «مع القلة» وبه يتم المعنى. ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفـوسَهم ومقتلُهم عند الوغَى كـان أعذرا

فإنما أراد أن يقول «عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم ومقتلهم عند الوغى أعذر» فترك «في السلم»...

قال: ومن عيوب هذا الجنس عكس العيب المتقدم، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى. مثال ذلك قول بعضهم:

فما نطفَةٌ من ماءٍ نحضٍ عُـذَيبةٌ تمنّـعُ من أيدي الـرُّقاةِ تـرومُهـا
بـأطيبَ من فيها لـوانّـك ذُقْتَـهُ إذا ليلةٌ أسْحَتْ وغارت نجومُهـا

فقول هذا الشاعر «لو أنك ذقته» زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً. وانظر (نقد الشعر) ١٣٦.

٢٥٢ - التخميع

هو (التجميع) وقد سبق في باب الجيم. ذكر ذلك ابن رشيق في «العمدة» بقوله: ورأيت من يقول (التخميع) بالخاء، كأنه من الخمع في الرِّجل[١]... (العمدة) ١/١١٤.

(١) يقال خمع في مشيته من باب قطع إذا ظلع.

٢٦٠ - التخيير

من الأغراض البلاغية التي تخرج إليها صيغة الأمر عن معناها الأصلي. والفرق بينه وبين الإباحة أنه لا يجوز الجمع بين الأمرين في التخيير دون الإباحة، وإن كان الأصوليون قد فسروا الإباحة بالتخيير، فإن التحقيق أنها خلافه، لأن (الإباحة) إذنٌ في الفعل وإذنٌ في الترك ينتظم إذنين معاً. و(التخيير) إذن في أحدهما من غير تعيين. . .

وانظر (الإباحة) وقد سبقت في باب الباء.

٢٦١ - التخيير

هو أن يأتي الشاعر أو الناثر بفصل من الكلام أو بيت من الشعر يسوغ أن يقفّى بقواف شتى، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل، يدل اختياره لها على حذقه، كقول الشاعر:

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيلِ ممتَهنٌ فكيف حالُ غريب ما له قوتُ

فإنه يسوغ أن يقول «ما له مال» و«ما له نشب» و«ما له نسب» و«ما له صفد» و«ما له سبد» و«ما له أحد». وإذا نظرت إلى قوله «ما له قوت» وجدتها أبلغ من الجميع، وأدل على الفاقة، وأمس بذكر الحاجة، وأبين للضرورة، وأشجى للقلوب، وأدعى للاستعطاف، فلذلك رجحت على ما ذكرناه.

ومن هذا قول ديك الجن الحمصي:

قُولي لطيفك ينثني عن مَضْجَعي وَقْتَ المنام
فعسَى أنامُ وتَنْطفي نارٌ تأجّجُ في العِظام
جَسَدٌ تقلّبه الأكُفُّ (م) على فراشٍ من سقام
أمّا أنا فكما عَلِمْـ ـتِ، فهلْ لوصْلِكِ من دَوام

فإنه يصلح مكان «منام»: رقاد، هجوع، هجود، وسن.
ومكان «عظام»: فؤاد، ضلوع، كبود، بدن.
ومكان «سقام»: قتاد، دموع، وقود، حزن.
ومكان «دوام»: معاد، رجوع، وجود، ثمن.

وفي الكتاب العزيز من هذا النوع ما لا يلحق سبقاً، كقوله تعالى في أول سورة الجاثية «إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين. وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون».

فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى «للمؤمنين» دون غيرها، لأنه سبحانه ذكر العالم بجملته حيث قال: «السموات والأرض» ومعرفة ما في العالم من الآيات الدالة على أن مخترعه قادر عالم حكيم مختار، فرع على التصديق بوجود صانع على هذه الصفات، إذ لا بد من اعتقاد وجود ذات أوّلا موصوفة بهذه الصفات. وإذا اقتضت البلاغة تقديم التصديق بالذات حتى يترتب عليها الصفات رجح أن تكون الفاصلة «المؤمنين» دون غيرها لا سيما والعلم بذلك والإيمان به متلقى من الشرع، فهو موقوف على التصديق بالرسول الذي تلقينا منه ذلك. فلا تكون الفاصلة إلا كما جاءت.

وكذلك قوله تعالى في الآية الثانية «لقوم يوقنون» فإن نفس الإنسان، وتدبر خلق الحيوان، أقرب إلى فهمه من الأول، وتفكره في ذلك مما يزيده يقيناً في معتقده الأول. وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما بسبب ظهور الشمس للحس من وراء مخروط الظل للأرض، واستتارها عن الحس بمخروط ظل الأرض، فإن الأول عبارة عن النهار، والثاني عبارة عن الليل، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض

بعد موتها، وتصريف الرياح التي تلقح السحاب، فتمطر الماء به، فينبت به النبات، وتعيش الحيوانات، يقتضي رجاجة العقل ورصانته، ليعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع الكليات التي هي كرة الأفلاك وما اشتملت عليه، لأن هذه الجزئيات من عوارض تلك الكليات، ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلي صانعاً مختاراً. وإذا كان الكلي مركباً من أجزاء،فالأحكام الجارية عليه من حيث هو كلي جارية على الأجزاء التي هو مركب منها. فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة «يعقلون» وإن احتيج إلى العقل في الجميع إلا أن ذكره ها هنا أمسُّ بالمعنى من الأول...

٢٦٢ - التخيير

ومن (التخيير) ضرب غير هذا، وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر جملة، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير، كقوله تعالى «فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة».

ومن شرط هذا النوع من التخيير أن يتضمن صحة التقسيم، فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذي يأخذ فيه المتكلم، كما جاء في هذه الآية، فإنه سبحانه حصر فيها أصناف الكفارة التي لا يجزىء الموسر غيرها.

٢٦٣ - التخيير

انظر (ذوات القوافي). وستأتي في باب الذال.

٢٦٤ - الأخياف

انظر (المعجم والمهمل) وسيأتي في باب العين.

٢٦٥ - الخيالي

من أقسام الجامع: وهو أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الشيئين في القوة المفكرة، بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك. وهذه الأسباب مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتباً ووضوحاً. فكم من صور لا انفكاك بينها في خيال، وهي في خيال آخر مما لا تجتمع أصلاً، كصور القلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب، فإذا حضرت صورة أحدها في خياله حضرت صور الباقي، لكثرة إلف خياله لها، على حين أنها لا تجتمع في خيال النجار أو البناء مثلا، وإن استحضر واحداً منها بأن رآه... لقلة إلف خياله له. وقل مثل ذلك بالنسبة للقدوم والمنشار والمثقاب في خيال النجار، والسيف والرمح والدرع في خيال المقاتل، وهكذا.

وكم من صور لا تغيب عن خيال، وهي في خيال آخر مما لا يجتمع قط، كصورة محبوب خالد، فإنه لا يغيب عن خياله هو، ولكنها لا تقع في خيال علي الذي هو غير محب...

وقد حكي أن وراقاً وصف حاله فقال:

«عيْشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرقُّ من الزجاج، وحظي أخفى من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وشرابي أشد سواداً من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ».

وذكر السكاكي في «مفتاح العلوم» أقوالاً في وصف الكلام البليغ على لسان أرباب الحرف والصناعات منها:

قال على لسان جوهري: أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة، ونظمته الفطنة، وفصل جوهر معانيه في سمط ألفاظه، فحملته نحور الرُّواة!

وقال على لسان صيرفي: أحسن الكلام ما نقدته يد البصيرة، وجلته عين الروية، ووزنه معيار البلاغة، فلا ينطق فيه بزائف، ولا يسمع فيه ببهرج!

وقال على لسان جمال يصف بليغا: البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عقالاً، والإيجاز له مجالاً. فلم يند عن الأذهان، ولم يشذ عن الآذان!

٢٦٦ - الخيالي

مما يدخله البلاغيون في «الحسي» في كلامهم عن (طرفي التشبيه). والخيالي عندهم هو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من عدة أمور، فأدركت أفراده بالحس، أي أجزاء كل جزئي منه، ولم تدرك هيئته الاجتماعية، فيكون ملحقاً بالحسي، لاشتراك الحس والخيال في أن المدرك بهما صورة لا معنى. ومثله قول الشاعر:

وكأنّ مُحْمَرَّ الشقيـ ـقِ إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ ن على رماحٍ من زبَرْجَدْ[1]

فالهيئة التركيبية التي قصد التشبيه بها، وهي هيئة نشر أعلام مخلوقة من الياقوت على رماح مخلوقة من الزبرجد لم تشاهد قط، لعدم وجودها، ولكن هذه الأشياء التي اعتبر التركيب معها التي هي مادة أي أصل تلك الهيئة، وهي العلم والياقوت والزبرجد شوهد كل واحد منها لوجوده، فهو محسوس، وكقول الشاعر:

كلُّنا باسط اليدِ نحو نيلوفرٍ نَدِ
كدبابيس عسجدٍ قُضْبُها من زبرْجَدِ

(١) الشقيق: نور يتفتح كالورد أوراقه حمر وفي وسطه سواد. تصوب مال إلى أسفل. تصعد مال إلى أعلى. الياقوت حجر نفيس أحمر. الزبرجد حجر نفيس أخضر.

٢٦٧ - الخيالية

أحد قسمي (الاستعارة) الحقيقية والخيالية اللتين تنقسم إليهما باعتبار ذاتها.

والاستعارة الخيالية الوهمية أن تستعير لفظاً دالاًّ على حقيقة خيالية تقدرها في الوهم، ثم تردفها بذكر المستعار له إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها، كما قال الشاعر:

وإذا المنيــةُ أنشبت أظـفـارهـا ألفيـت كــلَّ تميمــة لا تـنفــعُ

وذلك تخييل لـلاستعارة، لأنـه لما شبـه المنية بـالسبع في عـدوانها وتضريتها على الإنسان جعل لها مخالب، ليزداد أمر التخييل ويكثر.

٢٦٨ - التخييلي

وجه الشبه التخييلي ما لا يكون في أحد الطرفين إلا عـلى سبيل التخييل، بأن تجعـل المخيلة ما ليس بمحقق محققاً، نحو تشبيـه السيرة بالمسك، والأخلاق بالعنبر. فقد شاع وصف كل من السيـرة والأخلاق بـالطيب تـوسعا، حتى تخيـل أنهما من الأجناس ذات الـرائحة الـطيبة. فشبهوهما بكل من المسك والعنبر في الطيب. وكقول القاضي التنوخي:

وكــأن الـنجـوم بـيـن دجــاه سـنـن لاح بـيـنـهـن ابـتــداع

فقد شاع وصف البدعة والشبهة، وكل ما كان باطلا بأنه مـظلم أو أسود، وأصبح يقال «شاهدت سواد الكفر» أو «ظلمة الجهل» من جبين فلان. وكان من أثر هذا الشيوع أن تخيل البدعة نوعاً من الأنواع التي لها ظلمة وسواد. ومن هذا صار تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين البدع على قياس تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب، أو بالأزهار المؤتلفة بين نبات شديد الخضرة.

ولا يتم هذا التشبيه إلا بتخيل الألوان فيما لا لون له، فإن وجه الشبه في البيت هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فهي غير موجودة في المشبه به، وهو السنن والابتداع، إلا على طريق التخييل.

وانظر (التخصيص) من وجه الشبه وقد سبق في باب الخاء.

باب الدال

٢٦٩ - التدبيج

ألحقه البلاغيون بالطباق، وهو مأخوذ من: دبّج المطر الأرض أي زينها. وأصله من الديباج، وهو الحرير. وشبه به ما وجد بالمطر من ألوان النبات.

ومعنى التدبيج عند البلاغيين: أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان، لقصد إيجاد الكناية في تلك الألوان أو بعضها، أو لقصد التورية كذلك. وأرادوا بالألوان ما فوق الواحد. وقالوا إنه داخل في (الطباق) لأن الألوان أمور متقابلة، فهي جزئية من جزئيات الطباق، وخُصّت باسم (التدبيج) لتخيل وجود ألوان فيها كوجود ألوان النبات بالمطر.

فالتدبيج الذي فيه (الكناية) كقول أبي تمام في الرثاء:

تردّى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليل إلاّ وهي من سندس خُضْرُ

ومعنى البيت أن المرثي لبس الثياب الملطخة بالدم حين قتل، ولم يدخل عليه الليل حتى صارت تلك الثياب من السندس[1]، وصارت خضرا. فقد جمع بين لونين فقط، والأول وهو حمرة الثياب كناية عن القتل، لاستلزامه إيّاه عرفا مع قرينة السياق، والثاني وهو خضرة الثياب كنى به عند دخول الجنة لما علم أن أهل الجنّة يلبسون الحرير الأخضر.

---

(١) السندس: الحرير.

وصيرورة هذه الثياب عبارة عن انقلاب حال القتل إلى حالة النعمة بالجنة.

وكقول أبي حيّوس:

طالما قلت للمسائل عنكُمْ واعتمادي هداية الضُّلَّالِ
إن ترد علم حلهم عن يقين فالْقَهُمْ يوم نائل أو نزالِ
تلق بيض الوجوه سود مُثار النّـ ـقع خضر الأكناف حمر النصالِ

وتدبيج (التورية) كقول الحريري في مقاماته «فمذ ازْوَرَّ المحبوبُ الأصفر، واغبرّ العيش الأخضر، اسْوَدّ يومي الأبيض، وابيضَّ فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبّذا الموت الأحمر».

فمعنى «ازورّ المحبوب الأصفر» أي مال عني المحبوب الأصفر، وفي هذا اللون وقعت التورية، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الموصوف بالصفرة المحبوبة، وازوراره بُعده عن ساحة الاتصال. والمعنى البعيد وهو الذهب الأصفر لأنه محبوب، وهو المراد به، فكان تورية.

وجمع الألوان لقصد التورية لا يقتضي أن يكون في كل لون تورية كما توهمه بعضهم، بل يجوز أن تجمع على أن بعضها تورية وبعضها كناية، كما في عبارة الحريري، فإن وصف العيش بالاخضرار كناية عن طيبه ونعومته، والاغبرار كناية عن ضيق العيش ونقصانه، واسوداد اليوم كناية عن ضيق الحال، وكثرة الهموم. ووصفه بالبياض كناية عن سعة الحال والفرح. وابيضاض الشعر كناية عن كثرة الحزن والهم. ووصف العدو بالزرقة كناية عن شدة العداوة، لأن أشهر الناس بالعداوة، وأشدهم فيها للمسلمين الروم، وأكثرهم زرق العيون، فاشتهر وصفهم بالعداوة مع زرقة أعينهم، حتى صار كناية عن كل عدو شديد العداوة.

وانظر (المخالف) وقد سبق في حرف الخاء.

٢٧٠ - الاستدراج

قال ابن الأثير إنه هو الذي استخرج هذا الباب من كتاب الله تعالى. وقال هو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال، وإن مدار البلاغة كلها عليه، لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الرقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها. وذكر من أمثلة ذلك قوله تعالى: «وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعونَ يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول رَبِّيَ الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه، وإن يكُ صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب» فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً، فكذبه يعود عليه ولا يتعداه، أو يكون صادقاً، فيصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له. فقد علم أنه نبيّ صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم بعضه، لأنه احتجاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، ليكون أدعى إلى سكونهم إليه، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم إياه، فقال: «وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم» وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط. وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به، ليريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافياً، فضلاً عن أن يتعصب له، تقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، لئلا ينفروا منه.

٢٧١ - التدريج

من (التقسيم) وسيأتي في باب القاف.

٢٧٢ - الاستدراك

انظر (الالتفات) وسيأتي في باب اللام.

٢٧٣ - الاستدراك

يجري مجرى (تأكيد المدح بما يشبه الذمّ) في مثل قول بديع الزمان الهمذاني:

هـو البدر إلّا أنـه البحر زاخـراً سوى أنه الضرغام لكنـه الوَبْـلُ

وقد سبق في باب الهمزة. وانظر (الاستثناء) وقد سبق باب الثاء.

٢٧٤ - الاستدراك والرجوع

وهو على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير، وقسم لا يتقدمه ذلك.

فمثال ما يتقدمه التقرير قوله تعـالى: «إذ يريكهم الله في منـامك قليلاً، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر، ولكنّ الله سلّم».

ومثال ما تقـدم الاستدراك فيـه نفي لا تقريـر قولـه تعالى: «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت، ولكن الله رمى».

فأتى الاستدراك في هذه الكلمات في مـوضعين كـل منهما مـرشح للتعطف، فإن لفظة تقتلوهم، وقتلهم، ورميت، ورمى تعطف. وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام، لتوسط حرفه بين لفظتي التعطف في الموضعين. وجاء الانتقال في نظم هذه الكلمات على طريق البلاغة، إذ حصل الانتقال من القتل إلى الرمي، لأن الرمي كان أعجب آية من القتل، فإن القتل مما يظن بظاهره أنه من فعل القاتل، والرمي في هذا المكان ليس كذلك، فإن المراد به رمية الرسول صلى الله عليه وسلم الكف من الحصباء، فأصابت كل حصاة عين إنسان، وهذا مما لا يظن أنه مقدور للبشر. فحصل في هذه الكلمات على هذا التأويل الاستدراك، والترشيح، والتعطف، والتهذيب، وحسن النسق، وحسن البيان. وكلها من آيات البلاغة.

٢٧٥ - الدّعــاء

(١) من الأغراض التي تخرج إليها صيغة الأمر عن معناها الأصلي، وهو الطلب على سبيل التضرّع، فيكون من الأدنى إلى الأعلى، نحو «واعْفُ عنّا، واغفرْ لنا، وارحْمنا».

قال ابن فارس: إن (الدّعاء والطلب) يكون لمن فوق الداعي والطالب، نحو «اللهمّ اغْفِرْ» ويقال للخليفة «انظر في أمري».

إليــكَ أشكُــو، فتقبّــلْ ملَقـى واغفــر خـطايـايَ وثمِّـرْ وَرِقي

(٢) ومن الأغراض التي تخرج إليها صيغة النهي عن معناها الأصلي، نحو «ربّنا لا تزغْ قلوبَنا بعد إذ هديْتَنا».

٢٧٦ - الدعَــاء

الدعاء على جهة الذمّ لا يراد به الوقوع - من (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) وقد سبق في باب الخاء.

٢٧٧ - الاستدعاء

انظر (الحشو وفضول الكلام) وقد سبق في باب الحاء.
وانظر (استدعاء القافية) وسيأتي بعد هذا.

٢٧٨ - استدعاء القافية

من عيوب ائتلاف المعنى والقافية عند قدامة، قال: من هذه العيوب أن القافية تكون مستدعاة، قد تكلّف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت بها، مثل ما قال أبو تمام الطائي:

كالظبيــة الأدْماءِ صَـافَتْ فارتعتْ زهـرَ العَرار الغضَّ والجثجـاثا[١]

(١) الأدماء التي أشرب لونها بياضا، وصافت أقامت صيفا، والعرار والجثجاث نباتان.

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية. وإلّا فليس في وصف الظبية بأنها ترعى «الجثجاث» كبير فائدة، لأنه إنما توصف الظبية إذا قصد نعتها بأحسن أحوالها، بأنْ يقال إنها تعطو الشجر، لأنها حينئذ رافعة رأسها، وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها. كما قال الطِّرمّاح:

مثلَ ما عاينْتَ مخروفةٌ نَصَّها ذاعرُ رَوْعٍ مُؤامْ[1]

فأمّا بأن ترعى «الجُثجاث» فلا أعرف له معنى في زيادة الظبية من الحسْن، لا سيّما والجثجاث ليس من المراعي التي توصف بأنّ ما يرتعي يُؤْثره.

قال: ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع، لا لأنّ لها فائدة في معنى البيت. كما قال علي بن محمد البصري:

وسابغة الأذيال زَغْفٍ مُفاضةٍ تكنّفها منّي بجادٌ مخطّطُ[2]

فليس لأن يكون هذا النجّاد مخططاً صنع في وصف الدِّرع وتجويد نعتها. ولكنه أتى به من أجل السجع.

ومن هذا الجنس قول أبي عديّ القرشيّ:

وَوُقِيتَ الحتوفَ من وارثٍ وا لٍ وأبقاكَ صالحاً ربُّ هُودِ

فليس نسبة هذا الشاعر الله عزَّ وجلّ إلى أنه ربُّ هود بأجودَ من نسبته إلى أنه ربّ نوح! ولكنّ القافية كانت داليّة، فأتى بذلك السجع، لا لإفادة معنى بما أتى به منه...

(نقد الشعر ١٤٢)

---

(١) المخروفة الناقة ولدت في الخريف، أو في مثل الوقت الذي حملت فيه، ونصها استخرج أقصى ما عندها من السير، والمؤام الأمر الشديد.

(٢) الزغف الدرع اللينة الواسعة المحكمة، أو الرقيقة الحسنة السلاسل.

٢٧٩ - الادّعَـــاء

أن يدعّي غير الشاعر لنفسه شعر غيره.

والفرق بين (الادعاء) و(الانتحال) أن الانتحال أخذُ الشاعر من الشاعر. أمّا الادّعاء فهو سرقة غير الشاعر من الشاعر، ولذلك قال البحتريّ:

رَمتْني غُواة الشعر من بين مُفْحَمٍ ومنتحلٍ ما لمْ يقلْه ومُدَّعي

فقد قسّم الشعر إلى ثلاث أقسام:

(١) مُفحَم: قد عجز عن الكلام فضلاً عن التحلّي بالشعر.
(٢) ومنتحل: يأخذ من شعر غيره ما هو أجود من شعره.
(٣) ومُدَّع: لا يحسنُ شيئاً من صناعة الشعر.

٢٨٠ - دفع توهم السهّو

من الأغراض البلاغية التي تقتضي توكيد المسند إليه، كقولك: نجح محمّد محمّد، فتؤكد محمّداً خوفاً أن يتوهم السّامع أن الذي نجح شخص آخر غير محمد، وأنك ذكرت اسم «محمد» على سبيل السهّو.

٢٨١ - دفع توهم المجاز

وهو أيضاً من الأغراض البلاغية التي تقتضي توكيد المسند إليه، نحو: الوزير نفسه، فقد أكد المسند إليه بالنفس، لدفع توهمّ السامع التجوزّ بأن يكون الجائي واحداً غيره، كنائبه مثلا.

٢٨٢ - دفع توهم عدم الشمول

وهو كذلك من الأغراض البلاغية التي تقتضي توكيد المسند إليه كقولك هجم جنود الأعداء كلهم، فيؤكد «جنود الأعداء» بلفظ العموم

والشمول «كلّهم» خوفاً من أن يتوهم السامع أن بعضهم لم يهلك، ولكن المتكلم لم يعتدّ بهم، فأطلق جنود الأعداء على المعتدّ بهم على سبيل إطلاق الكل وإرادة البعض.

٢٨٣ - الدلالة

ذكر الجاحظ أن جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:

أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخطُّ، ثمّ الحال التي تسمّى «نُصْبَةً». والنُّصْبَة هي الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات.

ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلْية مخالفة لحلية أختها. وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصِّها وعامّها، وعن طبقاتها في السّارِّ والضارّ، وعما يكون منها لغواً بهرَجاً، وساقطاً مطّرحا... (البيان والتبينّ ١/٧٦).

وانظر (الإشارة) وستأتي في باب الشين.
وانظر (العبارة) وستأتي في باب العين.
وانظر (النصبة) وستأتي في باب النون.
وانظر (الاعتقاد) وسيأتي في باب العين.
وانظر (الخطّ) وقد سبق في باب الخاء.
وانظر (البيان) وقد سبق في باب الباء.
وانظر (الكتاب) وسيأتي في باب الكاف.
وانظر الاعتبار) وسيأتي في باب العين.
وانظر (العَقْد) وسيأتي في باب العين.

٢٨٤ - الدلالــة

كما تكلم علماء البيان في اختلاف الأساليب في وضوح الدلالة على المعنى المراد، تكلموا كذلك في «الدلالة اللفظية»، فقسموها إلى ثلاثة أقسام:

(١) دلالة (المطابقة): وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع لـه، كدلالة «الإنسان» على الحيوان الناطق.

وهذه لا تحتاج في الفهم لأكثر من العلم بالوضع، ولذلك لا تتفاوت هذه الدلالة وضوحاً وخفاء.

(٢) دلالة (التضمّن) وهي دلالة اللفظ على بعض ما وضـع له، كدلالة «الإنسان» على الناطق، أو على الحيوان. فإذا رأيت شبحاً من بُعد، فقلت: أصاهل هذا أم ناطق؟ فقيل: إنه إنسان، فهم منه أنه ناطق.

(٣) دلالة (الالتزام): وهي دلالة اللفظ على لازم مسمّاه، فإذا رأيت شبحاً من بُعد، فقلت: أجماد هذا أم متحرك ماشٍ؟ فقيل لك: هذا أسد، فهمت أنه متحرك ماش، لأن التحرّك والمشي لازمان له.

وتفاوت الدلالة في الوضوح لا يتأتّ في دلالة المطابقة. وإنما يتأتّى في (الدّلالة العقلية) التي تشمل عند البيانيين دلالتي «التضمّن» و«الالتزام» لجواز أن يكون للشيء الواحد لوازم بعضها قريب، وبعضها بعيد.

وكل كلمة لمعناها لازم يصحّ أن يعبّر بها عنه. وكل كلمة بين معناها ومعنى آخر مشابهة يصحّ أن يعبّر بها عنه.

٢٨٥ - الإدمــاج

انظر (الاستطراد) وسيأتي في باب الطاء.

باب الذال

٢٨٦ - ذكر المسنَد

يـذكر المسنـد لأن ذكره هـو الأصل، ولا مقتضى للعـدول عنه، أو لضعف التعويل على القرينة، أو ليتعين بذكره كونه اسمًا فيفيد الثبوت صريحاً، أو فعلاً فيفيد التجدد. نحو «عليّ مسافر» للثبوت. و«عليّ سافر» للتجدد. ولكل سبب من هذه الأسباب تفصيل يذكر في بابه.

٢٨٧ - ذكر المسند إليه

يذكر المسند إليه للأسباب الآتية:

(١) أن الذكر هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه من غير قرينة مذكورة أو مفهومة.

(٢) الاحتياط لضعف التعويل على القرينة.

(٣) زيادة الإيضاح والتقرير.

(٤) إظهار تعظيمه.

(٥) التبرك بذكره.

(٦) بسط الكلام حين يكون إصغاء السامع مطلوباً للمتكلم لعظمته وشرفه.

(٧) التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار.

وسيأتي تفضيل لأهم ذلك في موضعه.

وانظر (حذف المسند إليه) وقد سبق في باب الحاء.

٢٨٨ - التذنيب

من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن عند قدامة. وهو عكس (التثليم)، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها. مثال ذلك ما قال الكميت:

لا كعبدِ المليكِ أو كيزيدٍ   أو سليمانَ بعدُ أو كهشامِ

فالملك والمليك اسمان لله عزّ وجلّ. وليس إذا سميَ الإنسان بالتعبّد لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر، كما أنه ليس مَنْ سُمّي «عبدالرحمن» هو مَنْ سمّي «عبدالله»... (نقد الشعر ١٣٨).

وانظر (التثليم) وقد سبق في باب الثاء.

٢٨٩ - المذهب الكلامي

هو الباب الخامس من البديع عند ابن المعتز. قال: وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ (المذهب الكلامي) قال: وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

المتقدمون: قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال عملتُ! فماذا عملت؟. وقال الفرزدق:

لكل امرىء نفسان: نفس كريمة   وأُخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى   إذا قَلَّ من أحرارهن شفيعها

وقال عمر لعبدالله بن عباس: مَنْ ترى أن نوليّه حمص؟ قال: رجلاً صحيحاً منك صحيحاً لك!. قال: كن أنت ذلك الرجل! قال: لا يُنْتَفَعُ بي مع سوء ظنيّ في سوء ظنك بي!.

المحدثون: قال أبو عبدالرحمن العطوي:

فــوَحَقِّ البيــان يعـضُــدُه البُــرْ هـانُ في مـأقطٍ ألــدِّ الخصـامِ
مـا رأينـا ســوى الحبيبـة شيئـاً جمَــعَ الحُسْنَ كـلّه في نــظامِ
هي تجري مجرى الأصالة في الرّ أي ومجرى الأرواح في الأجسامِ

وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون:

البـرُّ بي وطّأ العُـذرَ عنـدك لي فيمـا فعلتُ فلم تعذلْ ولم تلُمِ
وقَام علمُك بي فاحتجّ عندك لي مــقــام شــاهِد عدلٍ غيرِ متّهمِ

وقال إبراهيم بن العباس:

وعلّمتني كيفَ الهــوى وجهلتَــه وعلّمكم صَبرِي على ظُلْمكم ظُلْمِي
وأعلمُ ما ليَ عندكمْ فيميـلُ بِي هوايَ إلى جَهْلي فأعرضُ عَن حِلْمِي

وقال أبو نُواس:

إنّ هــذا يرى ـ ولا رأي لِـلْـ ـلأحمقِ - أنِّي أعــدُّه إنسـانـا
ذاك في الظنِّ عنده، وهو عندي كـالذيَ لم يكنْ وإنْ كـانَ كانـا

وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد زاره إبراهيم بن المهدي: عندي من أنا عنده، وحجّتنا عليك إعلامنا ذلك إياك بالسلام . . .

انظر (البديع ١٠٤)

قلتُ: لم أعثر فيما قرأت من كتب الجاحظ على هذا الاصطلاح (المذهب الكلاميّ) بلفظه كما نسبه إليه ابن المعتز، ولكني وجدت في البيان والتّبين قول الجاحظ: وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كلّ ما قالوه على وجه التظرّف والتملّح، كقول أبي نواس:

وذاتِ خـدٍّ مُـورَّدْ قُـوهّـيـة[1] الـمـتـجـرَّدْ
تـأمَّـلُ الـعـيـنُ فـيـهـا مـحـاسـنـاً لـيس تَـنـفـدْ
فـبـعـضـهـا قـد تـنـاهَـى وبـعـضـهـا يـتـولّـدْ
والـحُـسـن في كـل عُـضْـوٍ مـنـهـا مُـعـادٌ مُـردّدْ

وكقوله:

يـا عـاقِـدَ الـقـلـبِ مـنـي هـلَّا تـذكَّـرْتَ حَـلَّا
تَـركـتَ مـنِّـي قـلـيـلا مـن الـقـلـيـل أقـلَّا
يـكـاد لا يـتـجـزَّا أقَـلُّ فـي الْـلفظِ مِـنْ لا

وانظر (البيان والتبينّ ١/١٤١)

وعقّب أبو هلال العسكري على قول ابن المعتّز إن (المذهب الكلامي) ينسب إلى التكلف بقوله: نسبه إلى التكلّف وجعله من البديع! (الصناعتين ٤١٠).

وعدم علم ابن المعتز بأنه لا يعلم أنه وجد في القرآن منه شيئاً، ليس مانعاً من علم غيره، ولم يستشهد على المذهب الكلامي بأعظم من شواهد القرآن.

٢٩٠ - المذهب الكلامي

والمذهب الكلاميّ عند البلاغيين من البديع المعنوي، وهو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام، وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب، نحو قوله تعالى «لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا» واللازم وهو فساد السموات والأرض باطل، لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه، فكذا الملزوم وهو تعدّد الآلهة. وهذه الملازمة

(١) القوهى ضرب من الثياب بيض منسوبة إلى قوهستان.

من المشهورات الصادقة التي يكتفي بها في الخطابيات دون القطعيات المعتبرة في البرهانيات. وكقوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيدُه وهو أهْونُ عليه» أي والإعادة أهون عليه من البدء، والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء، وهو المطلوب. وقوله تعالى: «فلما أفَل قال لا أحبّ الآفلين» أي: القمر آفل، وربيّ ليس بآفِل، فالقمر ليس ربي!. وقوله تعالى: «قُلْ فلِمَ يعذِّبكم بذنوبكم» أي: أَنتم تعذَّبون، والبنون لا يعذّبون، فلستم ببنين له.

ومنه قول النابغة يعتذر إلى العمان:

حلفتُ فلم أتـركْ لنفسـك ريبـة	وليس وراء الله للمـرء مـطلبُ
لئِنْ كنتَ قد بلِّغْتَ عني خيانـةً	لمُبْلغُـك الـواشي أغشُّ وأكـذبُ
ولكنني كنتَ امْـرَأً لي جـانبٌ	من الأرض فيه مُستَرادٌ ومـذهبُ
ملوكٌ وإخـوانٌ إذا مـا مـدحتُهمْ	أُحَـكّمُ فـي أمـوالِـهِـم وأقَـرّبُ
كفعلك في قومٍ أراك اصطَنَعْتَهم	فل تَرهُمْ في مدحهم لك أذنبُوا

أي لا تعاتبني على مدح آل جفنة المحسنين إلّي والمنعمين علّي كما لا تعاتب قوماً أحسنت إليهم فمدحوك، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدّ ذنباً كذلك مدحي لمن أحسن إلّي لا يعد ذنباً، على طريق التمثيل.

٢٩١ - ذوات القوافي

هذا نوع من النظم يعطيك أنواعاً من البحور والقوافي، كلما قلبته على جهة من جهات الاستخراج نُظم عليها.

والأصل فيه النوع البديعي الذي سمّوه (التشريع)، وسماه ابن أبي الأصبعُ (التوأم)، لأن شرطه عندهم أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين. فإذا أسقط من أجزاء البيت جزءاً أوجزأين صار من وزن

آخر غير وزنه الأول. وعلى هذا النوع بنى الحريري قصيدته في المقامة الثالثة والعشرين، وهي من ثاني الكامل وأولها:

يا خاطبَ الدنيا الدنيةِ إنها شَرَكُ الرّدى وقرارة الأكدار
دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكتْ غداً بُعداً لها من دار

وقدتنتقل بالإسقاط إلى ثامن الكامل، فتصير:

يا خاطب الدُّنيا الدنيـ ـة إنها شركُ الرّدى
دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

وقد تنبه الحريري إلى استخراج هذا النوع من قول بعض العرب:

وإذا الرياح مع العَشِيِّ تناوحتْ هوج الرمال بكثبهن شمالا
ألفيتنا نقري العَبيط لضيفنا قبل القتال ونقتل الأبطالا

فإن هذا الشعر بعد الاسقاط يخرج منه:

وإذا الرياح مع العشيِّ تناوحتْ هوج الرمال
ألفيتنا نقري العَبيط لضيفنا قبل القتال

فالحريري هو أول مَنْ قصد له، ثم وطىء عقبة فيه أصحاب البديع والمتكلفون لمثل ذلك. وقد وجدوا الرجز أوسع البحور فيه، فإنه يقع مستعملاً تاماً، ومجزوءاً، ومشطوراً، ومنهوكاً، فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قوافٍ، فإذا أسقطت ما بعد القافية الأولى بقي البيت منهوكاً، وإذا أسقطت ما بعد الثانية بقي مشطوراً، ويبقى إذا أسقطت ما بعد الثالثة مجزوءاً، ثم هو تام إذا كان على حاله من غير إسقاط. وعلى ذلك قول أبي عبدالله محمد بن جابر الضرير الأندلسي:

يرنو بطرفٍ فاترٍ مهما رَنا فهو المنَى لا أنتهى عن حبه
يهفو بغُصْنٍ ناضرٍ حلو الجَنَى يشفي الضَنى لا صبرَ لي عن قربه

وهي أربعة أبيات. والأوجه الثلاثة التي تستخرج منها غير التام هي:

يرنو بطرف فاتر مهما رنا فهو المنى

وهو من المجزوء. وقوله:

يرنو بطرف فاتر مهما رنا

وهو المشطور. وقوله:

يرنو بطرف فاتر

وهو المنهوك.

قالوا: ولكن القوة في ذلك، والمُكْنة في ملكة الأديب أن يأتي بالتشريع في بيت واحد. والإعجاز فيه أن يخرجَ من البيت بيتان، كقول ابن حجّة الحموي في بديعيته مورِّياً بتسمية النوع:

طاب الِّلقا لذَّ تشريع الشعور لنا على النّقا فنعمنا في ظلالهمُ

فإنه يستخرج منه:

طاب الّلقا على النَّقا

وهو من منهوك الرّجز. ويكون الباقي من البيت:

لذّ تشريع الشعور لنا فنعمنا في ظلالهم

وهو من البديع والبيت كله من البسيط.

ومن (ذوات القوافي) نوع في النظم سمّاه أهل البديع (التخيير) وقالوا: هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يقفّى بقوافٍ مختلفة، فيتخير منها قافيةً يرجحها على سائرها، ويرسل لها البيت، فيكون ذلك دليلاً على حسن اختياره. وهذا تعليل لا معنى له، لأن تمكن القافية شرط في الشعر، وسواء بعد ذلك أن يُقفّى بقوافٍ أُخرى، أو كان أمره مقصوراً على القافية الواحدة.

وانظر (التخيير) وقد سبق في باب الخاء.

٢٩٢ - التذييل

هـو تعقيب الجملة بجملة أُخرى تشتمـل على معنـاها بعـد إتمام الكلام، لإفادة التوكيد، وتقريراً لحقيقة الكلام. وهو معدود من ضروب **(الإطناب)** والتذييل ضربان:

(١) ضرب أُخرج مخرج المَثل: بأن يقصَد بالجملة الثانية حكم كليّ منفصل عمّا قبله جارٍ مجرى الأمثال في الاستقلال وفشوّ الاستعمال، نحو قوله تعالى «وقلْ جاء الحقُّ وزهق الباطل، إن الباطلَ كان زهوقاً».

(٢) وضرب منه لم يخرج مخرج المثل، بأن لم يستقلّ بإفادة المراد، بل يتوقّف على ما قبله، نحو قوله تعالى «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور» على وجه، وهو أن يراد: وهل يجازَى ذلك الجزاء المخصوص المذكور فيما قبل، وهو إرسال العَرِم عليهم، وتبديل جنَّتيهم، إلا الكَفُور، فيتعلق بما قبله.

وأما على الوجه الآخر، وهو أن يراد: وهل يُعاقَب إلا الكفور، بناء على أن المجازاة هي المكافأة إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، فهـو من الضرب الأول.

ومن هذا الضرب قوله تعالى «وما جعلْنا لبشر من قبلكَ الْخُلدَ أفإن متَّ فهم الخالدون، كلُّ نفس ذائقة الموت» فقد ذيّلها بتذييلين، كل واحد منهما محقّق لفائدتها، ودالّ على مضمونها: الأول منهما قوله «أفإن متّ فهم الخالدون»؟ فهـذا الاستفهام وارد عـلى جهة الإنكـار عليهم في زعمهم الخلود، وأراد: لا تتصوّرْ أن تكون أنت ميّتاً وهم خالدون بعدكَ. فإذا كان لا خلود لك مع ما اختصصت به من المكانة عند الله تعالى، فهم أحقُّ بالانقطاع والزوال لا محالة.

والثاني قوله «كل نفس ذائقة الموت» فهذا أيضاً توكيد لقوله «وما

جعلنا لبشر من قبلك الخلُد» لأن هذا العموم قاطع لكل ظنّ، ويأسٌ عن كلّ أمرٍ يطمع بالخلود، وهذا التذييل من الضرب الأول.

و(التذييل) أيضاً إمّا أن يكون لتأكيد منطوق كما في قوله «وقلْ جاءَ الحقُّ وزهق الباطلُ إنّ الباطل كان زهوقاً». وإمّا لتأكيد مفهوم، كقول النابغة الذبياني:

ولستَ بمستبْقٍ أخـاً لا تلمُّـه   على شعثٍ أيُّ الرجال المهذبُ؟

فالجملة الأولى تدلّ بمفهومها على نفي الكامل من الرجال، وقد أكد بالثانية، والاستفهام فيها للإنكار، أي: ليس في الرجال مرضيّ الخصال.

قال أبو هلال العسكري: وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحاً، والمقصد اتضاحاً.

وقال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع: الإشارة، والتذييـل، والمساواة...

ومثال (التذييل) من المنظوم قول الحطيئة:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيـرهُمُ   ومن يقيسُ بـأنف الناقـة الـذنّبـا

فـاستوفى المعنى في النصف الأول، وذيّـل بالنصف الثـاني، وقول الآخر:

فدعَوْا: نـزالِ، فكنتُ أولَ نازلٍ   وعــلامَ أركبُـه إذا لم أنــزلِ؟!

وقول أبي نواس:

عَرِم الزمانُ على الذين عهدتُهم   بِـكَ قـاطنينَ وللزّمـان عُـرَامُ[1]

قوله: «وللزمان عُرام» تذييل.

(١) العرام الشدة والقسوة، ونقل في التهذيب أن العرام هو السيل الذي لا يطاق.

٢٩٣ - المذيَّل

من الجناس غير التام، وهو زيادة حرف في أحد اللفظين المتجانسين كقول أبي تمام:

يمدون من أيدٍ عـواصٍ عواصمٍ تصول بأسيـافٍ قواضٍ قـواضبِ

وقول البحتري:

لئن صـدفتْ عنّـا فـرُبّتّ أنفُسٍ صوادٍ إلى تلك الوجوهِ الصوادفِ

وقد يسمّى هذا النوعُ «مطَرّفاً».

وانظر (الجناس الناقص) وسيأتي في باب النون.

٢٩٤ - المذيّل

من التأريخ الشعري، وهو الذي يكون جُمَّلُهُ ناقصاً، فيكمل بحرف أو أكثر مع التنبيه على ذلك... وانظر (التأريخ الشعري) وقد سبق في باب الهمزة.

باب الراء

٢٩٥ - الرئيسة = الجملة الرئيسية

يقسم علماء المعاني الجمل إلى جمل رئيسة، وجمل غير رئيسة.

والجملة الرئيسة عندهم هي الجملة المستقلة التي لم تكن قيداً في جملة أُخرى.

والجملة غير الرئيسة ما كانت قيداً في غيرها، وليست مستقلة بنفسها. .

وانظر (القيد) في باب القاف.

٢٩٦ - الترتيب

من استخراجات التيفاشي، وهو الذي سماه بهذا الاسم، وهو أن يجنح الشاعر إلى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب، ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية. ولا يدخل الناظم فيها وصفاً زائداً عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان، كقول مسلم بن الوليد:

هيفاء في فرعها ليل على قمرٍ　　على قضيب على حق النّقا الدهس

فإن الأوصاف الأربعة على ترتيب خلقة الإنسان من الأعلى إلى الأسفل.

٢٩٧ - الرجوع

وهو من محاسن الكلام عند ابن المعتز، قال: ومنها (الرجوع) وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه، كقول بشار:

نُبِّئْتُ فاضحَ أمِّه يغتابني　　عند الأمير، وهلْ عليَّ أميرُ؟

وقال أبو نواس:

يــا خيرَ من كــانَ ومَنْ يكـونُ إلّا الـنـبيّ الـطاهـر الأمـيـنُ
إمـام عــدلٍ مــا لــهُ قــريــنُ أسـتـغـفـرُ الله بـلـى هــارونُ

وقال آخر:

أليسَ قليــلاً نـظرةٌ إن نـظرتُهـا إليـكِ وكـلّا ليس منـك قليـلُ

وقال بعضهم: ما معك من العقل شيء، بلى! مقدار ما تجب الحجّة به عليك، والنارُ لك!..

(البديع) ١٠٩)

و (الرجوع) عند البلاغيين من البديع المعنوي، ويعرّفونه بأنه العودُ إلى الكلام السّابق بالنقض.

ويشترط في كون الرجوع إلى نقض الكلام من البديع أن يكون ذلك النقض لنكته، كأن يفهم من السّياق أن المتكلم لم يعدْ لإبطال الكلام الأوّل لمجرّد كونه خطأً. وإنما ذلك لإظهار التحسّر والتحزّن، وكون العَوْد دالاً على التحسّر والتحزُّن حتى يجعل لإفادته، وتكون تلك الإفادة هي النكتة، مثلاً إن الإنسان إذا كان متولّهاً في الحبّ مغلوباً على عقله ربما يظن الشيء واقعاً، وليس بواقع. ثم إنه قد يستفيق بعد الإخبار بغير الواقع المرغوب المظنون، فيعود إلى إبطاله بالإخبار بالحقيقة، فيظهر من ذلك أنه راجعٌ إلى الصدق كرهاً، وفي ضمن ذلك أنه متأسّف على فوات ما رغب فيه، وغيّبه الحبّ عن إدراك خلافه. فإذا دلّ الدليل على أنه لم يغب عن عقله حقيقة فُهم من عَوْدِه أنه بمنزلة المغيّب بالحبّ المتأسّف على ما فات، فيفهَم منه أنه أراد أن يظهر التحسّر والتحزّن على فوات ما أخبر به أوّلاً. وذلك كقول زهير:

قِفْ بالديار التي لم يَعفُها القدمُ بلى وغيّـرهــا الأرواحُ والــدِّيمُ

قيل: لّما وقف على الدار تسلطتْ عليه كآبة أذهلتْه، فأخبر بما لم يتحقق، فقال: «لم يعفُها القدم» ثم ثاب إليه عقله، فتدارك كلامه، فقال: «بلى وغيّرها الأرواحُ والدِّيمُ». وعلى هذا بيت الحماسة:

أليس قليلا نظرة إن نظرتُها إليكِ وكلاّ ليس منكِ قليلُ

ومثال العود لنقض الكلام السابق بِبَلْ قوله:

* فأفٍ لهذا الدهر بل لأهله *

ومثال العود لنقض الكلام السابق بعبارة «أستغفر الله» قوله:

تنَزّه طرْفي في تعابيرك الغُرّ وجال بها فكري من السّطرِ للسّطرِ
فما خِلْتُها إلا حدائق بهجة مكلّلة الأرجاء بالزَّهر والزهْرِ
ولكنها أستغفر الله نسخةٌ مزينة الأرقام بالدُّر والتِّبرِ
طربتُ بها لما فهمت نقوشها كما يطربُ النشوانُ من لذَّة الخمرِ

٢٩٨ - الترجيع

من الجناس غير التامّ، وهو أن يرجع الكلمة بذاتها غير أنها تزيد حرفاً واحداً أو حرفين مثل: «ربُهُم بِهِم»: وكقول أبي تمام:

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسيافٍ قَواضٍ قَواضبِ

وابن رشيق يسمى (تجنيس الترجيع) مضارعة، وهي عنده ضرب من التجنيس، تزيد فيه الحروف وتنقص، ومثل له ببيت أبي تمام المذكور.

٢٩٩ - المراجعة

وهي أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور له في الحديث، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة، وأبلغ إشارة، وأعذب ألفاظ وأجزلها، إما من بيت واحد أو أبيات، أو جملة واحدة أو جمل.

ومن شواهده الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

بـينـمـا ينعـتـننـي أبـصـرنني مثل قيد الـرمح يعـدو بي الأغرْ
قالت الكبرى: ترى من ذا الفتى قـالت الوسـطى لها: هـذا عمرْ
قـالت الصغـرى وقـد تَيّمْتُهـا قد عرفناه، وهل يخفى القمرْ؟

٣٠٠ - المترجَم

هو (المعمّى) وسيأتي في باب العين.

٣٠١ - الاسترحام

من الأغراض البلاغية للخبر. مثل قوله تعالى: «ربِّ إني لما أنـزلـتَ إلَّي من خيرٍ فقير». ومثل قول المتنبي:

أبا المسْك أرجو منك نصراً على العِدَا وآمُلُ عِزّاً يَخْضِبُ البيضَ بالدَّمِ

٣٠٢ - رد أعجاز الكلام على ما تقدمها

هو الباب الرابع من البديع عند عبدالله بن المعتز. قال: وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام:

(١) فمن هذا الباب ما يوافق آخرُ كلمة فيه آخِرَ كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر:

تُلْقَى إذا ما الأمرُ كـان عَرَمَـرْمَاً في جيش رأْيٍ لا يُفَلُّ عَرَمْـرَمِ

(٢) ومنه ما يوافق آخرُ كلمة منه أوَّلَ كلمةٍ في نصفه الأول. مثل قول الشاعر:

سريعٌ إلى ابن العم يشتُمُ عِرْضَهُ وليس إلى داعي النـدى بسريـع

(٣) ومنه ما يوافق آخرُ كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر:

عميـد بـني سُلَيم أقْصـدتْـه سهامُ المـوت وهي لـه سهامُ

وقال الله تعالى: «انظر كيف فضلّنا بعضهم على بعض ولَلآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا». وقال عزّ وجلّ: «لا تفتروا على الله كذباً فيُسْحتكم بعذاب وقد خاب من افترى».

وقال تقدست أسماؤه: «ولقد استُهزىء برسلٍ من قبلك فحاقَ بالذين سخروا منهم ماكانوبه يستهزئون» وفي الحديث «مَنْ مقت نفسه فقد آمنه الله من مقته».

وقال طفيل:

محارمكَ امنعْها من القوم إنني أرى حقبة قد ضاع فيها المحارمُ

وقال أبو هلال العسكريّ في (ردّ الأعجاز على الصدور): أول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضي جواباً، فالمرضِيُّ أن تأتي بتلك الألفاظ في الجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها. كقول الله تعالى: «وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها»(١).

وكتب بعض الكتاب في خلاف ذلك: من اقترف ذنباً عامداً، أو اكتسب جُرماً قاصداً لزمه ما جناه، وحاق به ما توخّاه. والأحْسَنُ أن يقول: «لزمه ما اقترف، وحاق به ما اكتسب». وهذا يدلّك على أن لردّ الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً من البلاغة، وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً.

---

(١) هذه الآية من (المشاكلة) وليست من هذا الباب، والمشاكلة هي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير، وجزاء السيئة عقوبة، ولكنه عبر بلفظ السيئة لوقوعها في صحبة السيئة مراعاة للمشاكلة في الأسلوب.

وهو ينقسم أقساماً[1]... ومنها ما يقع في حشو النصفين كقول النمر:

يودُّ الفتى طول السّلامةِ والغنى فكيف ترى طول السّلامة يفعلُ

وقال أبو هلال:

ألا لا يذمّ الدهر من كان عاجزاً ولا يعذلُ الأقدارَ من كان وانيا
فمن لم تبلّغْه المعالي نفسه فغيرُ جدير أن ينال المعاليا
وقفتُ على يحيى رجائي وإنما وقفت على صوب الربيع رجائيا
إذا ما الليالي أدركتْ ما سعتْ له تمطّيْتُ جدواه ففُتّ اللياليا

(الصناعتين) **٣٨٨**

* * *

و(رد العجز على الصدر) يكون في النثر وفي النظم.

ففي النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين وهما المتفقان لفظاً ومعنى، أو أحد المتجانسين وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى، أو أحد الملحقين بالمتجانسين ــ والاشتقاق والمشابهة سيأتيان في باب **الشين** ــ في أول الفقرة، ويجعل اللفظ الآخر منهما في آخر تلك الفقرة. ففي ردّ العجز على الصدر في النثر أربعة أقسام، لأن اللفظين الموجود أحدهما في أول الفقرة والآخر في آخرها إمّا أن يكونا مكررين، أو متجانسين، أو ملحقين بالمتجانسين من جهة الاشتقاق، أو ملحقين بهما من جهة شبه الاشتقاق، فهذه أربعة، وأمثلتها على الترتيب:

القسم الأول: وهو ما يوجد فيه أحد المكررين في أول الفقرة،

(١) هي أقسام ابن المعتز التي سلفت.

والآخر في آخرها نحو قوله تعالى: «وتخشى الناسَ والله أحقُّ أن تخشاه» فقد وقع (تخشى) في أول الفقرة وكررها في آخرها.

والقسم الثاني: وهو ما يوجد فيه أحد المتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها نحو قولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فـ«سائل» في أول الفقرة و«سائل» في آخرها متجانسان. لأن الأول من السؤال، والثاني من السيلان.

والقسم الثالث: وهو ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة الاشتقاق في أول الفقرة والآخر في آخرها، نحو قوله تعالى: «استغفروا ربّكُمّ إنه كان غفّارا»، فبين «استغفروا» و«غفّارا» شبه التجانس بالاشتقاق، لأن مادتهما المغفرة، ولم يعتبر في الآية لفظ «فقلت» قبل «استغفروا» لأن «استغفروا» هو أول الفقرة في كلام **نوح عليه السّلام**.

والقسم الرابع: وهو ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة شبه الاشتقاق في أول الفقرة والآخر في آخرها، نحو قوله تعالى: « قال إني لعملكم من القالين» فبين«قال» و «القالين» شبه اشتقاق، وبه ألحقا بالمتجانسين.

* * *

وردّ العجز على الصدر الذي يوجد في النظم هو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو أحد المتجانسين أو أحد الملحقين بالمتجانسين بطريق الاشتقاق أو أحد الملحقين بهما بطريق شبه الاشتقاق، في آخر البيت، ويكون اللفظ الآخر المقابل في صدر المصراع الأول من البيت، وهو نصفه الأول أو يكون في حشوه أو يكون في آخره. أو يكون ذلك الآخر في صدر المصراع الثاني من البيت، وهو نصفه الثاني. وقد فهم من هذا أن أحد اللفظين مما ذكر ليس له إلّا محل واحد من البيت وهو الآخر، ومقابله الآخر له أربعة من المحال: أول المصراع الأول ووسطه وآخره، وأول المصراع الثاني، وبقي من التقسيم العقلي وسط المصراع الثاني، ولا معنى لاعتباره صدراً رُدَّ عليه العجز، واعتبره **السّكاكي**، فتكون المحال على اعتباره خمسة.

(١) فمثال ما كان الصدر فيه في أول المصراع الأول وهما متكرران قول الشاعر:

سَريعٌ إلى ابن العمِّ يلطمُ وجهه   وليس إلى داعي النّدى بسريع

(٢) ومثال ما كان الصدر منه في آخر المصراع الأول، وهما متكرران، قول الحماسي:

تمتّع من شميم عَرارِ نجدٍ   فما بعد العشيّة من عَرَارِ

(٣) ومثال ما كان الصدر منه في آخر المصراع الأول وهما متكرران قول أبي تمام:

ومن كان بالبيض الكواعب مُغرماً   فما زلتُ بالبيض القواضبِ مغرما

(٤) ومثال ما كان الصدر منه في أول المصراع الثاني، وهما متكرران قول الحماسي:

وإن لم يكن إلا معرَّجُ ساعةٍ   قليلاً فإني نافعٌ لي قليلها

(٥) ومثال ما كان الرد فيه بالجناس والصدر في أول المصراع الأول قول القاضي الأرَجّاني:

دعاني من ملامكما سَفَاها   فداعي الشوق قبلكما دعاني

فإن (دعاني) الأول من الودع بمعنى الترك، و(دعاني) الثاني من الدعاء بمعنى الطلب. وقول الآخر:

سَلْ سبيلاً إلى راحة النفـ   ـس براحٍ كأنها سلسبيلُ

وقول الشاعر:

ذوائبُ سودٌ كالعناقيد أُرْسِلت   فمن أجلها منها النفوس ذوائبُ

(٦) ومثال ما كان الصدر فيه حشو المصراع الأول، وهما متجانسان قول الشاعر:

وإذا البلابل أفصحتْ بلُغاتها ... فانفِ البلابل باحتساءِ بلابلِ

فإن «البلابل» في المصراع الأول جمع بلبل، وفي آخر البيت جمع «بلبلة» وهي ظرف الخمر، والمراد بها هنا مجازاً.

(٧) ومثال ما كان الصدر منه في آخر المصراع الأول، وهما متجانسان، قول الحريري:

فمشغوفٌ بآيات المثاني ... ومفتونٌ برنّات المثاني

«المثاني» الأول القرآن، والآخر جمع مثني وهو آلة من آلات اللهو.

(٨) ومثال ما كان الصدر منه في أول المصراع الثاني، وهما متجانسان، قول الأرّجاني:

أمّلْتُهم ثم تأمّلْتُهمْ ... فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

(٩) ومثال ما إذا كانا ملحقين بالجناس بالاشتقاق الأصغر[١] والصدر في أول المصراع الأول قول البحتري:

ضرائب أبدعْتها في السماح ... فلسنا نرى لك فيها ضريبا

فإن «الضرائب» الأشكال، و«الضريب» الشكل والشبيه.

(١٠) ومثال ما كان كالسابق والصدر في حشو المصراع الأول قول امرىء القيس:

إذ المرءُ لم يَخْزُن عليه لِسَانَه ... فليس على شيء سواه بخزّان

---

(١) هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب مثل ضرب من الضرب.

فـ «يخزن» في حشو المصراع الأول مشتق مع «خزّان» الذي في العجز من الخَزْن.

(١١) ومثال ما كان كالسّابق والصدر فيَ آخر المصراع الأول قول الشاعر:

فَدَعِ الوعيد فما وعيدُك ضائري أطنين أجنحــة الـذّبــاب يضيـرُ

(١٢) ومثال ما كـان ملحقاً بـالجناس بحسب الاشتقـاق الأصغر والصدر في أول المصراع الثاني قول أبي تمام:

وقد كانت البيضُ القواضبُ في الوغى بـواترَ وهي الآن من بعـده بُتْرُ

فإنهما مشتقان من البتر، وهو القطع.

وقـال ابن أبي الأصبع: إن «ردّ الأعجـاز عـلى الصـدور» ويسمّى (التصدير) عبارة عن كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً، أو معنوية نادراً. تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام. قال: وقد قسمه ابن المعتز ثلاثة أقسام: وكل هذه الأقسام من الضرب الأول الذي رابطته لفظية.

وأمّا ما رابطته معنويه فمنه قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم» فإن معنى صدر الكلام يقتضي معنى عجزه.

والفرق بين هذا الضرب من (التصدير) وبين (التسهيم) أن هذا الضرب معنوي، والتسهيم لفظي... (بديع القرآن) ٣٠.

وقد انتقد ابن الأثير أن يجعل ما سبق باباً مستقلاً، وأن يسمى (ردّ الأعجاز على الصدور) وعدّه من باب التجنيس. قال: ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه باباً وسمّاه (ردّ الأعجاز على الصـدور) خارجاً عن باب

التجنيس، وهو ضرب منه، وقسم من جملة أقسامه. فمما أورده الغانمي من الأمثلة في ذلك قول بعضهم:

ونَشْرِي بجميل الصُّنْـ ـع ذكراً طيّب النّشْرِ
ونَفْرِي بسيوف الهنْـ ـدِ من أسرفَ في النّفْرِ
وبحري في شرا الحمد على شاكلة البحْر

وكذلك قول بعضهم في الشيب:

يا بياضاً أذرى دموعي حتّى عادَ منها سوادُ عيني بياضا

وكذلك قول البحتري:

وأغرّ في الزمن البهيم مُحجّل قد رحتُ منه على أغرّ مُحَجّلِ
كالهيكل المبنيّ إلا أنّه في الحسن جاء كصورة في هيكلِ

قال: وليس الأخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الأسماء، وإنما المناقشة على أن ينصب نفسه لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه، ويكون أحد الأبواب التي ذكرناها داخلاً في الآخر، فيذهب عليه ذلك ويخفي عنه، وهو أشهر من فلق الصباح.

وانظر (التسهيم) وسيأتي في باب السين

٣٠٣ - رد الأعجاز على الصدور

سبق.

٣٠٤ - رد العجز على الصدر

سبق.

٣٠٥ - الترديد

من أقسام الطباق عند بعض البلاغيين، لأن الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة عندهم على ثلاثة أقسام:

(١) طباق سلب.

(٢) طباق إيجاب.

(٣) طباق ترديد.

وطباق (الترديد) أن يُرَدّ آخر الكلام المُطَابِق على أوّله. فإن لم يكن مطابقاً فهو (ردّ الأعجاز على الصدور).

والترديد أيضاً إيجاب وسلب، نحو قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

فجمعت هذه الآية الكريمة بين المقابلة وبين طباق السلب المعنوي، فإن المقابلة جاءت من صدرها في قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم» مقابل الكراهية بالحب، والخير بالشر، والطباق المعنوي في قوله «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» لأن تقدير المعنى فيه: والله يعلم وأنتم تجهلون... (بديع القرآن) ٢٦.

ومن ترديد الطباق في الشعر قول الأعشى:

لا يرقعُ الناسُ ما أوْهَوْا وإن جهدوا طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

وانظر (الطباق) وسيأتي في باب الطاء.

وانظر (التكافؤ) وسيأتي في باب الكاف.

٣٠٦ - الترديد

هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه، وذلك نحو قول زهير:

من يَلْقَ يوماً على علاّته هَـرِماً يلق السماحة منـه والندى خُلقـا

فعلّق «يَلْقَ» بهرم، ثم علقها بالسماحة. وكذلك قوله أيضاً:

ومن هـاب أسباب المنـايا يَنَلْنَـه ولـو رام أسبـاب المســاءِ بسلَّم

فردد «أسباب» وعلقها بالمنايا، ثم علقها بالسماء.

وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جدّاً. والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حَيّة النميري. وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله:

أَلا حيٍّ من أجل الحبيب المغانيا لبِسْنَ البلى لمـا لَبِسْنَ اللياليـا
إذا ما تقاضى المـرءُ يومـا وليلة تقـاضاه شيءٌ لا يمـلُّ التقاضيـا

والترديد الذي انفرد فيه بالإحسان عندهم قوله «لبِسْن البلى لما لبِسْنَ اللياليا» وكذلك قوله «إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة» ثم قال: تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا»، لأن الهاء كناية عن المرء، وإن اختلف اللفظ.

٣٠٧ - المردَّد

من الجناس غير التام. والمردَّد هو الذي يلي أحد المتجانسين فيه الآخر، ويسمى مردّداً، ومزدوجاً، ومكرّراً، كقوله تعالى: «وجئتك من سبأ بنبأ يقين». وما جاء في الخبر: المؤمنون هينون لينون، وقولهم: من طلب وجدَّ توَجَّدَ، وقولهم: من قرع باباً ولجَّ ولَجَ.

٣٠٨ - المردود

من التشبيه، وينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى (مقبول) وهو الذي يحقق غرضاً لولا التشبيه لم يتحقق. و(المردود) ما يكون قاصراً عن إفادة الغرض.

٣٠٩ - المردوف

هو ضرب من الجناس غير التام، اختلف فيه اللفظان بالزيادة في أحد اللفظين بحرف واحد في أوله مثل: دوام الحال من المحال. ومثل قوله تعالى: «والتفّت الساقُ بالساق إلى ربك يومئذ المساق».

٣١٠ - الإرداف

من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى عند قدامة. وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل لفظ يدل على معنى هو رِدْفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة:

بعيـدة مهوَى القُـرطِ إمّا لنـوفـل أبـوها وإمـا عبد شمس وهـاشم

وإنما أراد هذا الشاعر أن يصف طول الجيد، فلم يـذكره بلفـظه الخاص به، بلى أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بُعد مهوى القُرط.

ومثل قول امرىء القيس:

ويُضْحيِ فتيتُ المسكِ فوق فِراشها نئوم الضحا لم تنتطق عن تفضُّل

وإنما أراد امرؤالقيس أن يذكر ترفّه هذه المرأة، وأن لها من يكفيها، فقال «نئوم الضحا» وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحـا فوق فـراشها، وكذلك سائر البيت. أي: هي لا تنتطق لتخدُم، ولكنها في بيتها متفضلة، ومعنى «عَنْ» في هذا البيت معنى «من بعد». وكذلك قوله:

وقد أغتدي والـطير في وكُنـاتها بمنجـردٍ قيـد الأوابـدِ هيكـل

فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة، وأنه جواد، فلم يتكلم باللفظ بعينه، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد، وهي الوحوش، كالمقيدة له إذا نجا في طلبها.

والناس يستجيدون لامرىء القيس هذه اللفظة فيقولون: هو أول مَنْ قيّد الأوابد.

ومنه قول ليلى الأخيلية:

ومخــرّقٍ عنـه القميصُ تخــالـه   بين البيـوتِ من الحيـاء سقيمـا

فإنما أرادت وصفه بالجود والكرم، فجاءت بالأرداف والتوابع لهما، أما ما يتبع الجود فإن تخرق قميص هذا المنعوت فسّر أن العفاة تجذبه، فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إيّاه. وأمّا ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتة نفس هذا الموصوف وإزالته عنه الأشَر يخُال سقيمًا.

ومنه قول الحكم الخُضْريّ:

قد كان يعجِبُ بعضَهن بـراعتي   حتى سمعن تنحنحي وسعـالي

فـأراد وصف الكبَر والسِّن، فلم يـأت باللفظ بعينـه، ولكنه أتى بتوابعه، وهي السّعال والتنحنح.

ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها (أبيات معان) وذلك إذا ذكر الرِّدْف وحده، وكان وجه إتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف آخر كأنه وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة. وهذا الباب إذا غمُض لم يكن داخلاً في جملة ما ينسب إلى جيّد الشعر، إذ كان من عيوب الشعر الانغلاق في اللفظ، وتعذر العلم بمعناه. «نقد الشعر ٩٠».

وانظر (الكناية) وستأتي في باب الكاف.

وانظر (التتبيع) وقد سبق في باب التاء.

٣١١ - الأرْداف والتوابع

عرّفها أبو هلال بمثل ما عرف به قدامة (الإرداف) ومثل له بقول الله تعالى «فيهنّ قاصراتُ الطرفِ» وقصور الطرف موضوعة في الأصل للعفاف

على جهة (التوابع والأرداف) وذلك أن المرأة إذا عفّتْ قصرتْ طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف ردفاً للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف.

وكذلك قوله تعالى: «ولكمْ في القصاص حياة» وذلك أن الناس يتكافّون عن الحرب من أجل القصاص فيحيون، فكأن حياتهم ردفٌ للقصاص الذي يتكافّون عن القتل من أجله...

ومن المنظوم قول التغلبيّ:

وكلُّ أناسٍ قاربُوا قيدَ فحلِهِمْ ونحن خلَعْنَا قَيْدَهُ فهو ساربُ

أراد أن يذكر عزّ قومه، فذكر تسريح الفحل في المرعى، والتوسيع له فيه، لأنّ هذه الحال تابعة للعزّة، رادفة للمنعة. وذلك أن الأعداء لعزّهم لا يقدمون عليهم، فيحتاجون إلى تقييد فحلهم، مخافة أن يساق، فيتبعه السّرح... وانظر (الصناعتين) ٣٥١.

وانظر (الإرداف). وقد سبق قبل هذا.
وانظر (التتبيع). وقد سبق في باب التاء.
وانظر (الكناية) وستأتي في باب الكاف.

٣١٢ - الروادف

من التاريخ الشعري. وقد سبق في باب الهمزة.

٣١٣ - إرسال المثل

وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به. ويجيء أيضاً في غير الشعر كما في قوله تعالى: «ليس لها من دون الله كاشفة» وقوله تعالى: «وترى

الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء» وقوله تعالى: «صبْغة الله ومن أحسنُ من الله صبْغة».

وقوله تعالى: «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها». وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وقوله «لا ضرر ولا ضرار» وقوله «خير الامور أوساطها» وقوله «المرء مع من أحبَّ» وقوله «المستشار مؤتمن» وقوله «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً يوم القيامة». وفي الشعر مثل قول النابغة:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه على شعثٍ، أي الرجال المهذَّب؟

٣١٤ - الرسَالة

من التجنيس، وهي أن يكني عن إحدى الكلمتين، كقول الشاعر:

إنّي أحبُّك حبّاً لو تضمّنهُ سَلْمَى سَميُّك زال الشاهق الراسي

أراد بسميّها «سلمى» أحد جبلي طيّىء. وجعل منه الزنجاني وعبد اللطيف البغدادي في قول الشاعر:

حُلِقَتْ لحيةُ موسى باسْمِهِ وبهارونَ إذا ما قُلبا

وكذلكَ قول الشماخ:

وما أرْوَى وإن كَرُمَتْ علينا بأدْنى من مُوقّفةٍ حَرونِ

يشير إلى الأروَى التي في الجبال.

وتجنيس الرسالة هو تجنيس (الإشارة).

وانظر (الإضمار) وسيأتي في بال الضاد.

٣١٥ - المرسَل

من التشبيه، هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، وقد يترك الوجه - وفيه قوة - لإفادته تعميم المشابهة.

وقد يسمى التشبيه الذي ذكرت فيه الأداة (التشبيه المظهر).
وانظر (التشبيه المؤكد) وقد سبق في باب الهمزة.
وانظر (التشبيه المضمر) وسيأتي في باب الضاد.

٣١٦ - المُرْسَل

من المجاز اللغوي. والمجاز اللغوي قسمان، هما المجاز المرسل، والمجاز الاستعاري (الاستعارة).

والمجاز **المرسل** ما كانت العلاقة بين المجاز والمعنى المراد فيه غير المشابهة. والاستعارة ما كانت العلاقة بينهما فيها هي المشابهة.

والمجاز اللغوي يأتي في اللفظ المفرد، فيكون في استعمال الكلمة في غير ما وُضِعت له عند أصحاب اللغة، لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الوضعي. ويأتي في المركب، إذا استعمل التركيب في غير ما وضع له، كقولك للحائر المتردّد في أمر: «ما لي أراك تقدّم رِجْلًا وتؤخّر أُخرى».

فالمجاز **المرسل**: ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، مثل لفظ «اليد» إذا استعملت في النعمة، لأنّ من شأنها أن تصدر عن هذه الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها. ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى الُمولي لها. فلا يقال: اتّسعت اليدُ في البلد، أو اقتنيتُ يداً، كما يقال: اتّسعت النعمة في البلد، أو اقتنيتُ نعمة. وإنما يقال: جلّت يده عندي، وكثرت أياديه علي، ونحو ذلك.

ونظير ذلك قولهم في صفة راعي الإبل: «إنّ له عليها إصبعاً» أرادوا أن يقولوا: له عليها أثر حذق، فدلّوا عليه بالإصبع، لأنه ما من حذق في عمل يد إلّا وهو مستفادٌ من حسن تصريف الأصابع، واللطف في رفعها ووضعها، كما في الخطّ والنقش.

وكلفظ «اليد» أيضاً إذا استعملت في القدرة، لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع، وغير ذلك من الأفعال التي تنبىء عن وجوه القدرة ومكانها.

وعلاقات (المجاز المرسل) كثيرة منها:

١ - الجزئية: وقد سبقت في باب الجيم.

٢ - الكلية: وستأتي في باب الكاف.

٣ - السببية: وستأتي في باب السين.

٤ - المسببية: وسيأتي في باب السين.

٥ - اعتبار ما كان: وسيأتي في باب العين.

٦ - اعتبار ما يكون: وسيأتي في باب العين.

٧ - المحلية: وقد سبقت في باب الحاء.

٨ - الحالّية: وقد سبقت في باب الحاء.

٩ - الآليّة: وقد سبقت في باب الهمزة.

١٠- المجاورة: وقد سبقت في باب الجيم.

٣١٧ - الترشيح

وهو أن يريد المتكلم ضرباً من ضروب البديع، فلا يتأتّى له الإتيان به مجرّداً حتى يأتي بشيءٍ في الكلام، ليرشحه لمجيء ذلك الضرب.

ومن هذا الباب قوله تعالى «اذكرني عند ربّك فأنساه الشيطان ذكر ربّه»، فإن لفظة «ربك» رشحت لفظ «ربّه» لأنه يكون تورية، إذ يحتمل أن يراد بها الإله تعالى، وأن يراد به الملك. ولو وقع الاقتصار على قوله «فأنساه الشيطانُ ذكر ربّه» دون قوله «اذكرني عند ربّك» لم تدل لفظة «ربّه» إلا على الإله فحسب. ولكن لما تقدّمت لفظة «ربّك» وهي لا تحتمل إلا الملك صلحت «ربّه» للمعنيين...

وكثير من أبواب البديع يدخله الترشيح...

(بديع القرآن) ١٠٤

٣١٨ - المرشحة

أحد أقسام التورية. وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب. وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد. فكأنه ضعيف، فإذا ذكر لازمه تقوّى به، نحو قوله تعالى: «والسماء بنيناها بأيدٍ» فإنه يحتمل الجارحة، وهو المعنى القريب. وقد ذكر من لوازمه «البنيان» على وجه الترشيح.

ويحتمل «القدرة» وهو المعنى البعيد.

وفي الترشيح قد يذكر اللازم قبل لفظ التورية، وقد يذكر بعده.

٣١٩ - المرشحة

من الاستعارة التي تنقسم باعتبار ملائمها إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة.

والاستعارة المرشحة هي: التي تقترن بما يلائم المستعار منه «المشبه به» كقولك: رأيت أسداً دامي الأنياب طويل البراثن. وكقول الشاعر:

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكرِ
ليَ الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطرِ

فإنه استعار الرداء للسيف، لأنه يصون عرض صاحبه، وأثبت له الاعتجار الذي هو صفة المستعار منه. والترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق، لما فيه من قوة توكيد المبالغة التي تؤديها الاستعارة.

وهو مبني على تناسي التشبيه، حتى لقد يستعيرون الوصف المحسوس للمعقول، ويجعلون تلك الصفة كأنها ثابتة لذلك الشيء حقيقة، وكأن الاستعارة لم توجد أصلاً، كقول أبي تمام:

ويصعد حتى يظن الجهولُ بأن له حاجةً في السماء

فقد استعار لفظ العلو المحسوس، وهو الصعود، لعلو المنزلة، ووضع الكلام وضع من يذكر علواً مكانياً، ولولا قصده نسيان التشبيه وإنكاره وجعله صاعداً في السماء صعوداً مكانياً، لما كان لهذا الكلام وجه.

وجمهور البلاغيين على أن الاستعارة التي قرنت بما يلائم المستعار منه، أي المشبه به هي: «الاستعارة المرشحة» بالراء. أما العلوي صاحب (الطراز) فإنه يذكرها اسمها: «الاستعارة الموشحة».

وانظر (الاستعارة الموشحة) وستأتي في باب الواو.

٣٢٠ - الإرصاد

قال العلوي في «الطراز»: اعلم أن الارصاد في اللغة مصدر أرصد الشيء، إذا أعده، ومنه قوله تعالى: «إن ربك لبالمرصاد». قال: وهو في لسان علماء البيان مقبول في المنظوم والمنثور على أن يكون أول الكلام مرصداً لفهم آخره ويكون مشعراً به، فمتى قرع سمع السامع أول الكلام فإنه يفهم آخره لا محالة.

ومن أمثلته من كتاب الله تعالى: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون».

فإذا قرع سمع السامع قوله تعالى: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا» ثم وقف على قوله: «ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم» فإنه يعرف لا محالة، لما سبق من تصدير الآية أن تتمّتها وتكملتها: «فيما كانوا فيه يختلفون» لتقدّم ما يشعر بذلك ويدل عليه.

والإرصاد عند البلاغيين هو: أن يذكر قبل الفاصلة من الكلام المنثور أو القافية من البيت في الكلام المنظوم ما يدل عليها نحو قوله تعالى:

«وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» ونحو قوله تعالى: «وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» وكقول الشاعر:

أحلّت دمي من غير جرم وحرَّمتْ بلا سبب عند اللقاء كلامي
فليس الذي حلّلتِه بمحلّل وليس الذي حرمتِه بحرام

ونحو:

إذا لم تستطع شيئاً فدعْه وجاوزه إلى ما تستطيع

فالسامع إذا وقف على قوله تعالى: «قبل طلوع الشمس» بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه «وقبل الغروب».

وكذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الأول «أحلّت دمي»... علم أن العجز «وحرمت» ليس إلا ما قاله الشاعر، لأنه عرف قبل ذلك حرف الفاصلة كما عرف الرويّ الذي بنيت عليه القصيدة.

ومن البلاغيين من يسمي هذا الفن (التسهيم).
والتسهيم في الأصل جعل البرد أو الثوب ذا خطوط كأنها فيه سهام.
وسيأتي (التسهيم) في باب السين...

٣٢١ - الترصيع

من نعوت الوزن عند قدامة. وهو أن يتوخّى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف، كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم.

فمما جاء في أشعار القدماء قول امرىء القيس الكندي:

مخشٍّ مجشٍّ مقبل مدبرٍ معاً كتيس ظباء الحُلَّب العَدَوَانِ

فأتى باللفظتين الأولين مسجوعتين في تصريف واحد، وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما في التصريف. وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة، ولكن في لفظتين لفظتين بالوزن نفسه، كقوله:

أَلَصُّ الضروس حنيّ الضلوع تبوعٌ طلوبٌ نشيط أشِرْ

وفي قصيدة أُخرى: سجّع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه، مثل قوله:

وأوتاده ماذية وعماده ردينية فيها أسنة قعضبِ

وقال زهير بن أبي سلمى:

كبداء مقبلة وركاء مجبرة قوداء فيها إذا استعرضْتَهَا خَضَعُ

فأتى بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان. وقال أوس بن حجر:

جُشّاً حناجرها علما مشافرها تستنُّ أولادُها في دحض أنضاحِ

قال: وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى، ورموا هذا المرمى، وإنما يحسن إذا اتفق في البيت موضع يليق به، فإنه ليس في كل موضع يحسن، ولا على كل حال يصلح، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل في الأبيات كلها بمحمود، فإن ذلك إذا كان دلّ على تعمل، وأبان عن تكلف.

على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله أو والى بين أبيات كثيرة منه. منهم أبو صخر الهذلي، فإنه أتى من ذلك بما يكاد لجودته أن يقال فيه إنه غير متكلف، وهو:

وتلك هيكلةٌ خَوْد مبتَّلة صفراء رعبلة في منصب سَنِمِ
عذب مقبَّلها جدل مخلخلها كالدِّعْصِ أسفلها محضورة القدمِ
سود ذوائبها بيض ترائبها محص ضرائبها صيغت على الكرمِ

عبـل مقيَّـدهـا حـال مقلدهـا ... بض مجـردهـا لَفّـاء في عَمَمِ
سمـح خـلائقهـا درم مـرافقهـا ... يـروى مُعانقهـا من بـارد الشبَمِ
كـأن معتقـة في الـدَّن مغلقـة ... صهبـاء مصفقـة من رابىء رذمِ
شيبت بمـوهبة من رأس مـرقبـة ... جـرداء مهيبـة في خـالق شمَمِ
خـالط طعم ثنـايـاهـا وريقتهـا ... إذا يكون توالي النجم كـالنظمِ

ومنهم أبو المثلم، فإنه قال:

لـو كان للدهـر مال كـان متُلده ... لكـان الدهـر صخر مـال قنيـان
آبي الهضيمة نـاء بـالعظيمـة متـ ... ـلاف الكـريمة جلد غيـر ثنيـانِ
حامي الحقيقة نسّال الوديعة معـ ... ـتاق الوسيقـة لا نِكس ولا وانِ
ربّـاء مـرقبـة منـاع مـغلبـةٍ ... وهّـاب سلهبـة قـطاع أقـرانِ
هبـاط أوديـة حمـال ألـويـةٍ ... شهـاد أنـديـة سـرحـان فتيـانِ
يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله ... من التـلاد وهـوبٌ غيـر منـانِ

ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثير. وإنما يذهبون في هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً، فإنه لا كلام أحسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك. فمنه ما روي عنه عليه السلام من أنه عوَّذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال: «أعيذهما من السّامّة والهامة وكل عين لأمّة». وإنما أراد (ملمة) فلإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال (لامّة). وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير المال سِكّة مأبورة ومهرة مأمورة» فقال (مأمورة) من أجل (مأبورة) والقياس (مؤمرة) وجاء في الحديث: «يرجعن مأزورات غير مأجورات». وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنثور فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن...

(نقد الشعر) ١٩

وقال أبو هلال العسكري في (الترصيع) هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً وأصله من قولهم: «رصّعت العقد» إذا فصلته... انظر (الصناعتين) ٣٧٩.

وقال رشيد الدين الوطواط (الترصيع) في اللغة: بمعنى وضع الجواهر وغيرها في الذهب. ومعناه في أبواب البلاغة: أن يقسم الكاتب أو الشاعر عباراته إلى أقسام منفصلة، ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحروف الروي. قال: وإذا تحدثنا عن النثر فقلنا «حروف الروي» فما ذلك إلا من باب التوسع، لأن «حروف الروي» لا تكون في الحقيقة إلا في الشعر.

ومثال الترصيع في القرآن المجيد: «إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم». ومثال آخر في القرآن: «إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم».

ومثاله من الكلام النبوي: «اللهم اقبل توبتي، واغسل حوبتي» ومثاله من نثر الفصحاء «من أطاع غضبه أضاع أدبه» ومثال آخر «والعاقل يفتخر بالهمم العالية، لا بالرمم البالية».... وانظر (حدائق السحر) ٩٠.

٣٢٢ - الترصيع مع التجنيس

قال الوطواط: صناعة الترصيع رفيعة الشأن في ذاتها، ولكنها إذا اقترنت بصناعة أُخرى فإنها تزداد علواً ورفعة شأن. ومثال الترصيع مع التجنيس «قد وطئت الدهماء أعقابهم، وخشيت الأعداء إعقابهم» ومثال آخر «الكئوس في الراحات، والنفوس في الراحات» ويقول المؤملي الكاتب:

لم نزل نحن في سداد ثغور   واصطلام الأبطال من وسط لام
واقتحام الأهوال من وقت حام   واقتسام الأموال من وقت سام

٣٢٣ - رعاية الفاصلة

من الأغراض البلاغية التي تستدعي تقديم المفعول به على الفعل وتأخير الفاعل عن موضعه، مثل قوله تعالى: «خذوه فغلُّوه، ثم الجحيم صلُّوه، ثم في سلسلة ذَرعها سبعون ذراعاً فاسلكُوه». وكقوله تعالى: «فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر» وكقوله تعالى: «ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون».

ورعاية الفاصلة كذلك من الأغراض البلاغية التي تستدعي حذف المفعول به، كقوله سبحانه وتعالى: «والضحى، والليل إذا سجى، ما ودّعك ربك وما قلى» أي وما قلاك.

٣٢٤ - مراعاة النظير

مراعاة النظير، وتسمى أيضاً: التناسب، والتوافق، والائتلاف: هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين نحو قوله تعالى: «وهو السميع البصير». وإما بين أكثر نحو قوله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم» ونحو قوله تعالى: «الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان» والنجم هنا: هو النبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض لا ساق له كالبقول، والشجر: الذي له ساق. فالنجم بهذا المعنى وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما، وفي هذه الحالة يكون المثال من (إيهام التناسب) وبالمعنى الأول يكون التناسب بين الشمس والقمر وبين النجم والشجر. ويلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام، يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير» فإن «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له، و«الخبير» يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

٣٢٥ - الارتفاد

انظر (الحشو وفضول الكلام) وقد سبق في باب الحاء.

٣٢٦ - المرافدة

هي أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له، كما قال جرير لذي الرُّمّة: أنشدني ما قلت لهشام المرئي، فأنشده قصيدته:

نَبَتْ عيناك عن طللٍ بحزوى محته الريح وامتنح القطارا

فقال:

ألا أعينك؟ قال: بلى بأبي وأمي.!! قال: قل له:

يَعُدُّ الناسبون إلى تميم بيوتَ المجدِ أربعةً كبارا

يَعُدُّون الربابَ وآل سعدٍ وعَمْراً ثم حَنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً كما ألغيتَ في الدية الحوارا

فلقيه الفرزدق فاستنشده، فلما بلغ هذه قال: جيد، أعده! فأعاده، فقال: كلا، والله لقد علكهن من هو أشد لحيين منك. هذا شعر ابن المراغة.

واسترفد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة، فقال في أبيات:

يماشي عديّاً لؤمها ما تجنُّه من الناس ما ماشت عديّاً ظلالها

فقل لعديٍّ تستعن بنسائها عليَّ فقد أعيا عديّاً رجالُها

فقال ذو الرمة لما سمعها: يا ويلتا! هذا والله شعر حنظلي، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه.

وقد استرفد نابغة بني ذبيان زهيراً، فأمر ابنه كعباً فرفده. والشاعر يستوهب البيتين والثلاثة وأكثر من ذلك، إذا كانت شبيهة بطريقته، ولا يعد ذلك عيباً، لأنه يقدر على عمل مثلها.

ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز.

٣٢٧ - المرفوّ

من جناس التركيب، وهو أن يكون أحد اللفظين المتجانسين مركباً من كلمة، وبعض كلمة مثل قول الحريري:

ولا تلهُ عن تـذكار ذنبـك وابكِهِ بدمع يحاكي الوبْل حال مَصـابِهِ

ومثّــل لعينيـك الحِمــام ووقعَـه وروعـة مَلْقـاهُ ومــطعم صـابِـهِ

يعني أن «المصاب» في الأول مفرد، والثاني مركب من صاب وميم «مطعم»، ولا نظر إلى الضمير المضاف إليه فيهما.

٣٢٨ - التركيب

من ضروب الجناس التام - سبق في باب التاء - وجناس التركيب أن يكون أحد اللفظين مركباً، بألا يكون مجموعة كلمة واحدة، بل كلمتين، أو كلمة وجزء كلمة أُخرى، وجزأين من كلمتين، ويكون اللفظ الآخر مفرداً.

وسمي (جناس التركيب) لتركيب أحد لفظيه ومن أقسامه:

(١) المرفو وقد سبق.

(٢) والمتشابه: وسيأتي في باب الشين.

(٣) والمفروق: وسيأتي في باب الفاء.

وجعـل بعض البلاغيـين من جنـاس التـركيب مـا كـان اللفـظان المتجانسان فيه مركبين.

وبعضهم خص هذا النوع باسم (جناس التلفيق) وسيأتي في باب اللام.

٣٢٩ - التركيب

هو أن يؤلف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض، وبعضهم يسميه (الالتقاط والتلفيق) وبعضهم يسميه (الاجتذاب والتركيب) مثل قول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رآني مقبلاً غضّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول جميل:

إذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون من هذا؟ وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير:

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغْت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي:

إذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنْكَ الشمس من حولي تدور

٣٣٠ - المركّبة

أحد قسمي الكناية باعتبار ذاتها «المفردة» وستأتي في حرف الفاء، والمركبة، وأكثر ورود الكناية عليها. وهذا كقولك: الكرم في برديه، والمجد في ثوبيه، والعفاف في عِطفيه. وهذا كله في المدح.

فأما الكناية في الذم فكقولهم: فلان عريض الوساد. كما ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل قوله تعالى: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» جعل عديٌّ بن حاتم خيطين في يده، أحدهما أسود والآخر أبيض علامة للفجر، فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما فعل، فقال له الرسول: يا عدي، إنك لعريض الوساد. وهو كناية عن بَلَه الانسان، وَقلة فطانته، ونقصان كياسته.

٣٣١ - أركان التشبيه

للتشبيه أركان أربعة:

(١) المشبه: وسيأتي في باب الشين.

(٢) المشبه به: وسيأتي في باب الشين.

ويسمى المشبه والمشبه به (طرفي التشبيه).

(٣) أداة التشبيه: وقد سبقت في باب الهمزة.

(٤) وجه الشبه: وسيأتي في باب الواو.

٣٣٢ - الرْمز

قال صاحب البرهان: وأما (الرمز) فهو ما أخفي عن الكلام. وأصله الصوت الخفيُّ الذي لا يكاد يفهم. وهو الذي عناه الله عز وجل بقوله: «قال ربِّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً».

وإنما يستعمل المتكلم (الرمز) في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسمًا من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفاً من حروف المعجم. ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولاً مفهوماً بيناً مرموزاً عن غيرهما. وقد أتى في كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير.

وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون.

وفي القرآن من الرموز أشياء عظيمة القدر جليلة الخطر، وقد تضمنت علم ما يكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات ومدد كل صنف منها وانقضائه، ورمزت بحروف المعجم وبغيرها من الأقسام كالتين، والزيتون، والفجر، والعاديات، والعصر، والشمس.

واطلع على علمها الأئمة المستودعون علم القرآن[1] ولذلك قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «ما من مائة تخرج إلى يوم القيامة إلا وأنا أعلم قائدها وناعقها وأين مستقرها من جنة أو نار».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن: الٓمٓ، وحٓمٓ، وطٓسٓمٓ، وغير ذلك مما في القرآن من هذه الحروف، فقال: «ما أنزل الله كتاباً إلا وفيه سر، وهذه أسرار القرآن... وهي حروف الجمّل، ومنها كان علـيٌّ يعلم حساب الفتن. فهذه الرموز هي أسرار آل محمد، ومن استنبطها من ذوي الأمر وقف عليها فعلم جليل ما أودعهم الله إياه من الحكمة.

انظر كتاب (البرهان) ٦٢.

٣٣٣ - الرَّمْز

من الكناية، وهو الذي تقلّ فيه **الوسائط**، أو تنعدم مع خفاء في اللزوم بين المستعمل فيه والأصل.

فأما الأول، وهو ما قلّت فيه **الوسائط** فكعرض الوساد، كناية عن البَلَه، إذ ليس بين عُرض الوساد وبين البَلَه إلاّ عُرض القفا.

وأما الثاني وهو ما انعدمت فيه الوسائط أصلاً فكعرض القفا في البَلَه، إذ ليس بينهما واسطة عرفاً.

وإنما سميت هذه الكناية رمزاً لأن الرمز أن تشير إلى قريب منك مع خفاء الإشارة، كإشارة بالشفة أو الحاجب، فإنه إنما يشار بهما غالباً عند قصد الإخفاء، كما قال:

رمـزت إليَّ مخـافــة من بعلهـا من غير أن تبدي هناك كلامهـا

انظر (التلويح) وسيأتي في باب اللام.

وانظر (الإيماء) وسيأتي في باب الواو.

---

(١) ذلك ما يراه الشيعة الذين يقولون بالإمامة، ومؤلف الكتاب شيعي يقول بقولهم.

٣٣٤ - الرّمز

من أقسام (الإشارة) ذكر ذلك ابن رشيق. وسيأتي في باب الشين.

٣٣٥ - الرّمز والإيماء

ذكره ابن أبي الأصبع في (بديع القرآن) وقال عنه هو أن يريد المتكلم إخفاء أمر ما في كلامه، مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه، فيرمز له في ضمنه رمزاً يهتدي به إلى طريق استخدام ما أخفاه في كلامه.

والفرق بينه وبين الوحي والإشارة أن المتكلم في الوحي والإشارة لا يودع كلامه شيئاً يستدل منه على ما أخفاه، لا بطريق الرمز ولا غيره، بل يوحي مراده وحيّاً خفياً لا يكاد يعرفُه إلا أحذق الناس. فخفاء الوحي والإشارة أخفى من خفاء الرمز والإيماء.

والفرق بينه وبين الإلغاز أن الإلغاز لا بد أن يكون فيه ما يدل المعمّى، بذكر بعض أو صافه المشتركة بينه وبين غيره وأسمائه، فهو أظهر من الرمز.

ومثال الرمز قول النابغة الذبيانّي:

فاحكم كحُكمِ فتاة الحيّ إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد

يحفّه جانبا نيق ويتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرَّمَدِ

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا أو نصفه فقدِ

فكمّلت مائة فيها حمامتنا ... وأسرعت حسبةً في ذلك العددِ

فإنه رمز عدة الحمام التي رأتها الزرقاء، وعدته ست وستون حمّامة، فأخفى هذه العدة، ولم يدل عليها بصريح الدلالة، ورمز الدلالة على عدتها بهذا الطريق.

انْظر (بديع القرآن) ٣٢٣.

باب الزاي

٣٣٦ - الزمانيّة

وهي إحدى علاقات المجاز العقلي، فيما بني للفاعل وأسند للزمان، لمشابهته الفاعل الحقيقي في ملابسة الفعل لكل منهما، مثل «نهاره صائم، وليله قائم» لأن النهار لا يصوم، والليل لا يقوم، وإنما يصام في النهار، ويقام في الليل. والصائم الحقيقي والقائم الحقيقي هو الإنسان.

ومنه قوله تعالى: «والضحا والليل إذا سجى» ومعنى «سجى» سكن، والليل لا يسكن، وإنما تسكن حركات الناس فيه، فأجرى سبحانه وتعالى صفة السكون عليه، لما كان السكون واقعاً عليه.

قال ابن فارس: ومن سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم «يوم عاصف» المعنى «عاصف الريح»، قال الله جل ثناؤه: «في يوم عاصف» فقيل «عاصف» لأن عصوف ريحه يكون فيه، ومثله «ليل نائم» و«ليل ساهر» لأنه يُنام فيه ويسهر. قال أوس بن حجَر:

خذلت على ليلة ساهره ... بصحراء شرج إلى ناظره[1]

وقال ابن براق:

تقول سليمى لا تعرَّضْ لتلْفة ... وليلك من ليل الصعاليك نائم

ومثله قول الشاعر:

لقد لمتنا يا أُمَّ غيلان في السَّرى ... ونمتِ وما ليلُ المطيّ بنائمِ

(١) شرج وناظره اسما مكان بأرض بني أسد.

٣٣٧ - الازدواج

هو تجانس اللفظين المتجاورين نحو: من جَدّ وجَدَ، ومن لَجّ ولَجَ.

٣٣٨ - الازدواج

من علماء البلاغة من يسمِّي توافق الفاصلتين في الوزن (الازدواج) ولا يشترطون فيه التوافق في التقفية، كقول الله عزّ وجلّ «وآتيْنَاهما الكتابَ المسْتبين، وهَديْناهما الصِّراطَ المستْقيم» وقوله تعالى «ونمارِقُ مصْفُوفة وَزَارابيٌّ مبْثوثة».

ومنهم من يخصّ ذلك باسم (المماثلة).

ومنهم من يسميه «السجع العاطل».

وقد تجتمع التقفية والوزن، فيكون الكلام مسجوعاً مُزْدَوَجاً، مثل قوله تعالى «فأمّا اليتيم فلا تَقْهرْ، وأمّا السّائلَ فلا تَنْهَرْ» وقوله جلّ شأنه «فإذا فرغْتَ فانصَبْ، وإلى ربِّكَ فارْغَبْ».

وقد يكون أكثر ما في القرينتين متفقاً في الوزن والتقفية، كما في قول الحريريّ: هو يقرَعُ الأسماعَ بزواجر وَعْظِه، ويطبعُ الأسجاعَ بجواهر لفظِه.

وقد ينفرد السجع دون الازدواج، كما في قول الله تعالى «ما لكُمْ لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكمْ أطواراً».

وانظر (التسجيع) وسيأتي في باب السين.

وانظر (الموازنة) وستأتي في باب الواو.

وانظر (المماثلة) وستأتي في باب الميم.

وانظر (المتوازي) وسيأتي في باب الواو.

وانظر (المتوازن) وسيأتي في باب الواو.
وانظر (المطرَّف) وسيأتي في باب الطاء.
وانظر (العاطل) وسيأتي في باب العين.

٣٣٩ - المزاوجة

هي أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يرتب على كل منهما معنى رُتِّب على الآخر كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلجَّ بي الهوى   أصاخت إلى الواشي فلجَّ بهاالهجرُ

فقد زَاوَجَ الشاعر بين نهي الناهي وإصاختها إلى الواشي في الشرط والجزاء بترتُّب اللجاج على كل منهما.

وكقول الشاعر:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

زاوج الشاعر بين الاحتراب - أي التحارب - وبين تذكر القربى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما.

٣٤٠ ـ المزاوجة

أحد قسمي (تجانس البلاغة) عند أبي الحسن علي بن عيسى الرماني.

وانظر (تجانس البلاغة) وقد سبق في باب الجيم.
وانظر (المناسبة) وستأتي في باب النون.

٣٤١ - المزدوج

من الجناس (غير التام).
وانظر (المردّد) وقد سبق في باب الراء.

٣٤٢ - الزّيادة

الزيادة البليغة هي التي تفيد اللفظ فصاحة وحسناً، والمعنى توكيداً، أو تمييزاً لمدلوله عن غيره.

مثال ما أفادت زيادته اللفظ فصاحة، والمعنى توكيداً قوله تعالى: «فبما رحمة من الله لِنْت لهم» فإن كل ذي ذوق سليم وذهن مستقيم، ونظر صحيح يفرق ما بين هذه اللفظ بهذه الزيادة وبينه عريّاً عنها، فإنه لو قيل: فبرحمة من الله لنت لهم، لم تجد لها الوقع في النفوس ما لقوله: «فبما رحمة من الله» ويشهد الطبع الجيد المعتدل بأنها بالزيادة أفصح، وأن الزّيادة أفادتها هذه الجزالة والطلاوة، مع كونها مؤكدة للمعنى. ومثال الزيادة التي من القسم الثاني قوله تعالى: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» فإنه كان يمكن أن تأتي اللفظتان بغير زيادة، فيقال: لها ما كسبت وعليها ما كسبت. وإنما منع من ذلك ما يحصل للنظم من العيب،وإغماض المعنى الذي قصد.

أما العيب فاستثقال تكرار لفظة «كسبت» بغير زيادة في نظم قربت فيه الثانية من الأولى فسمج.

وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى أن الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها فطرة الخير. فالإنسان بتلك الفطرة السابقة في أصل الخلق لا يحسن أن ينسب إليه إلاّ كسب الحسنات، وما يعمله من السيئات يعمله لمخالفة الفطرة، فكأنه تكلف من ذلك ما ليس في جبلّته، فوجبت زيادة التاء التي للافتعال، فحصلت بزيادته إماطة العيب عن النظم، لمخالفة إحدى اللفظتين أختها، والإشارة إلى المعنى المراد، ليوافق معنى هذا الكلام معنى قوله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» ومعنى قوله عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة. حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصرّانه ويمجسّانه».

ومن هذا القسم قوله تعالى أيضاً: «لو نشاءُ لجعلناه حطاماً» بزيادة

لام التوكيد، لأن أمر الزرع يحتمل أن يظن الضعيف بادىء الأمر أنه من صنع متولي أمره، وجعله حُطاماً من فعل الشمس وعدم السقي، فأكد للإخبار بأنه من فعله سبحانه، لدفع هذا الاحتمال، بخلاف الماء فإنه لا يظن أحد أن أحداً يقدر على إنزاله من المزن غير الله تعالى، فلم يحتج إلى توكيد. (بديع القرآن) ٣٠٦.

٣٤٣ - زيادة البيان مع المساواة في المعنى

وذلك بأن يؤخذ المعنى، فيضرب له مثال يوضحه. فمما جاء منه قول أبي تمام:

هو الصنع إن يعجل فنفع وان يرِثْ فلَلريثُ في بعض المواطن أنفعُ

أخذه أبو الطيب، فأوضحه بمثال ضربه له، وذلك في قوله:

ومن الخير بطءُ سيبِك عني أسرعُ السّحْب في المسير الجهامُ

٣٤٤ - المستزاد

انظر (البنود والمستزاد) وقد تقدم في باب الباء.

بابُ السين

٣٤٥ - السؤال والجواب

ومثاله قول أبي فراس:

لك جسمي تعلّهُ فدمي لمْ تُحِلُّهُ
قال: إن كنتُ مالكاً فليَ الأمرُ كُلُّهُ

وكقول الباخرزي:

قلتُ لها هجرْتني ما العلّهْ؟ فتمايلتْ دَلًّا، وقالتْ: قُبلَهْ

ومن المستظرف في هذا الباب قولُ وضّاح اليمن:

قالتْ: ألاَ لا تلِجَنْ دارنا إنّ أبانا رجُلٌ غائرُ
قلتُ: فإني طالبٌ غِرّةً منه وسيفي صارم باترُ
قالتْ: فإن البحرَ ما بيننا قلتُ: فإني سابح ماهرُ
قالتْ: أليس الله من فوقنا؟ قلت: بلى، وهو لنا غافرُ
قالتْ: لقد أعييْتنا حيلةً فأتِ إذا ما هجع السّاهِرُ
واسقطْ علينا كسقوط النّدى ليلةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

وهو كثير في شعر عمر بن أبي ربيعة، وعليّ بن الجهم...

٣٤٦ - السّببية

من علاقات المجاز المرسل وهي: أن يطلق لفظ السبب ويراد المسبَّب، نحو قولهم «رعينا الغيث» أي النبات الذي سببه الغيث، فسمّى النبات غيثاً، لأن الغيث سبب النبات.

ومنه تسمية القدرة يداً في قوله تعالى: «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته، فإن اليد سبب القدرة. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي لا يسفهن أحد علينا، فنجازيه ونعاقبه بما هو أشد من سفه السفهاء.

٣٤٧ - السببيّة

وهي إحدى علاقات المجاز العقلي، فيما بني للفاعل وأُسند للسبب مجازاً، مثل «بنى الأمير المدينة»، فإن الأمير لم يبْن ولم يزاول عملية البناء، وإنما بنى العمالُ بسبب أمره.

وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى: «وإذا تليتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً» نسبت الزيادة التي هي فعل الله تعالى إلى الآيات، لكونها سبباً فيها. وكذلك قوله تعالى: «وذلك ظنُّكم الذي ظننتم بربكم أرداكم». وقوله تعالى: «يذبح أبناءهم» الفاعل غيره، ونسب الفعل إليه لكونه الآمر به. وكقوله: «ينزع عنهما لباسهما» نسب النزع الذي هو فعل الله تعالى إلى إبليس، لأن سببه أكل الشجرة، وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين. وكذلك قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار» نسب الإحلال الذي هو فعل الله إلى أكابرهم، لأن سببه كفرهم، وسبب كفرهم أمر أكابرهم.

٣٤٨ - المسبّبيّة

وهي من علاقات المجاز المرسل. وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب وأريد السبب، نحو: أمطرت السماء نباتاً، ذكر النبات وأريد الغيث

والنبات مسبب عن الغيث. وكذا قوله تعالى: «وينزِّل لكم من السماء رزقاً» أي مطراً هو سبب الرزق، وكقوله تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم ناراً» أي مالاً تتسبب عنه النار.

٣٤٩ - التسبيغ

هو (تشابه الأطراف) الذي سيأتي في باب الشين، وتسميته (التسبيغ) انفرد بها أبو اسحاق الإجدابي صاحب كتاب «كفاية المتحفّظ» في اللغة. وقد انتقده في هذه التسمية ابن أبي الاصبع، بأن التسمية لا تناسب المسمّى.

وانظر (تشابه الأطراف) في باب الشين.

٣٥٠ - التّسْجيع

قال العلوي: أعلم أن هذا النوع من علوم البلاغة كثير التدوار، عظيم الاستعمال في ألسنة البلغاء. ويقع في الكلام المنثور، وهو في مقابلة (التصريع) في الكلام المنظوم الموزون في الشعر. ومعناه في لغة علماء البيان: اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما[1].

فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن سمي (المتوازي) وسيأتي في باب الواو.

وإن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سمي (المطرَّف) وسيأتي في باب الطاء.

وإن اتفقا في الوزن دون الحرف سمي (المتوازن) وسيأتي في باب الواو.

وانظر (الازدواج) وقد سبق في باب الزاي.

(١) المعروف عند البلاغيين هو: الاتفاق في الحرف فقط. أما الاتفاق في الوزن فيخصونه باسم (الازدواج) وقد سبق في باب الزاي.

٣٥١ - التسجيل على السامع

حتى لا يتأتى له الانكار. وذلك من المواضع التي يترجح فيها ذكر المسند إليه. كما يقول القاضي للشاهد: هل أقر زيد هذا بأن عليه لمحمد كذا؟ فيقول الشاهد: نعم. زيد هذا أقر بأن عليه لمحمد كذا، فيذكر المسند إليه، ليكون متعيناً، فلا يقع فيه التباس، ولا يجد المشهود عليه سبيلاً إلى الإنكار، فيقول مثلاً: إن الشاهد قد أشار إلى غيري.

٣٥٢ - الإسجال بعد المغالطة

وهو أن يقصد الشاعر أو الناثر غرضاً من ممدوح، فيشترط لحصوله شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يخبر بوقوعه مغالطة، وإن لم يكن قد وقع بعد، ليقع المشروط بعد أن يسجل استحقاق مقصوده.

قال ابن أبي الاصبع: وقد يقع الإسجال بغير مغالطة.

والقسم الذي ذكرناه أولاً يأتي في الشعر وغيره من كلام البشر، ولا يقع في الكتاب العزيز إلا القسم الثاني، وهو الإسجال بغير مغالطة. . .

ومثاله قوله تعالى: (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) وكقوله تعالى (ربنا وأدخلهم جنات عدنٍ التي وعدتهم) إلى كثير من هذه المواضع لمن تتبعها.

ومثال القسم الأول من هذا الباب، وهو ما تقع فيه المغالطة، قول الشاعر:

جاء الشتاء وما عندي له عُدَد إلا ارتعادي وتصفيقي بأسناني
فإن هلكتُ فمولانا يُكفِّنُني هبني هلكت فهبني بعض أكفاني

٣٥٣ - الانسجام

وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور وللبيت من

الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، وإن خلا من البديع، وبعد عن التصنيع.

وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كأشطار وأنصاف أبيات، وقعت في أثناء الكتاب العزيز، ورويت عن النبي الكريم.

والانسجام على ضربين:

(١) ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد: ومن أمثلته قوله تعالى (إنما أشكو بَثّي وحزني إلى الله» و«أعلم من الله ما لا تعلمون» فأنت ترى سهولة هذا النظم وعذوبة هذه الألفاظ، ومثله الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: «يا بنيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون».

(٢) والضرب الثاني لا بديع فيه كقوله تعالى: «خذ العفو وأمرْ بالعرف وأعرضْ عن الجاهلين» وقوله عز وجل: «ولله غيبُ السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون». وأكثر آي القرآن من شواهد هذا الباب...

(بديع القرآن) ١٦٧

٣٥٤ - التسخير

من الأغراض التي تخرج إليها صيغ الأمر عن معناها الأصلي، وهو جعل المأمور به مسخَّراً منقاداً لما أمر به، فيبدل من حالة إلى أُخرى فيها إهانة، نحو قوله تعالى: «كونوا قِرَدة خاسئين».

وهنالك فرق بين التسخير والإهانة تجده في باب الهاء.

وابن فارس يسمي التسخير (التكوين)، ومثل له بالمثال السابق.

٣٥٥ - السَّرَقُ

هو الأخذ من كلام الغير، وهو أخذ بعض المعنى أو بعض اللفظ سواء أكان ذلك لمعاصر أو قديم، والفرق بينه وبين (الإغارة) أن (الإغارة) أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره. أما السرق فإنه أخذ بعض المعنى أو بعض اللفظ كما سبق.

٣٥٦ - السلب

أحد ضربي (الطباق).

وطباق السلب هو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر، والآخر نهي.

فالأول: نحو قوله تعالى: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» فإن العلم الأول منفي والآخر مثبت.

والثاني: نحو قوله تعالى: «فلا تخشوا الناس واخشوني».

ومن طباق السلب قول الشاعر:

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

وقول البحتري:

يُقَيّض لي من حيث لا أعلم النوى ... ويسري إليّ الشوق من حيث أعلم

وقول أبي الطيب:

ولقد عَرَفْتُ، وما عرفت حقيقةً ... ولقد جهلتُ، وما جهلت خمولا

وقول الآخر:

خُلقوا، وما خلقوا لمكرمة ... فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا، وما رزقوا سماح يدٍ ... فكأنهم رزقوا وما رزقوا

قيل: ومنه قوله تعالى: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» أي لا يعصون الله في الحال، ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل. وفيه نظر، لأن العصيان يضادُّ فعل المأمور به، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضادا؟.

قال ابن سنان الخفاجي: وبعض أصحاب صناعة الشعر يجعلون (السلب والإيجاب) فناً مستقلاً، ولم يجعلوه من المطابق.

٣٥٧ - السَّلْب والإيجاب

باب واحد عند بعض البلاغيين، وهو الفصل السادس والعشرون من الباب التاسع في كتاب الصناعتين. قال أبو هلال العسكري: (السلب والإيجاب)، هو أن تبني الكلام على نفي من جهة، وإثباته من جهة أُخرى، أو الأمر به في جهة، والنهي عنه في جهة، وما يجري مجرى ذلك، كقول الله تعالى: «ولا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما» وقوله تعالى «فلا تخشوا الناس واخشوني» وكقوله تعالى: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً».

ومثاله من النثر قول رجل ليزيد بن المهلب: قد عظم قدرك من أن يستعان بك، أو يستعان عليك، ولست تفعل شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه، وهو أصغر منك، وليس العجب من أن تفعل، وإنما العجب من ألا تفعل.

وقول الشعبي للحجاج: لا تعجب من المخطىء كيف أخطأ، واعجب من المصيب كيف أصاب!.

وقيل لبعض العلماء: إن صاحبنا مات، وترك عشرة آلاف، فقال: أما العشرة آلاف فلا تترك صاحبكم!.

وقال بعض الأوائل: ليس معي من فضيلة العلم إلا أني أعلم أنني لا أعلم.

٣٥٨ - الأسلوب الحكيم

ومن خلاف المقتضى ما سماه السِّكاكي (الأسلوب الحكيم)، وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقب، يحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم به.

أما الأول: فكقول القبعثري للحجاج لما قال له متوعداً بالقيد: «لأحملنك على الأدهم»، فقال القبعثري: «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» فإنه أبرز وعيده في معرض الوعد، وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد فجدير أن يَصفِّد لا أن يُصفِّد، وكذا قوله لما قال له في الثانية «إنه حديد» أجاب: «لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً».

وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب عبَّر من قال مفتخراً:

أتت تشتكي عندي مزاوَلَةَ القِرى ... وقد رأت الضيفان ينحون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامها ... هم الضيفُ، جِدّي في قِراهم وعجِّلي

وسماه الشيخ عبدالقاهر (مغالطة).

وأما الثاني، فكقوله تعالى: «يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج» قالوا: ما بال الهلال يبدو رقيقاً مثل الخيط، ثم يتزايد قليلاً قليلاً، حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ وكقوله تعالى: «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل» سألوا عن بيان ما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصْرِف.

٣٥٩ - السّلخ

وهو أخذ بعض المعنى، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ. ومن ضروبه الكثيرة التي استخرجها ابن الأثير:

(١) أن يؤخذ المعنى،ويستخرج ما يشبهه، ولا يكون هو إياه.

وهذا من أدق السرقات مذهباً، وأحسنها صورة، ولا يأتي إلا قليلاً. فمن ذلك قول الطِّرِمّاح بن حكيم من شعراء الحماسة:

لقد زادني حباً لنفسي أنني   بغيضٌ إلى كل امرىء غير طائل

أخذ المتنبي هذا المعنى، واستخرج منه معنى آخر غيره إلا أنه شبيه به، فقال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

والمعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذاك عسر غامض، وهو غير متبين إلا لمن أعرق في ممارسة الأشعار، وغاص في استخراج المعاني. وبيانه: أن الأول يقول: إن بغض الذي هو غير طائل إياي مما زاد نفسي حباً إلي، أي جمّلها في عيني، وحسّنها عندي كون الذي هو غير طائل مبغضي. والمتنبي يقول: إن ذم الناقص إياي شاهدٌ بفضلي، فذم الناقص إياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك الرجل، وشهادة ذم الناقص إياي بفضله كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده.

(٢) أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ، وذلك يصعب جداً، ولا يكاد يأتي إلا قليلاً. ومنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة:

ومن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً   من المال يطرحْ نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة   ومبلغ نفسي عذرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال:

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة   تقوم مقام النصر إن فاته النصر

فعروة بن الورد جعل اجتهاده في طلب الرزق عذراً يقوم مقام النجاح، وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائمًا مقام الانتصار. وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف.

(٣) أخذ المعنى ويسير من اللفظ، وذلك من أقبح السرقات، وأظهرها شناعة على السارق، فمن ذلك قول البحتري في غلام:

فوق ضعف الصغير إن وكل الأمـ   ـر إليه ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال:

لم يخف من كبرٍ عما يراد به   من الأمور ولا أزرى من الصغر

(٤) أن يؤخذ المعنى فيعكس، وذلك حسن، يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة، فمن ذلك قول أبي الشِّيص:

أجد الملامة في هواك لذيذة   شغفاً بذكرك فَلْيلُمْني اللُّوَّمُ

أخذ أبو الطيب هذا المعنى وعكسه، فقال:

أأحبه وأحب فيه ملامة   إن الملامة فيه من أعدائه

فإن الإنكار راجع إلى الجمع بين أمرين: محبته، ومحبة الملامة فيه. وما يصدر عن عدو المحبوب يكون مبغوضاً، وهذا نقيض معنى أبي الشِّيص.

(٥) أن يؤخذ بعض المعنى، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت: يمدح عبدالله بن جدعان:

عطاؤك زين لامرىء إن حبوته   ببذل وما كل العطاء يزينُ

وليس بشين لامرىء بذل وجهه   إليك كما بعض السؤال يشينُ

أخذه أبو تمام فقال:

تُدعى عطاياه وفراً وهي إن شهرت كـانت فخاراً لمن يعفـوه مؤتنفا
مـا زلت منتـظرا أعجـوبـة زمنـا حتى رأيت سؤالا يجتني شـرفا

فأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين: أحدهما أن عطاءك زين، والآخر أن عطاء غيرك شين. وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لا غير:

(٦) أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر، فمـما جاء منـه قول الأخنس بن شهاب:

إذا قصُرت أسيافنا كان وصلها خـطانـا إلى أعـدائنـا فنضــارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه، وهو قوله:

إن قصّر الرمح لم يَمشِ الخطا عدداً أو عرّدَ السيف لم يهمم بتعريد

(٧) أن يؤخذ المعنى فَيُكْسَى عبارة أحسن من العبارة الأولى، وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة، فمن ذلك قول أبي تمام:

جَزْلان من ظفر، حرّان إن رجعت مخضـــوبـة منكمُ أظفــاره بـدمِ

أخذه البحتري فقال:

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرَّتِ القربى ففاضت دمـوعها

(٨) أن يؤخـذ المعنى ويسبك سبكـاً موجـزا، وذلـك من أحسن السرقات، لما فيه من الدلالة على بسطة الناظر في القول، وسعة باعة في البلاغة، فمن ذلك قول بشّار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفـاز بالطّيبـات الفـاتـكُ اللهِـجُ

أخذه سلْم الخاسر ــ وكان تلميذه ــ فقال:

من راقب النـــاس مـــات غمّـــا وفـــاز بـــالـــلذة الـــجـــســـورُ

(٩) أن يكون المعنى عامّاً فيجعل خاصاً، وهو من السرقات التي يسامح صاحبها. فمن ذلك قول الشاعر:

لا تنه عن خلُق وتأتيَ مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال:

أألوم من بخلتْ يداه وأغتدي   للبخل تِرباً؟ ساء ذاك صنيعا

(١٠) زيادة البيان مع المساواة في المعنى، وقد سبق في باب الزاي.
(١١) اتحاد الطريق واختلاف المقصد، وسيأتي في باب الواو.

٣٦٠ - سلامة الاختراع من الاتباع

وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع فيه، ومن ذلك قوله تعالى: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب» فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي تضمن الإفراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق، خارجة مخرج الصدق. وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات، وأقلها سلباً لما تسلبه، وتعجيز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله.

٣٦١ - التسليم

وهو أن يفرض المتكلم فرضاً محالاً، إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع، ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع، لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه. كقوله سبحانه: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض». خلاصة معنى هذا الكلام أن

ليس مع الله من إله. وكأن قائل ذلك قال: ولو سلّمنا أن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم بذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلوِّ بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحوال، والواقع خلاف ذلك، ففرضُ إلهين فصاعداً محال، لما يلزم منه من المحال.

٣٦٢ - التسميط

هو أن يجعل المتكلم مقاطع أجزاء البيت والقرينة على سجع يخالف قافية البيت أو آخر القرينة. كقول مروان بن أبي حفصة:

هم القوم إن قالوا أصابوا أو إن دُعُوا أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا

فإن أجزاء البيت مسجّعة على خلاف قافيته، فتكون القافية بمنزلة السمط والأجزاء المسجعة بمنزلة حبّ العقد.

وقد جاء من النثر في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى: «وربك أعلم بمن في السموات والأرض، ولقد فضلنا بعض النبّيين على بعض، وآتينا داود زبوراً».

٣٦٣ - الإسناد الخبريّ

هو ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها - كالجملة الواقعة موقع مفرد - إلى أُخرى، على وجه يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأُخرى، أو منفي عنه. نحو «الحزم نافع» ونحو «عليٌّ أخلاقه حسنه» و«علي حسنت أخلاقه» ونحو «ما علي بخائن».

٣٦٤ - السِّناد

من عيوب القوافي. ذكره قدامة في نقد الشعر، قال: وهو أن يختلف تصريف القافية، كما قال عدي بن زيد:

ففاجأها وقد جمعت جموعا   على أبواب حصن مصلتينا
فقدّدت الأديم لراهشيه   وألفى قولها كذباً ومَيْنا

وكقول الفضل بن العباس اللُّهبي:

عبد شمس أبي فإن كنت غضبي   فاملئي وجهك المليح خموشا
نحن كنا سكانها من قريش   وبنا سميت قريش قريشا

والسناد من قولهم: خرج بنو فلان برأسين متساندين، أي كل واحد منهم على حياله. وهو مثل ما قالوا: كانت قريش يوم الفجار متساندين، أي لا يقودهم رجل واحد.. «نقد الشعر» ١١١.

وقال ابن قتيبة: (السناد) أن يختلف إرداف القوافي، كقولك «علينا» في قافية و«فينا» في أُخرى. كقول عمرو بن كلثوم:

* ألا هبّي بصحنك فاصبحينا *

فالحاء مكسورة. وقال في آخر:

* تصفقها الرّياح إذا جَرَيْنا *

فالراء مفتوحة وهي بمنزلة الحاء. وكقول القائل:

* كأن عيونهن عيون عينٍ *

ثم قال:

* وأصبح رأسه مثل اللجَيْنِ *

وانظر (الشعر والشعراء) ١/٤٣

٣٦٥ - المسند

يكون مفرداً لا جملة، لكونه غير سببي، ولم يقصد به تقوية الحكم، نحو «عليّ مسافر».

فأما السّببيّ نحو: «زيد أبوه منطلق»، أو «انطلق أبوه» وما شاكل ذلك من كل جملة واقعة خبراً عن مبتدأ يربطها به عائد غير مسند إليه في تلك الجملة، فيبقى جملة، لتعينها في الإخبار، وكذلك ما قصد به تقوية الحكم، فلا يعدل عنه إلى المفرد، حتى لا تزول التقوية إذا أفرد.

ويكون المسنِد فعلاً تقييده على أخصر وجه مع إفادة التجدد بأحد الأزمنة الثلاثة: الماضي، وهو الزمان الذي قبل الذي أنت فيه. والمستقبل، وهو ما يترقب وجوده بعد هذا الزمان. والحال، وهو في عرف أهل العربية أجزاء متعاقبة من أواخر الماضي وأوائل المستقبل، قد تطول وقد تقصر، بحسب اختلاف الفعل في نحو قولنا: «زيد يصليّ، أو يحج» مراداً بذلك الحصول في الحال.

ويكون اسمًا لإفادة الثبوت[1] لأغراض تتعلق بذلك، كما في مقام المدح، فقولنا «زيد مكرم لضيفه» يدل على ثبوت إكرام الضيفان لزيد، من غير نظر إلى زمان ولا تجدد بعد عدم، ولا كذلك قولنا: «زيد أكرم أو يكرم ضيفه» فإنه يدل على حصول في الماضي، وثانياً على حصول في الحال أو في المستقبل بعد أن لم يكن.

ويكون المسند جملة للأغراض الآتية:

(١) تقوية ثبوت المسند للمسند إليه، أو نفيه عنه، نحو: «زيد قام»، ويختص التقوِّي بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتدأ المعتد به كما في المثال السابق. وسبب التقوِّي تكرر الإسناد.

(٢) كون المسند سببيّاً، نحو: «زيد أبوه قائم»، و«عليّ أكرمته».

(٣) كون المسند إليه ضمير شأن، نحو: «هو الله أحد».

(٤) إرادة التخصيص، نحو: «أنا سعيت في حاجتك»، فالتقوية وإن كانت حاصلة هنا ليست مقصودة لذاتها.

---

(١) الاسم بأصل وضعه لا يدل على أكثر من الثبوت، فأما الحدوث أو الدوام فيدل عليهما بقرائن.

وتكـون جملة المسند اسميـة لإفـادة الثبـوت، وفعليـة لإبفـادة التجـدد والحـدوث في أحـد الأزمنـة الثـلاثـة عـلى أخصـر وجـه، وشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط في نحو: «زيد إن تلقه يكرمك» أو «إذا لقيته يكرمك». فقد أخبرت أوّلاً بالإكرام الـذي يحصل على تقدير اللقاء المشكوك فيه، وثانياً بالإكرام الحاصل على تقدير وقوع اللقاء المحقق.

ومواضع المسند ثمانية:

(١) خبر المبتدأ: نحو «قادر» من قولك «الله قادر».

(٢) الفعل التام: نحو «حضر» من قولك «حضر الأمير».

(٣) واسم الفعل: نحو «هيهات» و«وَيْ» و«آمين».

(٤) والمبتدأ الوصف المستغني عن الخبر بمرفوعه: نحو «عارف» من قولك «أعارفٌ أخوك قدر الإنصاف»؟.

(٥) وأخبار النواسخ «كانَ ونظائرها» و«إنّ ونظائرها».

(٦) والمفعول الثاني لظِنّ وأخواتها.

(٧) والمفعول الثالث لأرى وأخواتها.

(٨) والمصدر النائب عن فعل الأمر.

٣٦٦ - المسند إليه

ويسمى (المحكوم عليه) أو المتحدث عنه. وله ستة مواضع:

(١) الفاعل للفعل التام.

(٢) وأسماء النواسخ: كان وأخواتها، وإنّ وأخواتها.

(٣) والمبتدأ الذي له خبر.

(٤) والمفعول الأول لِظنّ وأخواتها.

(٥) والمفعول الثاني لأرى وأخواتها.

(٦) ونائب الفاعل.

٣٦٧ - التسهيم

وقدامة يسميه (التوشيح). وقيل إن الذي سمّاه (التسهيم) علي بن هارون المنجم. وأما ابن وكيع فسماه (المُطْمع). وهو أن يتقدّم من الكلام ما يدلّ على ما يتأخر، وهو أنواع:

منه ما يشبه المقابلة وهو الذي اختاره الحاتمي نحو قول جنوب، أخت عمرو ذي الكَلَب:

فأقسم يا عمرو لو نبهّا ... كَ إذن نبّها منك داء عُضالا
إذن نبّها ليْثَ عِرّيسَةٍ ... مُقِيتاً مفيداً نفوساً ومالا
وخرق تجاوزت مَجهولة ... بوجناء حرفٍ تشكّي الكلالا
فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

أرادت قولها: «مُقِيتاً نفوساً، ومفيداً مالا» فقابلت مُقِيتاً بالنفوس ومفيداً بالمال. وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً، ولما ذكرت الليل جعلته هلالاً، لمكان القافية. ولو كانت القصيدة رائية لجعلته قمراً، فقد دلّ المتقدم على المتأخرّ بالمعنى في البيت الأول.

أما الثاني فقد دل المتقدم على المتأخر دلالة لفظية، بعد أن عرفت القافية.

وسِرّ الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته، وشاهداًبها،دالاً عليها، كالذي اختاره قدامة للراعي، وهو قوله:

وإن وزُن الحصى فوزنت قومي ... وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فهذا النوع الثاني وهو أجود من الأول، للطف موقعه. والنوع الثالث شبيه بالتصدير، وهو دون صاحبه إلاّ أن قدامة لم يجعل بينهما فرقاً... وأنشد للعباس بن مرداس:

همُ سوّدوا هجناً وكل قبيلة ... يبيّن عن أحسابها من يسودها

وقد حكي أن ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس رضي الله عنه فابتدأ ينشده:

* تـشطّ غـداً دار جـيـرانـنـا *

فقال ابن عباس:

* ولـلـدار بـعـد غـد أبـعـد *

فقال له عمرو: هكذا صنعت! فأنت ترى كيف طبق المفصل، وأصاب شاكلة الرّوي.

٣٦٨ - سوق المعلوم مساق غيره

هو (تجاهل العارف) و(تجاهل العارف ومزج الشك باليقين) وهذه التسمية (سوق المعلوم مساق غيره) منسوبة للسكاكي الذي نقل عنه قوله: لا أحب تسميته بالتجاهل، لوروده في كلام الله تعالى[1].

ويكون لنكته كالتوبيخ في قول الخارجية:

أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فإنها علمت أن الشجر لا علم له بابن طريف ولا بهلاكه، فتجاهلت وأظهرت أنها كانت تعتقد علمه بابن طريف ومآثره، وأنه يجزع عليه كغيره جزعاً يوجب ذبوله، وألاَّ يخرج ورقه. فلما أورق وبَّخته على إخراج الورق وأظهرت أنها حينئذ تشك في جزعه. فإذا كان الشجر يوبخ على عدم الجزع فأحرى غيره. فالتجاهل هنا المؤدي إلى تنزيل ما لا يعلم منزلة العالم صار وسيلة للتوبيخ على الإيراق، ووسيلة إلى أن مآثره بلغت إلى حيث يعلم الجمادات.

وكالمبالغة في المدح في قول البحتري:

ألمع برقٍ سرى أم ضوء مصباح ... أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

(١) لم أجد ذكر هذه العلة في مفتاح العلوم. انظر صفحة ٢٧٧.

وكالمبالغة في الذم في قول زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصنٍ أم نساء

وكالتدلّه في الحب، أي التحير والدهش، كما في قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وكالتحقير في قوله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الكفار: «هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد». كأنهم لم يكونوا يعرفون منه إلاّ أنه رجل ما. وكقولك لمعروف: ما هذا؟ إشارة إلى أنه أحقر من أن يعرف!.

وكالتعريض في قوله تعالى: «وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين». وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أُخرى، وهي أنه يبعث المشركين على الفكر في حال أنفسهم وحال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض، وسبي ذراريهم، واستباحة أموالهم، وقطع الأرحام، وإتيان الحرام، وقتل النفوس، وشرب الخمر، وفكروا فيما عليه النبيّ عليه السلام والمؤمنون من صلة الأرحام، واجتناب الآثام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإطعام المساكين وبر الوالدين، والمواظبة على عبادة الله تعالى علموا أن النبيّ عليه السلام والمسلمين على الهدى، وأنهم على الضلالة بعثهم ذلك على الإسلام، وهذه فائدة عظيمة.

وانظر (تجاهل العارف) وقد سبق في باب الجيم.

٣٦٩ - المساواة

عند قدامة، من نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهي عنده أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه. وهذه

هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلًا، فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي مساوية لها، لا يفضل أحدهما على الآخر. وذلك مثل قول امرىء القيس:

فـإن تكتموا الـداءَ لا تخفه وإنْ تبعثـوا الحـربَ لا نقعُـدِ
وإنْ تـقـتـلونـا نـقـتِّـلكُـمُ وإنْ تـقصـدوا لـدمٍ نـقصِـدِ
وأعـددتُ لـلحـرْب وثـابـة جـواد الـمـحـشـة والـمـرْودِ

ومثل قول زهير:

ومهما يكنْ عند امرىء من خليقة وإنْ خالها تخفَى على الناسِ تُعْلم

و(المساواة) عند البلاغيين هي (المساواة) عند قدامة، فقد عَرفوها بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضهما عن بعض.

والمساواة هي المذهب المتوسط بين (الإيجاز) و(الإطناب). ومما في القرآن من المساواة قول الله تعالى «حورٌ مقصورات في الخيام» أي: محبوسات على أزواجهنّ. وقوله تعالى «ودّوا لو تُدْهِن فيدهنون»[1] وقوله تعالى «ولا يحيقُ المكرُ السّيّء إلا بأهله».

ومنها في الشعر قول النابغة:

فإنك كالليل الـذي هو مُـدركي وإنْ خلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ

والمعتبر في (المساواة) عُرْفُ أوساط الناس الذين لم يرتقوا إلى مرتبة البلاغة، ولم ينحطوا إلى غاية الفهاهة.

وقد عدَّ بعض العلماء (المساواة) ضرباً من ضروب (الإيجاز)، فقالوا

(١) قال في اللسان: عن الفراء (ودوا لو تدهن فيدهنون) بمعنى ودوا لو تكفر فيكفرون. وقيل: ودوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك.

إن من الإيجاز ما لا يكون فيه حذف يقدّر من مفرد ولا جملة، ويقال له (إيجاز البلاغة) وهذا ينقسم عندهم إلى:

١ - ما يساوي لفظه معناه من غير زيادة.
ويُسمىّ هذا النوع عندهم (التقدير).
٢ - وما يزيد معناه على لفظه.
ويسمىّ هذا النوع عندهم (القِصَر).

وانظر (الإيجاز)، وسيأتي في باب الواو.
وانظر (الإطناب) وسيأتي في باب الطاء.
وانظر (التقدير) وسيأتي في باب القاف.
وانظر (القِصَر) وسيأتي في باب القاف أيضاً.

٣٧٠ - التسويَة

يسمىّ التشبيه (تشبيه التسوية) إذا تعدّد «المشبّه» دون «المشبّهْ به»، للتسوية فيه بين مشبهاته. نحو قول الشاعر:

صُدْغُ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي
وثغره في صَفَاءٍ ... وأدمعي كاللآلي

٣٧١ - التسْويَة

من الأغراض التي تخرج إليها صيغة الأمْر عن معناه الأصلي، نحو قوله تعالى «اصبروا أو لا تصبروا».

والفرق بينها وبين الإباحة أن الإباحة يخاطَب بها من يتوهم أن الأمر محظور عليه، فيؤذن له في الفعل، مع عدم الحرج في الترك.

وأما (التسْوية) فيخاطب بها من يتوهم أن أحد الطرفين - من

الفعل والتّرْك - أرجح من الآخر وأنفع له، فيدفع ذلك ويسوّي بينهما، ففي نحو قوله تعالى «قلْ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يُتقَبَلَّ منكم» ربما يتوهم أن الإنفاق طوعاً مقبول دون الإكراه، فسوّى بينهما في عدم القبول.

وانظر (الإباحة) وقد سبقت في باب الباء.

وانظر (التخيير) وقد سبق في باب الخاء.

٣٧٢ - المستوي

إذا كان التركيب في الجناس بحيث لو عكس حصل المعنى بعينه فإنه يسمى (المستوي)، ويسمى أيضاً «ما لا يستحيل بالانعكاس» نحو «كلٌّ في فَلَك» ونحو «وربك فكبّر» ومثل قول الشاعر:

مــودتــه تــدوم لِــكــلِّ هــول   وهــل كــلٌّ مــودتــه تــدوم؟

باب الشين

٣٧٣ - الإشباع والتأكيد

تقول العرب: «عشرة وعشرة فتلك عشرون» وذلك زيادة في التأكيد.

ومنه قوله جلّ ثناؤه: «فصيامُ ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم، تلك عشرة كاملة». وإنما قال هذا النفي احتمال أن يكون أحدهما واجباً، إمّا ثلاثة وإما سبعة، فأكد، وأزيل التوهم، بأن جمع بينهما.

ومن هذا الباب قوله جلّ ثناؤه: «ولا طائر يطير بجناحيه»، إنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تسمي الإسراع طيراناً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلما سمع هيعة طار إليها»[1].

وكذلك قوله تعالى: «يقولون بألسنتهم» فذكر الألسنة لأن الناس يقولون: «قال في نفسه كذا». قال الله جلّ ثناؤه: «ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول»، فأعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس.

وانظر (الصاحبي) لأحمد بن فارس ٤٦٢.

٣٧٤ - شبه كمال الانقطاع

من مواضع (الفصل). ويكون بين الجملتين إذا كان عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى يوهم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود، ويسمى الفصل لذلك (قطعاً)، لقطعه توهم خلاف المراد، نحو قوله:

وتــظن سلمى أنني أبغي بــهــا　　　بــدلاً، أراهــا في الضــلال تهيمُ

فجملة «تظن سلمى» وجملة «أراها» متفقتان في الخبرية، وبينهما مناسبة ظاهرة، وهي اتحاد المسندين فيهما، لأن «أراها» بصيغة البناء للمجهول شاع استعماله بمعنى الظن. أو كون المسند إليه «محبوباً» في الأولى و«محبّا» في الثانية. ولا مانع من العطف، إذ لو عطفت الثانية على الأولى لكان المعنى: تظن سلمى كذا، وأظنها كذا. وهذا المعنى صحيح ومراد للشاعر.

لكنه ترك العطف لئلا يتوهم السامع أنها معطوفة على جملة «أبغي» فتكون من مظنونات سلمى. والمعنى حينئذ: إن سلمى تظن أنني أبغي بها بدلاً، وتظن أيضاً أنني أراها تهيم في الضلال. وليس هذا مراد الشاعر.

ويحتمل أن تكون جملة «أراها» استئنافاً. أي أنها جواب لسؤال اقتضته الجملة الأولى. فكأنه قيل: كيف تراها في هذا الظن؟ فقال: أراها تهيم في أودية الضلال! فيكون الفصل حينئذ سببه (شبه كمال الاتصال) - وسيأتي.

وإنما يشبه هذا النوع بكمال الانقطاع، لأن في كليهما مانعاً من العطف ،إلا أن المانع في كمال الانقطاع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلا، وهو كون إحدى الجملتين خبرية، والثانية إنشائية، أو لا جامع بينهما.

أما (شبه كمال الانقطاع) فالمانع فيه خارجي عن ذات الجملتين، وهو إيهام خـلاف خلاف المقصود، فهو عارض يمكن دفعه بنصب قرينة.

٣٧٥ - شبه كمال الاتصال

من مواضع (الفصل) بين الجملتين، ويكون ذلك إذا كانت الجملة الثانية جوابا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى، ويسمى الفصل لذلك (استئنافاً) وكذلك تسمّى الجملة الثانية (استئنافاً) أو (مستأنفة) نحو قول الشاعر:

لمْ تَمتْ أنتَ، إنّما مات مَنْ لمْ   يُبْقِ في المجد والمحامد ذِكْرَا

واختلف في علّة الفصل فيه:

فذهب القزويني إلى أن الموجب للفصل بين الجملتين هو تنزيل الأولى في منزلة السؤال المقدّر، لكونها مقتضية له، فتعطى بالنسبة إلى الثانية حكم السؤال بالنسبة إلى الجواب، أي تفصل الثانية عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال - ويفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من كمال الانقطاع، إذ السؤال إنشاء، والجواب خبر، أو لما بينهما من الاتصال والربط الذاتي المنافي للعطف.

ومذهب السكاكي أن السؤال الذي تقتضيه الأولى وتدل عليه بالفحوى، ينزّل منزلة السؤال المحقّق المصرّح به. وتجعل الثانية جواباً عن ذلك السؤال، فتقطع حينئذ عن الأولى، إذ لا يعطف جواب سؤال على كلام آخر.

فعلى مذهب القزويني: الجملة الأولى نزّلتْ منزلة السؤال المقدّر، فالثانية جواب لها. وعلى مذهب السكاكي: السؤال المقدر هو الذي نزّل منزلة السؤال المحقّق، فالثانية جواب للسؤال المقدّر.

وعلى كلا الرأيين فالتنزيل لنكتة، كأن يراد إغناء السّامع عن أن يَسأل إراحة له، أو تعظيما، أو يُراد ألا يسمع منه شيء كراهية لكلامه أو تحقيراً له. أو ألا ينقطع كلام المتكلم بكلامه، أو التنبيه على فطانته، وأن المقدّر عنده كالمذكور، أو التنبيه على بلادته، وأنّه لا يفهم إلّا بالصراحة، أو القصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وذلك بسبب تقدير السؤال وترك العطف.

وانظر (الاستئناف) وقد سبق في باب الهمزة.

٣٧٦ - التشابه

التشبيه الجاري على الأصل، أو التشبيه المطرد: هو ما يلحق فيه الأدنى بالأعلى، والمجهول بالمعلوم، والخفي بالجلي، والناقص بالكامل.

والأصل في ذلك اعتبار وجه الشبه الذي يكون أوضح وأتم في المشبه به منه في المشبه.

كما أن التشبيه المقلوب هو ما عكست فيه هذه الأمور، فيدعي أن العلم والجلاء والكمال متوافرة في المشبه على درجة أتم من توافرها في المشبه به، للمبالغة في وصف المشبه به بالأوصاف التي أريد إثباتها له، حتى يخيل أنه أصل يقاس عليه ويلحق به.

وقد لا تراد المفاضلة بين الشيئين في صفة من الصفات، ولكن يراد إثبات أن أحدها مثل الآخر، لا يزيد عنه ولا ينقص. وهذا ما يسميه البلاغيون: (التشابه) ويعزلونه عن (التشبيه).

فإذا أريد الجمع بين شيئين في أمر من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصاً والآخر زائداً، سواء وجدت الزيادة والنقصان أم لم يوجدا فالأحسن ترك التشبيه، لأن الغرض أنه لم يقصد إلحاق الناقص بالزائد، فلا يؤتى بصيغة في التشبيه المقتضية لذلك احترازاً عن ترجيح أحد المتساويين عن الآخر، لأن في التشبيه ترجيح المشبه به على المشبه. وإنما قلنا إن «التشابه» يقتضي التساوي، لأن تشابه زيد وعمرو قضية تنحلُّ في المعنى إلى قولنا: زيد يشبه عمرا، عمرو يشبه زيداً. فيكونان متساويين فيصير مضمون التشابه التساوي، وصار الكلام لمجرد الجمع الذي هو أعم من التفاوت.

وفي التشابه يترك التشبيه، ويعدل عن صيغته إلى الحكم بالتشابه بأن يؤتى بما يدل على التشابه والتساوي. وذلك بأن يعبر بالتفاعل المقتضي لحصول مدلوله من الجانبين، فيكون كل من الأمرين مشبها ومشبها به، فلا يكون من التشبيه السابق المقتضي لتعين المشبه من المشبه به. قيل: وشرط ذلك كون الفعل لازماً كتشابها وتماثلا، وأما إن كان متعدياً أفاد التشبيه،

كيشبه كذا، أو يماثل كذا. وإنما يعدل إلى الحكم بما يدل على التماثل، لكونه هو المدعى المراد. كقول أبي اسحاق الصابي:

تشابه دمعي إذ جرى ومُدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت جفوني أم من عَبرتي كنت أشرب

لما اعتقد التساوي بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه...

ومن التشابه قول الصاحب بن عباد:

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ويجوز عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر التشبيه أيضاً، لأنهما وإن تساويا في وجه الشبه بحسب قصد المتكلم، إلا أنه يجوز له أن يجعل أحدهما مشبهاً به لغرض من الأغراض وسبب من الأسباب، مثل زيادة الاهتمام، وكون الكلام فيه، كتشبيه غرة الفرس بالصبح، وتشبيه الصبح بغرة الفرس؛ متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه من غير قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ونحو ذلك، إذ لو قصد ذلك لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً به، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوّة، أو الدينار الخارج من السكة، كما قال:

وكأن الشمس المنيرة دينا رٌ جَلَتْهُ حدائدُ الضّرابِ

وتشبيه المرآة المجلوّة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس، متى أريد استدارة متلألىء متضمن الخصوص في اللون، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة، ونور الشمس، ونور المرآة والدينار، وبين الجرمين، فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه. وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلَم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز:

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقومِ

فإنه تشبيه حسن مقبول، وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز في الامتداد والانبساط شديدا.

٣٧٧ - تشابه الأطراف

قال ابن أبي الإصبع: هذا الباب انفرد الإجدابي أبو إسحاق صاحب «كفاية المتحفظ» في اللغة باستنباطه، وسماه تسمية غير هذه هذه التسمية فإنه سماه (التسبيغ) فلما تدبرت شواهده لم أجدها تطابق تسميته، لأن أصل التسبيغ في اللغة: الطول، ومن ذلك قولهم: درع سابغة، إذا كانت طويلة الأذيال، والتسبيغ في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء وهو من الأول، وعلى هذا لا تكون تسمية أبي إسحاق لائقة بمسمى الباب.

وإذا سمعت ما أنشده بالباب علمت صحة ما قلت، فإنه أنشد في الباب قول ليلى الأخيلية في الحجاج بن يوسف:

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلامٌ إذا هز القناةَ سقاها
سقاها فروّاها بشرب سجاله دماء رجال يجلبون صداها

وقد كنت رأيت في شعر أبي نواس ما يدخل في هذا الباب، ورأيته أكثر بديعاً، لكونه شعر مولد، والأول أجزل، وهو:

خزيمة خير بني خازم وخازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما مثل تميم في بني آدم
إلا البهاليل بني هاشم وهم سيوف لبني هاشم

والبيتان الأولان أردت لأنهما من شواهد هذا الباب، وقد تبين ما أراده، وأن التسمية لا تليق بما أتى به من الشواهد، ولم أظفر من

الكتاب العزيز في هذا الباب إلا بقوله تعالى: «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي» فالحظ تشابه أطراف هذه، الجمل لتقدر هذا النظم قدره.

(بديع القرآن) ٢٣٠

٣٧٨ - التشبيه

هو الإخبار بالشبه، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر، ولا يستوعب جميع الصفات، أو هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه. أو هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه.

وللتشبيه تعريفات كثيرة لا تخرج في جوهرها عن مثل ما مرّ، ومنها ما ذكره عبدالقاهر في «أسرار البلاغة»، وهو أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكمًا من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور في أنها يفصل بها بين الحق والباطل، كما تفصل بالنور بين الأشياء، وهذا التعريف يبين وظيفة التشبيه وعمله، أكثر مما يدل على حقيقته وحدِّه.

والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً. وكثير من العلماء ينظرون إلى المعنى اللغوي للتشبيه، وهو التمثيل، لأن أهل اللغة يقولون: شبهته إياه، وشبهته به، تشبيها: مَثّلْتُه، فيجعلون التشبيه والتمثيل مترادفين، ومن هؤلاء ابن الأثير الذي ينعي على علماء البيان أنهم قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا منفردا، ولهذا بابا منفردا، وهما شيء واحد في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال مثلته به، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه؟.

قال قدامة: إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه، ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها. وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد.

ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمي، يذم صوت جرع رجل قراه اللبن:

فعبّ دخـالاً جـرْعُـه متـواتـر كوقع السحاب بالـطِّراف الممدَّدِ

فهذا المشبِّه إنما شبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذي من أدم. ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف، وكان اختلافها إنما هو بحسب الأجسام التي يحدث الأصوات اصطكاكها فليس يدفع أن اللبن وعصب المريء اللذين حدث عن اصطكاكها، صوت الجرع قريب الشبه من الأديم الموتر والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما، صوت المطر.

وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجاد قول جبهاء الأشجعي في تشبيه صوت حلب عنز بصوت الكير إذا نفخ:

كـان أجيج الكيـر إرزام شُخْبِها إذا امتاحها في محلب الحي مائح

وقد قال أوس بن حجر: يشبه ارتفاع أصواتهم في الحـرب تارة، وهمودها وانقطاعها تارة، بصوت التي تجاهد أمر الولادة:

لـنـا صـرخـة ثـم إسكـاتـة كـمـا طـرقت بـنفـاسٍ بـكـرْ

ولم يرد المشبه في هذا الموضع نفس الصوت وإنما أراد حاله في أزمان

مقاطع الصرخات، وإذا نظر في ذلك وجد السبب الذي وفق بين الصوتين واحدا وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد بالصرخة. ومن جيد التشبيه قول الشمّاخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب:

تلوذ ثعالب الشرفين منها كما لاذ الغريم من التّبيع

وقد يختلف اللوذان بحسب اختلاف اللائذين، فأما التَّبِيع فهو مُلحٌّ في طلب الغريم لفائدة يرومها منه، والغريم بحسب ذلك مجتهد في الروغان واللواذ خوفاً من مكروه يلحقه، وكذلك الثعلب والعقاب سواء، لأن العقاب ترجو شبعها، والثعلب يخاف موته.

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن، فمنها أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة، كما قال امرؤ القيس:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تتفُلِ

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء، وذلك أن مخرج قوله: «له أيطلا ظبي» إنما هو على أن له أيطلين كأيطلي ظبي، وكذا «ساقان كساقي نعامة وإرخاء كإرخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل».

ومنها أن يشبَّه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير، وذلك كما قال امرؤ القيس:

وتعطو برخص غير شَثْنٍ كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسْحِلِ

ومنها أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال، كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيّها:

ومسرودة السّكِّ موضونة تضاءل في الطيِّ كالمِبْرَدِ

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال:

تفيض على المرء أردانها كفيض الأتيِّ على الجدجد

وكما قال يزيد بن الطّثْرِيّة يشبه رأسه في حال كون الجمة عليه وبعد حلق ثور أخيه إياها:

فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت   عليها عقاب ثم طارت عقابها

فقد أحسن يزيد في هذا البيت، حيث تصرف فيه في التشبيه، وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلق بالصخرة، وذلك أنه قريب منها في الضخامة والملاسة واللون المائل إلى الخضرة.

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقا واحدة في تشبيه شيء بشيء، فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي أخذ فيها عامة الشعراء مثال ذلك: أن أكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض، كما قال سلامة بن جندل:

كأن النعام باض فوق رءُوسهم   بنهي القذاف أو بنهي مُخفِّق

وقال معقِّر البارقي:

كأن نعام الدوِّ باض عليهمُ   وأعينهم تحت الحبيك الجواحِرُ

وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه. قالِ أبو شجاع أحد بني سلامان بن مفرِّج من الأزد:

فلم أر إلا الخيل تعدو كأنما   سنَّورُها فوق الرءُوس الكواكبُ

وربما كان الشعراء يأخذون في تشبيه شيء بشيء، والشبه بين هذين الشيئين من جهة ما، فيأتي شاعر آخر بتشبيهه من جهة أخرى، فيكون ذلك تصرفاً أيضا. مثال ذلك أن جُلَّ الشعراء يشبهون الدرع بالغدير الذي تصفِّقه الرياح كما قال أوس بن حجر:

وأملس حَوْليًّا كَنِهْي قرارة   أحسّ بقاعٍ نفحَ ريحٍ فأجْفَلاَ

وقال آخر:

وعليَّ سابغة الذيول كأنها سوْق الجنوب جناب نهي مُفْرِط

وكثير من الشعراء ينحون في تشبيه الدروع هذا المنحى، وإنما يذهبون إلى الشكل، وذلك أن الريح تفعل بالماء في تركيبها إياه بعضاً على بعض ما يشبهه في حال التشكيل، بحال الدروع في مثل هذا الشكل، فقال سلامة بن جندل، عادلاً عن تشبيه الشكل إلى تشبيه اللين، وذلك أن اللين من دلائل جودة الدرع، لصغر قتيرها وحلقها:

فألقوا لنا أرسان كل نجيبة وسابغة كأنها متنُ خِرْنِق

وقال يذكر بريقها، وهو وجه غير الوجهين الأولين:

مداخَلةٍ من نسج داود سكُّها كمنكِبِ ضاحٍ من عماية مشرقِ

وقال أبو هلال العسكري: يصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد، مثل قولك: وجهك مثل الشمس ومثل البدر وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوهما ولا عظمهما، وإنما شبهه بهما لمعنى يجمعهما وإياه وهو الحسن. وعلى هذا قول الله عز وجل: «وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام» وإنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها، لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها. ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هوهو.

والتشبيه على ثلاثة أوجه:

فواحد منها تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون مثل: تشبيه الليلة بالليلة، والماء بالماء، والغراب بالغراب، والحرة بالحرة.

والآخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل، كتشبيه الجوهرة بالجوهرة، والسواد بالسواد.

والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما، كتشبيه البيان بالسحر، والمعنى الذي يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك. وتشبيه الشدة بالموت، والمعنى الذي يجمعهما كراهية الحال، وصعوبة الأمر.

وأَجْوَدُ التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه:

أحدها: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وهو قول الله عز وجل: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء» فأخرج ما لا يُحَسُّ إلى ما يُحَسُّ. والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتوهَّم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة. ولو قال: يحسبه الرائي ماء لم يقع موقع قوله (الظمآن) لأن الظمآن أشد فاقة إليه، وأعظم حرصاً عليه.

والوجه الآخر: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى: «وإذ نَتَقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة» والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة.

والوجه الثالث: إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها. فمن هذا قوله عز وجل: «وجنة عرضها السموات والأرض» قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعرف بها، والجامع بين الأمرين العظم. والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة.

والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، كقوله عز وجل: «وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام» والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.

وعلى هذا الوجه يجري أكثر تشبيهات القرآن، وهي الغاية في الجودة، والنهاية في الحسن.

وقد جاء في أشعار المحدثين تشبيه ما يرى بالعيان بما ينال بالفكر،

وهو رديء، وإن كان بعض الناس يستحسنه، لما فيه من اللطافة والدقة.
وهو مثل قول الشاعر:

وكنت أعزَّ عزاً من قَنُوعٍ يعوِّضه صَفُوحٌ من مَلُولِ
فصرت أذل من معنى دقيق به فقر إلى فهم جليلِ

وكقول الآخر:

ونَدمان سقيت الراح صرفا وأفق الليل مرتفع السُّجوفِ
صَفَتْ وصفت زجاجتها عليها كمعنى دقّ فيَ ذهن لَطِيفِ

فأخرج ما تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه، وما يعرف بالبيان إلى ما يعرف بالفكر. ومثله كثير في أشعارهم.

قال: والتشبيه بعد ذلك في جميع الكلام يجري على وجوه. منها تشبيه الشيء بالشيء صورة مثل قول الله عز وجل: «والقمرَ قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» أخذه ابن الرومي فقال في ذم الدهر:

تأتي على القمر الساري نوائبه حتى يُرى ناحلاً في شخص عُرجونِ

وأين يقع هذا من لفظ القرآن؟

ومنها تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً، كقول الله عز وجل: «كأنهن الياقوت والمرجان» وقوله تعالى: «كأنهن بيض مكنون».

ومنها تشبيهه به لوناً وسبوغاً، كقول امرىء القيس:

ومشدودة السّكِّ موضونة تضاءلُ في الطَيِّ كالْمِبَردِ
تفيض على المرء أردانها كفيض الأتيِّ على الجُدْجُدِ

ومنها تشبيهه به لوناً وصورة. كقول النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيكةٍ بردٍ أُسِفَّ لِثَاتُه بالإثمد
كالأقحوان غَداةَ غبِّ سمائه جفتْ أعاليه وأسفله ندِ

شبه الثغر بالأقحوان لوناً وصورة، لأن ورق الأقحوان صورته كصورة الثغر سواء، وإذا كان الثغر نقياً كان في لونه سواء.

ومما يتضمن معنى اللون وحده قول الأعشى:

وسبيئة مما تُعَتِّقُ بابل كدم الذبيح سلبتُها جريالها

ومنها تشبيهه به حركة، وهو قول عنترة:

غَرِداً يحك ذراعَه بذراعه قدْح المكبِّ على الزناد الأجذم

وقال ابن رشيق: إن التشبيه على ضربين، والأصل واحد. فأحدهما التقدير، والآخر التحقيق.

فالذي يأتي على التقدير: التشبيه من وجه واحد دون وجه.

والذي يأتي على التحقيق: التشبيه على الإطلاق.

وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين، كقولك: العسل في حلاوته كالصبر في مرارته، أو كالخل في حموضته. قال أبو الحسن الرمّاني: وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقييد وتفسير.

ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول إبراهيم بن المهدي للمأمون يعتذر:

لئن جحدتك معروفاً مَنَنْتَ به إني لفي اللؤم أحظى منك في الكرم

وكذلك قول أبي نواس:

أصبح الحسن منك يا أحسن الأمّـ ـة يحكي سماحة ابن حبيش

يريد أن هذا غاية كما أن ذاك غاية...

(العمدة) ١/ ٢٠٠

وقال صاحب البرهان: إن التشبيه ينقسم قسمين:

(١) تشبيه للأشياء في ظواهرها وألوانها وأقدارها، كما شبهوا اللون بالخمر، والقد بالغُصْن، وكما شبه الله النساء في رقة ألوانهن بالياقوت، وفي نقاء أبشارهن بالبيض. قال تعالى: «كأنهن بيض مكنون».

(٢) ومنه تشبيه في المعاني، كتشبيههم الشجاع بالأسد، والجواد بالبحر، والحسن الوجه بالبدر. وكما شبه الله أعمال الكافرين في تلاشيها مع ظنهم أنها حاصلة لهم بالسراب الذي اذا دخله الظمآن الذي وعد نفسه به لم يجده شيئاً. وكما شبه من لا ينتفع بالموعظة بالأصم الذي لا يسمع ما يخاطب به. وشبّه من ضل عن طريق الهدى بالأعمى الذي لا يبصر ما بين يديه.

وهذا كثير في القول وفي القرآن والشعر...

(البرهان) **٥٩**

٣٧٩ - تشبيه شيئين بشيئين

خصّه ابن حجة الحموي بفصل خاص، فقال: هذا النوع أعني (تشبيه شيئين بشيئين) من المحاسن العزيزة الوقوع، بخلاف كبيرة العدد في التشبيه، فإن ذلك نوع (اللّفّ والنّشر) أحق به.

ومما حُكي عن بشَّار بن برد أنه قال: ما زلت منذ سمعت قول امرىء القيس في وصف العقاب:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّابُ والحشف البالي

لا يأخذ مني الهجوع حسداً له إلى أن قلت في وصف الحرب:

كأنّ مُثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوت كواكبه

قال ابن حِجّة: ومما يعجبني في هذا الباب إلى الغاية قول ابراهيم بن سهل الإشبيلي:

كأن القلب والسلوان ذهن يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التي لا تدرك في هذا الباب - وأنا أستغفر الله - قولي من قصيدة:

وحمرة الخدّ أبدت خيط عارضه فخلت كأسَ مُدام وهو مشعور

وانظر (خزانة الأدب) ١٨٩.

٣٨٠ - المتشابه

من جناس التركيب، وهو أن يتفق اللفظان المتجانسان اللذان أحدهما مفرد والآخر مركب في الخط.

وسميٍّ متشابهاً لتشابه اللفظين في الكتابة، كما تشابها في أنواع الاتفاقات الأخرى غير الاسمية والفعلية والحرفية، وذلك كقول أبي الفتح البستي:

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

فإن (ذاهبة) الأول مركب من (ذا) بمعنى صاحب و(هبة) وهي فِعلة من وهب، والثاني مفرد إذ هو اسم فاعل المؤنث من ذهب. وكتابتهما متفقة في الصورة، فالجناس بينهما متشابه.

وانظر (المرفوّ) وقد تقدم في باب الراء.

وانظر (المفروق) وسيأتي في باب الفاء.

٣٨١ - المشابهة

مما ألحقه البلاغيون بالجناس. والمقصود بها ما يشبه الاشتقاق - وسيأتي - وليس به، بل هو اشتقاق أكبر، أي اتفاق في الحروف فقط من غير اشتراط الترتيب نحو قوله تعالى: «اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة

الدنيا من الآخرة» وقوله تعالى: «قـال إني لعملكم من القالين» وقولـه تعالى: «وجنى الجنَّتَين دانٍ . .»

٣٨٢ - المشجَّر

هو نوع من النظم يُجْعَل في تفرُّعه على أمثال الشجرة. وسمي مشجّراً لاشتجار بعض كلماته ببعض، أي تداخلها. وكل ما تداخل بعض أجزائه في بعض فقد تشاجر.

والمشجَّر هو : أن ينظم البيت الذي هو جذع القصيدة، ثم يفرع على كل كلمة منهُ تتمة له من نفس القافية التي نظم بها، وهكذا من جهتيه اليمنى واليسرى، حتى يخرج منه مثل الشجرة. وإنما يشترط فيه أن تكون القطع المكملة كلها من بحر البيت الذي هو جذع القصيدة، وأن تكون القوافي على رويّ قافيته أيضاً، وهو من عمل رجال الصنعة المتأخرين عن القرن الحادي عشر. وكان أدباء ذلك القرن يسمون بالمشجر هذا النوع المعروف اليوم بالمطرّز.

ولعل أخذ هذه التسمية مما يسمونه بشجرة النسب، إذ هما متشابهان في الوضع متفقان على الجملة في الترتيب، وهذه الكلمة «شجرة النسب» كانت مستعملة في القرن الرابع وما بعده، بدليل وجود بعض كتب في الأنساب مسماة بهذا الاسم. . . وانـظر (تأريخ آداب العرب للرافعي) ٤٤٥/٢.

٣٨٣ - شجاعة العربية

هي (الالتفات) وسيأتي في باب اللام. قالوا: إنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام. وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه

غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه. وكذلك هذا **(الالتفات)** في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات. ذكر ذلك ابن الأثير - (المثل السائر) **٢٢٥**.

٣٨٤ - الشرط

الشرط في عرف أهل العربية قيد كحكم الجزاء. فقولك: «إن جئتني أكرمتك» بمنزلة قولك: أكرمك وقت مجيئك إلي.

ولا يخرج الكلام بهذا التقييد عما كان عليه من الخبرية أو الإنشائية، بل إن كان الجزاء خبراً فالجملة الشرطية خبرية كما في المثال السالف. وإن كان الجزاء إنشاءً فالجملة إنشائية نحو: «إن جاءك زيد فأكرمه».

وعند المنطقتيين أن كلا من الشرط والجزاء خارج عن الخبرية، واحتمال الصدق والكذب. وإنما الخبر هو مجموع الشرط والجزاء المحكوم به بلزوم الثاني للأول. فإذا قلت: إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، فعند أهل العربية (النهار) محكوم عليه، (موجود) محكوم به، والشرط قيد له.

وعند المنطقيين المحكوم عليه الشرط، والمحكوم به هو الجزاء، ومفهوم القضية عندهم الحكم بلزوم الجزاء للشرط. وعند أهل العربية ثبوت الجزاء على تقدير ثبوت الشرط.

وانظر (إنْ) وقد سبقت في باب الهمزة.

وانظر (إذا) وقد سبقت في باب الهمزة أيضاً.

وانظر (لوْ) وستأتي في باب اللام.

وانظر (تقييد المسند) وسيأتي في باب القاف.

٣٨٥ - التشريع

انظر (ذوات القوافي) وقد سبقت في باب الذال.

٣٨٦ - التشريع

هو (التوشيح) وسيأتي في باب الواو.

٣٨٧ - الاشتراك

عن ابن فارس: معنى (الاشتراك) أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله جل ثناؤه: «فاقذفيه في اليمّ فلْيُلقه اليمّ بالساحل» فقوله: «فليلقه» مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنه قال: فاقذفيه في اليمّ يلقه اليمّ. ومحتمل أن يكون اليمّ أُمر بإلقائه.

ومنه قولهم: أرأيت؟ فهو مرة للاستفتاء والسؤال، كقولك: أرأيت إن صلىّ الإمام قاعداً، كيف يصلي من خلفه؟

ويكون مرة للتنبيه، ولا يقتضي مفعولاً، قال الله جلّ ثناؤه: «أرأيت إن كذَّب وتولّى ألم يعلم بأن الله يرى»؟ ومن الباب قوله: «ذرني ومن خلقتُ وحيدا» فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جلّ ثناؤه، لأنه انفرد بخلقه، ومحتمل أن يكون خلقته وحيداً فريداً من ماله وولده..

[الصاحبي ٢٢٥]

قال ابن رشيق: والاشتراك أنواع: منها ما يكون في اللفظ، ومنها ما يكون في المعنى.

فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء:

أحدهما: أن يكون اللفظان راجعين إلى حدّ واحد، ومأخوذين من حد واحد، فذلك اشتراك محمود وهو (التجنيس).

الثاني: أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين، أحدهما يلائم المعنى الذي أنت فيه، والآخر لا يلائمه، ولا دليل فيه على المراد. كقول الفرزدق:

وما مثلُه في الناس إلا مملّكاً ... أبو أمّه حيٌّ أبوه يقاربه

فقوله «حَيّ» يحتمل القبيل، ويحتمل الواحد الحيّ.

وهذا الاشتراك مذموم قبيح.

ومنه المليح الذي يحفظ كقول كثيّر في قوله يشبب:

لَعَمري لقد حبّبت كل قصيرة   إليّ وما يدري بذاك القصائرُ
عنيت قصيراتِ الجمال ولم أُرد   قصار الخُطا شرُّ النساء البحاترُ

فأنت ترى فطنته لما أحسّ بالاشتراك كيف نفاه، وأعرب عن معناه الذي نحا إليه.

النوع الثالث: ليس من هذا في شيء، وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها. ولا يسمى تناوله سرقة، ولا تداولها اتّباعا، لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر، فهي مباحة غير محذورة، إلّا أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى، أو تفيد فائدة، فهناك يتميز الناس، ويسقط إسم الاشتراك الذي يقوم به العذر، ولو غيرت اللفظة، وأتى بما يقوم مقامها، كقول ابن أحمر:

بمقلَّص دَرَك الطريدَةَ متنهُ   كصفَى الخليقة بالفضاء الُملْبَدِ

فقوله (دَرَكَ الطريدة) وقول الأسود بن يعفُر:

بمقلّص عَتِدٍ جهيرٍ شدُّه   قيد الأوابد والرهان جواد

جميعا، كقول امرىء القيس:

* بمنجرد قيد الأوابد هيكل *

والاشتراك في المعاني نوعان:

أحدهما: أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما، فيتباعد اللفظان، وذلك هو الجيّد المستحسن، نحو قول امرىء القيس:

كبكْر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير محلّل

وقول غيلان ذي الرّمّة:

نجلاء في بَرَجٍ صفراء في نعج كـأنهـا فضــة قـد مسَّهـا ذهب

فوصفها جميعاً لوناً بعينه، فشبه الأول بلون بيضة النعام. وشبه الثاني بلون الفضة قد خالطهاالذهب، يسيراً: ولذلك قال «قد مَسّها».

والنوع الثاني على ضربين:

أحدهما: ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثـور والحمـار، والحسن بالشمس والقمر، والشجاع بالأسد وما شابه ذلك، لأن الناس كلّهم، الفصيح والأعجم، والناطق والأبكم فيه سواء، لأنّا نجده في الخليقة أولاً.

والآخر: ضرب كان مخترعاً، ثم كثر حتى استوى فيه الناس، وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول، نحو قولهم في صفة الخدّ كالورد، وفي القدّ كالغصن، وفي العين كعين المهاة من الوحش، وفي العنق كعنق الظبي، وكإبريق الفضة أو الذهب. فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعـاً، ثم تساوى الناس فيه، إلا أن يولّد أحد منهم فيه زيادة، أو يخصـه بقرينـة، فيستوجب بها الانفراد من بينهم. ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح، والذكاء بشواظ النار...

(العمدة) ٢ / ٨٠

٣٨٨ - المشترك

هو اللفظ الذي لا يدل على معنى بعينه. فقد يريد الأديب الإبانة عن معنى، فيأتي بألفاظ لا تدل عليه خاصة، بل تشترك معه فيها معان آخر، فلا يعرف السامع أيها أراد.

وربما استبهَمَ الكلام في نوع من هذا الجنس، حتى لا يوقف على معناه إلا بالتوهم.

فمن الجنس الأول قول جرير:

لـو كنت أعلم أن آخر عهـدكم   يوم الرحيـل فعلتُ ما لم أفعـلِ

فوجه الاشتراك في هذا الباب أن السامع لا يدري إلى أي شيء أشار من أفعاله في قوله «فعلت ما لم أفعل» أأراد أن يبكي إذا رحلوا؟ أو يهيم على وجهه من الغمّ الذي لحقه؟ أو يتبعهم إذا ساروا؟ أو يمنعهم من المضيّ على عزمة الرحيل؟ أو يأخذ منهم شيئاً يتذكرهم به؟ أو يدفع إليهم شيئاً يتذكرونه به؟ أو غير ذلك مما يجوز أن يفعله العاشق عند فراق أحبته، فلم يُبِن عن غرضه، وأحوج السامع إلى أن يسأله عمّا أراد فعله عند رحيلهم.

وليس هذا كقولهم «ولو رأيت عليّا بين الصفّين» لأن دليل البسالة والنكاية في هذا الكلام بيِّـن، وأمارة النقصان في بيت جرير واضحة، فمن يسمعه ـ وإن لم يكن من أهل البلاغة ـ يستبرده ويستغثه، ويسترجع الآخر ويستجيده.

ومثل ذلك قول سعد بن مالك الأزديّ:

فإنك لو لاقيتَ سعدَ بنَ مـالكٍ   للاقيت منه بعض ما كان يفعلُ

فلم يُبن عمّا أراد بقوله «يلقى» أخيراً أراد أم شرّا؟ إلّا أن يسمع ما قبله أو ما بعده، فيتبين معناه. وأما في نفس البيت فلا يتبين مغزاه.

ومثله قول أبي تمام:

وقمنا فقلنا بعـد أن أفرد الثـرى   بـه ما يقـال في السحابـة تُقلِعُ

فقول الناس في السحاب إذا ما أقلع على وجوه كثيرة، فمنهم من يمدحه، ومنهم من يذِمّه، ومنهم من كان يحب إقلاعه، ومنهم من يكره انقشاعه، على حسب ما كانت حالاتـه عندهم ومـواقعه منهم. فلم يُبن بقوله: «ما يقال في السحابة تقلع» معنى يعتمده السامع.

وأبين منه قول مسلم بن الوليد:

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... أثنى عليها السهل والأوعار

على أن المحتجّ له لو قال: إن أكثر العادة في السحاب أن يحمد أثره، ويثني عليه بعده، لما كان مبعداً.

قال أبو هلال: ولم أرد عيب أبي تمام، وإنما أردت الإخبار عن وجوه الاشتراك، وذكر ما يتشعب منه، وما يقرب من بابه، وينظر إليه من قريب أو بعيد.

وأما ما يستبهم فلا يعرف معناه إلّا بالتوهم فهو مثل قول أبي تمام:

جهمية الأوصاف إلّا أنهم ... قد لقبوها جوهر الأشياء

فوجه الاشتراك في هذا أن لجهم مذاهب كثيرة وآراء مختلفة متشعبة، لم يدل فحوى كلام أبي تمام على شيء منها يصلح أن يشبه الخمر، وينسب إليه. إلاَّ أن يتوهم المتوهم فيقول: إنه أراد كذا وكذا من مذاهب جَهْم(١)، من غير أن يدل الكلام على شيء بعينه. ولا يعرف معنى قوله: «قد لقبوها جوهر الأشياء» إلّا بالتوهم أيضاً. . (الصناعتين) ٣٤.

٣٨٩ - المشترك

من المعاني هو الذي لا ينفرد أحد منه بسهم لا يساهم عليه، ولا يختص بقسم لا ينازع فيه، كتشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، والبليد البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار، والصّب المستهام بالمخبول في حيرته، والسليم في سهره، والسقيم في أنينه وتألّمه.

(١) هو جهم بن صفوان، زعيم الجهمية، الذين يتفقون مع أهل السنة في القضاء والقدر مع ميل إلى الجبر. ولذلك يضعهم البعض تحت الجبرية، يقولون بخلق القرآن، وينفون صفات الباري ورؤيته، وغير ذلك من مقالاتهم.

قال القاضي الجرجاني في «الوساطة» فتلك أمور متقررة في النفوس، متصوّرة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم، والحكم بالسرقة في هذا منتفية، والأخذ بالاتّباع مستحيل ممتنع.

وانظر (المبتذل من المعاني) وقد تقدم في باب الباء.

وانظر (المختص من المعاني) وقد تقدم في باب الخاء.

٣٩٠ - التشطير

هو أن يقسم الشاعر بيْتَه شطرين، ثم يصرع كل شطر من الشطرين. ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفاً لقافية الآخر، كقول مسلم بن الوليد:

موفٍ على نهج في يوم ذي بهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

وكقول أبي تمام:

تدبيرُ معتصم بالله منتقِمٍ لله مرتقب في الله مرتغب

٣٩١ - التشطير

عند أبي هلال العسكري: وهو أن يتوازن المصراعات والجزآن، وتتعادل أقسامهما، مع قيام كل واحد منهما بنفسه، واستغنائه عن صاحبه.

ويكون في المنظوم كما يكون في المنثور. ومثاله من النثر قول بعضْهم: «مَن عتب على الزمان طالت معتبته، ومن رضِيَ عن الزمان طابت معيشته». وقول الآخر: «رأسُ المداراة تركُ المماراة».

فالجزآن من هذه الفصول متوازنا الألفاظ والأبنية.

وأما مثاله من المنظوم فكقول أوس بن حَجر:

فتحــدِرُكمْ عبسٌ إلينا وعــامــرٌ   وتــرفعنــا بكــرٌ إليكمْ وتـغلِبُ

وقول ذي الرُّمّة:

استحدث الركبُ عن أشياعهم خبراً   أمْ راجعَ القلبَ من إطرابه طربُ؟

وقول الآخر:

فـأمّـا الــذي يُحصيهمُ فمكثِّـرٌ   وأمّــا الــذي يُـطريهمُ فـمقـلِّلُ

. . . وكقول البحتري:

إذا اسودّ فيه الشكُّ كان كـواكباً   وإن سار فيه الخطبُ كان حبائلا

لأذْكرْتَه بـالرُّمـحِ ما كـان ناسياً   وعلّمته بالسيف مـا كان جـاهلا

فمن كان منهم ساكتاً كنت ناطقاً   ومن كان منهم قائلا كنت فاعلا

وكقول أبي هلال:

وعلى الـرُّبا حُلَلٌ وشَـاهنَّ الحَيَا   فـمسَـهَّـمٌ ومـعـصَّـبٌ ومـفـوَّفُ

والبرقُ يلمعُ مثـلَ سيفٍ يُنتضى   والسّيلُ يجري مثل أفْعَى تزحفُ

والقطرُ يهمي وهو أبيضُ نـاصعٌ   ويصيـرُ سيـلاً وهـو أغبـرُ أكلفُ

٣٩٢ - المشطور

من التصريع، أن يكون التصريع في البيت مخالفاً لقافيته، فمن ذلك قول أبي نواس:

أَقِلْنِي قـد نـدمتُ على ذنــوبي   وبـالإقـرار عُــذْتُ من الجحـودِ

فصرَّع بحرف الباء في وسط البيت، ثم قفّاه بحرف الدّال.

(المثل السائر ١/٣٤١)

وهذا هو (التجميع) عند قدامة، وقد سبق في حرف الجيم.

٣٩٣ - الاشتقاق

ألحقه البلاغيون بالجناس، وهو عند السّابقين منهم جناسٌ أيضاً، بل إن قدامة بن جعفر يقصر اسم (التجنيس) عليه، ويسميّ الجناس التامّ (مُطابقاً).

والاشتقاق أن يكون اللفظان مشتقين من أصل واحد.

والمراد بالاشتقاق هنا الاشتقاق الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق، وهو (الاشتقاق الأصغر) الذي يفسّر بتوافق الكلمتين في الحروف الأصول مع الترتيب، والاتفاق في أصل المعنى. فخرج بذلك (الاشتقاق الأكبر) مثل الثلْب، والثلْم.

وخرج به أيضاً (الاشتقاق الكبير) مثل الجذْب، والجبْذُ.

واشتراط الاتفاق في أصل المعنى هنا ليخرج به (الجناس التامّ) لأن المعنى فيه مختلف. ولذا لم يكن هذا (الاشتقاق) في حقيقته جناساً، بل ملحقاً بالجناس، لأنه لا بد في الجناس من اختلاف معنى اللفظين.

ومثله قوله تعالى «فأقِمْ وجهَك للدِّين القيِّم» فإن «أقِمْ» مع «القيّم» مأخوذان من «القيام»، أو من «قام، يقومُ»، ففيهما الأصول من الحروف، مع الترتيب، والاتفاق في أصل المعنى.

ومنه قوله تعالى «فرَوْح ورَيْحان وجنّة نعيم». وقول النبيّ صلى الله عليه وسلّم «الظلم ظلماتٌ يوم القيامة». وقول الشافعي رضي الله عنه، وقد سئل عن النّبيذ: «أجمع أهل الحرمين على تحريمه». وقول أبي تمام:

* فيا دمعُ أنجِدْني على ساكِني نجْدِ *

وقول البحتري:

يَعْشَى عن المجد الغَبِيُّ ولن ترى في سُؤْدَدٍ أرَباً لغير أريبِ

٣٩٤ - المشْتَق

وهو فن من البديع، استخرجه أبو هلال العسكريّ، وهو عنده على وجهين:

(١) فوجهٌ منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ:

وذلك مثل قول الشاعر في رجل يقال له «ينخاب»:

* وكيفَ ينجحُ مَنْ نصف اسمه خابا *

وقوله في «البانياس»:

في البانِياسِ إذا أُوطئتَ ساحَتِها ... خوفٌ وحيفٌ وإقلالٌ وإفلاسُ

وكيف يَطمع في أمْنٍ وفي دَعَةٍ ... مَنْ حلّ في بلدٍ نصف اسمه ياسُ

(٢) والوجه الآخر أن يشتق المعنى من اللفظ:

وذلك مثل قول أبي العتاهية:

حُلِقتْ لحيةُ موسى باسمة ... وبِهَارُونَ إذا ما قُلبَا!

وقال ابن دريد:

لو أُوحِيَ النحوُ إلى نِفْطَوَيْهِ ... ما كانَ هذا النحوُ يُقْرا عليهِ

أحرقَه الله بنصْفِ اسمِهِ ... وصيّر الباقي صُراخاً عليْهِ!

٣٩٥ - التشكك

عند ابن رشيق هو (تجاهل العارف) عند ابن المعتز، وهو (تجاهل العارف ومزج الشكّ بالقيقين) كما سمّاه أبو هلال العسكري. وهو (سوق المعلوم مساق غيره) عند السكاكي، وقَدْ مرّ كل ذلك في بابه.

قال ابن رشيق: وهو من مُلَح الشعر وطُرف الكلام. وله في النفس حلاوة وحسن موقع، بخلاف ما للغلوّ والإغراق.

وفائدته الدلالة على قرب الشبهين، حتى لا يفـرق بينهما، ولا يميّـز أحدهما من الآخر.

وقد سبقت أمثلة هذا الفن من المنظوم والمنثور في تلك الأبواب.

٣٩٦ - التشكيك

وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب، هل هي حشو أو أصليّة لا غنى للكلام عنها.

وذلك مثل قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا إذا تداينتُمْ بدَيْنٍ إلى أجلٍ مسمّىً فاكتبوه». . الآية. فإن لفظه «بدَيْنٍ» - الجارّ والمجرور - تُشكك السّامع، هل هي فضلة؟ إذ لفظة «تداينتمْ» تغني عنها أم هي يُحتاج إليها؟

والجواب أنها أصلية، لأن لفظة الدَّين لها محامل في اللسان، تقول: داينتُ فلاناً المحبّة، يعني جازيتُه. ومنه «كما تَدينُ تُدانُ» كما قال رؤبة بن العجاج:

داينْتُ أَرْوَى والـديـونُ تُقْضَى فمـطلَتْ بعضـاً وأدّتْ بعضَـا

وكلّ هذا هو الدَّيْن المجازي الذي لا يكتب به، ولا يُشهدُ عليه ولا فيه.

ولما كان المراد في الآية تبين الدَّين الذي يكتب عليه وفيه، وتبين الأحكام المتعلقة به، وما ينبغي أن يعمل فيه، أوجبت البلاغة أن يقول سبحـانه «بـدَيْن»: معناه يكتب بـه ويشهـد عليـه، ليقـول بعـد ذلـك «فاكتبوه» فيعود الضمير عـلى الدين المخصـوص الذي يكتب، لا عـلى مطلق الدَّين لذي يدلّ عليه «تداينتم». والمصادر تأتي في موضع لبيـان النوع، كقولك ضربتُ ضرباً شديداً، فإنك إنمـا جئت بالمصـدر لتصفه بالشّدّة، لتبين نوع الضّرب، فإن الضرب يكون شديداً، ويكون غير ذلك،

ولم تردْ أن تخبر بوقوع الضرب منك، فإن ذلك عُلِم منك من قولك «ضربت».

٣٩٧ - التشكيك

هناك نوع آخر من التشكيك. وهو أن يأتي المتكلم بجمل من المعاني، معطوف بعضها على بعض (بأوْ) التي للتشكيك خاصة، لا التي للتخيير، ولا التي للإباحة. كقوله تعالى «ومن أظلم مّمن افترى على الله كذباً أو قال أُوحِيَ إلّي ولم يُوحَ إليه شيء».

وكقوله عزَّ وجلّ «أوْ جاء أحد منكم من الغائط أو لا مَسْتم النساءَ»...

(بديع القرآن ٢٨٠).

٣٩٨ - المشكِل

قال ابن فارس: وأما (المشْكل) فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو أن يكون وجيزاً في لفظه غير مبسوط، أو أن تكون ألفاظه مشتركة.

٣٩٩ - الشماتة

قال ابن أبي الأصبع:

ولم أظفر منه في الكتاب العزيز بشيء إلا قوله تعالى لفرعون وقد قال فرعون: «آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل» إلى قوله تعالى: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» إلى قوله تعالى: «وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها. وقيل لهم

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون» وعجز الآية أردتَ وكقوله سبحانه: «هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»

(بديع القرآن ٢٨٢).

٤٠٠ - الاستشهاد والاحتجاج

مما استخرجه أبو هلال العسكري قال: وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى،ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته.

فمثاله من النثر: ما كتب به كافي الكفاة في فصل له: فلا تقس آخر أمرك بأوَّله، ولا تجمع من صدره وعجزه، ولا تحمل خوافي صنعك على قوادمه، فالإناء يملؤه القطر فيُفعَمُ، والصغير يقترن بالصغير فيعظم، والدَّاء يُلِمُّ ثم يَصْطَلِمُ، والجرح يتباين ثم ينفتق، والسيف يَمَسُّ ثم يقطع، والسهم يرد ثم ينفذ.

ومن الاستشهاد قول الآخر:

إنما يعشق المنايا من الأقـ ـوام من كان عاشقاً للمعالي

وكذاك الرماح أول ما يُكـ ـسر منهن في الحروب العوالي

وقال أبو تمام:

همُ مزقوا عنه سبائب حلمه وإذا أبو الأشبال أُحْرِج عاثا

وقال أيضاً:

عتقت، وسيلته وأية قيمة للمشرفي العضب ما لم يعتقِ

وقال أيضاً:

فاضمم قواصيهم إليك فإنه ... لا يزخر الوادي بغير شعابِ
والسهم بالريش اللؤام ولن ترى ... بيتا بلا عمد ولا أطناب[1]

وقول بشار:

فلا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

وقول الفرزدق:

تصرَّمَ مني وُدُّ بكر بن وائل ... وما كاد لولا ظلمهم يتصرمُ
قوارصُ تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيُفْعمُ

(الصناعتين ٤١٧).

قلت ما مثل به أبو هلال لما سماه (الاستشهاد والاحتجاج) لا يبعد عما مثل به قدامة وغيره (للتمثيل)، بل إن أبا هلال نفسه ذكر في آخر هذا الباب أن أكثر هذه الأمثلة تدخل في التشبيه أيضاً، فتأمل!.
وانظر(التمثيل) وسيأتي في باب الميم.

٤٠١ - الإشارة

من التجنيس، وهي تجنيس (الرسالة) وقد سبق في حرف الراء.
وتجنيس الإشارة هو الضرب الثاني من الجناس المعنوي، والضرب الأول هو جناس (الإضمار) وسيأتي في حرف الضاد.

قال ابن حجة الحموي في «جناس الإشارة والكناية»: وسبق ورود هذا النوع في النظم أن الشاعر يقصد المجانسة في بيته بين الركنين من

(١) القواصي: البعيدون، زخر: ارتفع ماؤه، الشعاب: الطرق في الجبل، اللؤام الجيد الالتئام، الأطناب: حبال يشد بها سرادق البيت.

الجناس، فلا يوافقه الوزن على إبرازهما، فيضمر الواحد، ويعدل بقولته إلى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر. فإن لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتي بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه. وهذا لا يتفق في الكلام المنثور. والذي يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل، وقد أراد قومها الرحيل عن بني ثهلان، وتوجه منهم جماعة يحضرون الإبل، وهو:

فما مكثنا دام الجمال عليكما بثهلان إلا أن تُشدَّ الأباعرُ

أرادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يُساعدها الوزن ولا القافية، فعدلت إلى مرادفة الجِمال بالأباعر. والذي يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل في امرأته سلمى:

إني أحبك حبا لو تضمنه سلمى سمِيُّك ذاك الشاهق الراسي

فالكناية اللطيفة في سمّيك لأنها أشعرت أن الركن المضمر في سلمى يظهر منه جناس الإشارة بين الركن الظاهر والمضمر في سلمى وسلمى الذي هو الجبل؛ ومثله قول الآخر:

وتحت البراقع مقلوبُها تدب على ورد تلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع. ولا شك أن بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا. ومثله قول الآخر يهجو مغنياً ثقيلا:

قال غنّيت ثقيلا قلت قد غنّيت نفسك!

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن المحلاوي، وهو غاية في هذا النوع:

وبدت نظائر ثغره في قرطه فتشابها متخالفين فأشكلا
فرأيت تحت البدر سالفة الطلا ورأيت فوق الدُّرّ مُسْكرة الطلا

أراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا، فلم يساعده الوزن، فعدل بقوته إلى المسكرة وهي مرادفة السلافة.

٤٠٢ - الإشارة

من الكناية، وهي (الإيماء) وسيأتي في باب الواو.

٤٠٣ - الإشارة

من أصناف الدلالات، ذكرها الجاحظ، قال: فأما الإشارة فباليد وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف. وقد يتهدَّد رافع السيف والسّوط، فيكون ذلك زاجراً ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه.

وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغنى عن الخط. وبعد، فهل تعدو الإشارة أن تكون صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها؟. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة... وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة مذعور ولم تتكلمِ
فأيقنتُ أن الطرف قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيِّمِ

وقال الآخر:

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه
وفي الناس من الناس ... مقاييس وأشباه
وفي العين غنى للمر ... ء أن تنطق أفواه

وقال آخر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت. فهذا أيضاً باب تتقدم فيه الإشارة الصوت.

والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف. وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدلِّ والشكل، والتقتُّل والتثني[1]، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور.

(البيان والتبين ١/ ٧٩).

وانظر (الدلالة) وقد تقدمت في باب الدال.

٤٠٤ - الإشارة

عند قدامة، هي إيجاز القصر (في باب القاف) عند غيره، وهي من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى، وهي أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها، كما قال بعضهم ــ وقد وصف البلاغة ــ فقال: هي لمحة دالة. وذلك مثل قول امرىء القيس:

فإن تهلكْ شنوءة أو تبدّل   فسيري إن في غسان خالا
بعزِّهم عززتِ وإن يذّلوا   فذلُّهمُ أنالك ما أنالا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال، فمن ذلك قوله «تهلك أو تبدّل» ومنه قوله «إن في غسان خالا» ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل، وهو قوله «أنا لك ما أنالا» ومثل قول طرفة:

موضوعها زوْل ومرفوعها   كمرِّ غيث لَجِب وسْط ريحْ

(١) التقتل بالقاف: الاختيال والتثني والتكسر في المشي.

فقوله «زول» مشارٌ به إلى معان كثيرة وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء واختصاره: عجيب. ومثل قول اسماعيل بن يسار:

هاج ذا القلبَ من تذكر جُمْلٍ ما يهيج المتيّمَ المحزونا

فقد أشار هذا الشاعر بقوله: «ما يهيج المتيم المحزونا» إلى معان كثيرة.

ومثل قول امرىء القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرْيٍ غير كزٍّ ولا وانِ

فقد جمع بقوله «أفانين جري» على ما لو عُدَّ لكان كثيرا، وضم إلى ذلك أيضا جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس، وهو قوله «قبل سؤاله» أي يذهب في هذه الأفانين طوعا من غير حثٍّ، وفي قوله «غير كزّ ولا وان» ينفي عنه أنه يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة والونى من قبيل الاسترخاء والفترة.

والإشارة عند أبي هلال: هي أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة بإيماء إليها، ولمحة تدل عليها، وذلك كقوله تعالى: «إذ يغشى السدرة ما يغشى». وقول الناس: لو رأيت عليا بين الصفين، في حث وإشارة إلى معان كثيرة.

وأخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر الصولي قال: أخبرنا الخَزَنْبلُ، قال: لما ولّـى المهتدي بالله وزارته سليمان بن وهب قام إليه رجل من ذوي حرمته، فقال: أعز الله الوزير، خادمك المؤمل لدولتك، السعيد بأيامك المنطوي القلب على مودتك، المبسوط اللسان بمدحتك، المرتهن الشكر بنعمتك، وإنما أنا كما قال القيسي: ما زلت أمتطي النهار إليك، وأستدل بفضلك عليك، حتى أجنني الليل، فقبض البصر، ومحا الأثر، قام بدني، وسافر أملي، والاجتهاد عذر، وإذا بلغتك فقدني. فقال سليمان: لا بأس

عليك،فإني عارف بوسيلتك محتاج إلى كفايتك، ولست أؤخر عن يومي هذا توليتك بما يحسن عليك أثره، ويطيب لك خيره إن شاء الله.

فقوله «وإذا بلغتك فَقَدني» إشارة إلى معان كثيرة يطول شرحها... (الصناعتين ٣٤٨).

قال ابن رشيق: والإشارة من غرائب الشعر وملحه، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملا، ومعنى بعيد من ظاهر لفظه، فمن ذلك قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا   لكان لكل منكرة كفاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه، وهذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة، وقول الآخر:

جعلت يديَّ وشاحاً له   وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذا النوع من الشعر هو (الوحي) عندهم. وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

جعلنا السيف بين الخدِّ منه   وبين سواد لِمّته عذارا

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على كيفيتها، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه، ويروى بين الجِيد. ومثله قول الآخر:

ويوم يُبيل النساء الدِّماء   جعلت رداءك فيه خمارا

يريد بالرداء الحسام، كما قال متمم بن نويرة:

لقد كفَّن المنهال تحت ردائه   فتى غير مبطان العشيات أروعا

وقوله إنه جعله خمارا، أي قنعت به الفرسان، وأشار بقوله «يبيل النساء الدماء» إلى وضع الحوامل من شدة الفزع. ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبنا ممذوقا:

* جاءوا بمذقٍ هلْ رأيت الذئب قطْ *

فإنما أشار إلى تشبيه لونه، لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذئب.

ومن أنواع الإشارة (التفخيم) و(الإيماء) فأما التفخيم فكقول الله تعالى: «القارعة ما القارعة»! وقال كعب بن سعيد الغنوي:

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته ولا ورِعٌ عنـد اللقـاء هَيُـوبُ

وأما الإيماء فكقول الله عز وجل «فغشيهم مَن اليم ما غشيهم» فأومأ إليه، وترك التفسير معه. وقال كثير:

تجـافيتِ عني حين لا ليَ حيلةٌ وخلَّفتِ ما خلَّفتِ بين الجوانحِ

فقوله «وخلفت ما خلفت» إيماء مليح. ومثله قول ابن ذريح:

أقول إذا نفسي من الوجدْ أصعدتْ بهـا زفرة تقتـادني هي مـا هيـا

ومن أنواعها (التعريض) كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

في فتيـة من قريش قـال قائلُهم ببـطْن مكة لمـا أسلموا: زولـوا

فعرّض بعمر بن الخطاب، وقيل بأبي بكر، رضي الله عنهما، وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم تعريض مدح، ثم قال:

يمشون مشي الجمال الزُّهر يعصمُهمُ ضـرب إذا عرَّد السـود التنابيـلُ

فقيل إنه عرّض في هذا البيت بالأنصار، فغضبت الأنصار، وقال المهاجرون: لم تمدحنا إذ ذممتهم، حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها:

من سـرَّه كرم الحيـاة فـلا يـزل في مقنب من صـالحي الأنصار

ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الأسدي لبشر بن مروان يمدحه ويعرِّض بكلف كان بوجه أخيه عبدالعزيز، حين نفاه من مصر على يد نصيب الشاعر مولاه:

كأن التاجَ تاجَ بني هرقل جَلَوْه لأعظم الأعياد عيدا
يصافح خد بشرٍ حين يمسي إذا الظلماء باشرت الخدودا

فهذا من خفي التعريض، لأنه أوهم السامع أنه إنما أراد المبالغة بذكر الظلماء لا سيما وقد قال «حين يمسي» وإنما أراد الكلف. هكذا حكت الرواة.

ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل: «ذق إنك أنت العزيز الكريم» أي الذي كان يقال له هذا أو يقوله، وهو أبو جهل، لأنه قال: ما بين جبليها - يعني مكة - أعز مني ولا أكرم. وقيل: بل ذلك على معنى الاستهزاء به.

ومن أنواعها (التلويح) كقول المجنون قيس بن معاذ العامري:

لقد كنت أعلو حبّ ليلى فلم يزل بيَ النقض والإبرام حتى علانيا

فلوّح بالصحة والكتمان، ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا.

وإياه قصد أبو الطيب بعد أن قلبه ظهراً لبطن، فقال:

كتمت حبك حتى منك تكرمةً ثم استوى فيك إسراري وإعلاني
لأنه زاد حتى فاض عن جسدي فصار سقمي به في جسم كتماني

إلا أنه أخفاه وعقده كما ترى، حتى صار أحجية يتلاقاها الناس.

ومن أجود ما وقع في هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل:

تقاعس حتى قلت ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بآيب

«الذي يرعى النجوم» يريد به الصبح، أقام مقامه الراعي الذي يغدو فيذهب بالإبل والماشية، فيكون حينئذ تلويحه هذا عجبا في الجودة.

وأما من قال: إن الذي يرعى النجوم إنما هو الشاعر الذي شكا السهر وطول الليل فليس على شيء.

ومن أنواع الإشارات (الكناية والتمثيل) كما قال ابن مقبل - وكان جافيا في الدين يبكي أهل الجاهلية، وهو مسلم - فقيل له في ذلك، فقال:

وما لِيَ لا أبكي الديار وأهلَها ... وقد رادها رُوّادُ عَكٍّ وحِمْيَراً
وجاء قطا الأحباب من كل جانب ... فوقّع في أعطاننا ثم طيّرا

فكنى عما أحدثه الإسلام، ومثّل كما ترى.

ومن أنواعها (الرمز) كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسُبِيَتْ:

عَقَلْتُ لها من زوجها عدد الحصى ... مع الصبح أو معْ جنح كل أصيلِ

يريد أني لم أعطها عقلا ولا قودا بزوجها إلا الهمَّ الذي يدعوها إلى عدِّ الحصى. وأصله من قول امرىء القيس:

ظللت ردائي فوق رأسي قاعدا ... أعدُّ الحصى ما تنقضي عبراتي

ومن مليح (الرمز) قول أبي نواس يصف كئوساً ممزوجة فيها صور منقوشة:

قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مها تدَّريها بالقسى الفوارسُ
فللخمر ما زُرَّتْ عليها جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ

يقول إن حد الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكئوس إلى التراقي والنحور، وزيد الماء فيها مزاجا، فانتهى الشراب إلى فوق رءوسها.

ويجوز أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت. والأول أملح، وفائدته معرفة حدها صِرفاً من معرفة حدها ممزوجة. وهذا عندهم مما سبق إليه أبو نواس. وأرى والله أعلم أنه إنما تحلّق هذا المعنى من قول امرىء القيس:

فلما استطابوا صبّ في الصّحن نصفه ووافي بماء غير طَـرْقٍ ولا كَدْرِ

وأصل (الرمز) الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار (الإشارة).

وقول الفرَّاء: الرمز بالشفتين خاصة.

ومن الإشارات (اللمحة) كقول أبي نواس يصف يوماً مطيرا:

وشـمـسـه حـرَّة مـخـدَّرة ليس لهـا في سمـائهـا نـور

فقوله (حرة) يدل على ما أراد في باقي البيت إذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء، ولذلك جعلها مخدَّرة، وشأن القيان والمملوكات التبذل والتبرج... (العمدة) ١/ ٢١٠.

ومن الإشارة أيضاً عند ابن رشيق:
اللُّغز: وسيأتي في باب اللام.
واللّحن: وسيأتي في باب اللام.
والتَّعمية: وستأتي في باب العين.
والتورية: وستأتي في باب الواو.
والمصحوبة: وستأتي في باب الصاد.
والحذف: وسبق في باب الحاء.
والتتبيع: وسبق في باب التاء.

باب الصاد

٤٠٥ - المصحوبة

المصحوبة من أقسام (الإشارة) عنـد ابن رشيق. قال وهي عنـد أكثرهم معيبة،كأنها حشو واستعانة على الكلام. نحو قول أبي نواس:

قـال إبـراهـيـم بـالـ ـمـال كـذا غـربـا وشـرقـا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً، ولكن شطارة وعبثاً بالكلام، وإن شئت قلت بياناً وتثقيفاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص: وكيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجتْ عهودهم وأمانتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا.. وشبّك بين أصابع يديه. ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبعد كلاماً منه من الحشو والتكلف.

وقالوا مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت. فهذا باب تتقدم الإشارة فيه الصوت.

وقيل حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، جاء بذلك الرُّمّاني نصا، وقاله الجاحظ من قبل. وأخذ على بعض الشعراء في قوله:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشـارة مـذعـور ولـم تتكـلمِ
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهـلاً وسهـلاً بـالحبيب المتيمِ

إذ كان هذا كله مما لا تحتمله إشارة خائف مذعور.

ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذي الكلاع، فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار بيده إلى معاوية، فإن مات فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى السيف. ثم قال:

معاوية الخليفة لا نماري فإن يهلك فسائسنا يزيدُ
فمن غلب الشقاء عليه جهلا تحكّم في مفارقة الحديدُ

وقد جاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعرا لا قافية له؟ قال نعم. وصنع من فوره ارتجالاً:

ولقد قلت للمليحة قولي من بعيد لمن يحبك (إشارة إلى قبلة)
فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي (إشارة لالا)
فتنفست ساعة ثم إني قلت للبغل ذلك (إشارة امشِ)

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه، وأعطاه الأمين صلة شريفة..

(العمدة) ١/٢١٣.

قلتُ: ما ذكره ابن رشيق في هذا اللون من إشارة يبعد عن الإشارة بمعناها المعروف عند النقاد والبلاغيين، وهو إيجاز العبارة حتى تصير كاللمحة الدالة.

وما ذكره ابن رشيق لا ينطبق إلّا على الحسية، وقد عدها الجاحظ قبله من صنوف البيان.

٤٠٦ - صحة التفسير

من نعوت المعاني عند قدامة، وهي أن يضع الشاعر معاني يريد أن

يذكر أحوالها في شعره الذي يصفه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد أو ينقص، مثل قول الفرزدق:

لقد خنت قوماً لو لجأت عليهم طريدَ دم أو حاملاً ثقل مَغْرَم

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير قال:

لألفيت فيهم معطياً أو مطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوَّم

ففسر قوله «حاملاً ثقل مغرم» بأنه يلقي فيهم من يعطيه. وفسر قوله «طريد دم» بقوله إنه يلقي فيهم من يطاعن دونه ويحميه.

ومثل قول الحسين بن مُطير الأسدي:

فله بلا حزن ولا بمسرة ضحَكٌ يراوح بينه وبكاءُ

ففسّر «بلا حزن» ببكاء، وفسر «ولا بمسرة» بضحك.

وقال صالح بن جناح اللخمي:

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ

وفسر ذلك بأن قال:

ولي فرس للحلم بالحلم مُلْجَمٌ ولي فرس للجهل بالجهل مسرجُ

فلم يزد المعنى ولا نقص منه. ثم فسر البيت الثاني أيضاً، فقال:

فمن رام تقويمي فإني مقوَّم ومن رام تعويجي فإني معوّجُ

وقال سهل بن هارون:

فواحسرتا حتى متى القلب موجع بفقد حبيب أو تعذر إفضال

وفسّر ذلك فقال:

فراق خليل مثله يورث الأسى وخلة حُرٍّ لايقوم بها مالي

(نقد الشعر) ٧٥.

وصحة التفسير عند أبي هلال العسكري: أن يورد المتكلم معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة فيها. كقول الله تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله» فجعل السكون للَّيل وابتغاء الفضل للنهار، فهو في غاية الحسن ونهاية التمام.

ومن النثر ما كتب بعضهم: إن لله عز وجل نعمًا لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لأفنوا أعمارهم قبل قضاء الحق فيها. ولي ذنوب لو فرِّقت بين خلقه جميعاً لكان كل واحد منهم عظيم الثقل منها. ولكنه يستر بكرمه، ويعود بفضله، ويؤخر العقوبة انتظاراً للمراجعة من عبده، ولا يخلي المطيع والعاصي من إحسانه وبرِّه.

فذكر جملتين وهما «نعم الله تعالى» و «ذنوب عبده». ثم فسر كل واحدة منهما مرتين تفسيراً صحيحاً: قوله «يستر بكرمه» راجع إلى الذنوب، وقوله «يعود بفضله» راجع إلى النعم، فاستوفى. ثم قال «ويؤخر العقوبة» فهذا أيضاً راجع إلى الذنوب، وقوله «ولا يخلي المطيع والعاصي من إحسانه وبرِّه» راجع إلى النعم. فهذا تفسير صحيح في تفسير صحيح. (الصناعتين) **٣٤٥**.

وقال ابن رشيق: التفسير هو أن يستوفي الشاعر شرح ما أتى به مجملاً، وقلّما يجيء هذا إلّا في أكثر من بيت نحو قول الفرزدق، واختاره قدامة (لقد خفت قوماً. . البيتين).

هذا جيد في معناه إلّا أنه غريب مريب، لأنه فسر الآخر أولاً، والأول آخراً. فجاء فيه بعض التقصير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أنّ رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام.

قال: وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين، إلّا أنه هو بعينه، ما لم يكن في بيت واحد أو شبيه به.

ومن التفسير الجيد قول حاتم الطائي، ويروي لعتيبة بن مرداس:

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي يجد جُمْع كفّ غير ملأى ولا صفر
يجد فرساً مثل العنان وصارما حساما إذا ما هز لم يرض بالهبر
وأسمر خطياً كأن كعوبه نوى القسْب قد أربى ذراعا على العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين، لأنه لم يعلق كلامه بلو كما فعل الفرزدق، ولا بما يقتضي الجواب اقتضاء كلياً، فلهذا حسن عندي.

قال: ومن التفسير ما يفسِّر الأكثر فيه بالأقل، وهو من باب الإيجاز والاختصار، وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح، نحو قول أبي الطيب:

من مبلغ الأعراب أني بعدها جالست رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتْبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

فقوله «نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأتى فذلك إذ أتيت» تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس.. وقال لقمان لابنه: إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق..

(العمدة) ٢ / ٣١.

وانظر (فساد التفسير) وسيأتي في باب الفاء.

٤٠٧ - صحة المقابلة

من نعوت المعاني عند قدامة: وهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي

المخالف بما يخالف على الصحة. أو يشرط شروطاً، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدّده، وفيما يخالفه بأضداد ذلك، كما قال بعضهم:

فـواعجباً كيف اتفقنا فنـاصـح وفيٌّ ومـطويٌّ على الغِـلّ غـادرُ

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه، حيث قال بإزاء «ناصح» «مطويّ على الغل» وبإزاء «وفيّ» «غادر». ومثل قول الآخر.

تقـاصـرْنَ واحْلَوْلَيْنَ لي ثم إنــه أتت بَعْــدُ أيـامٌ طــوالٌ أمــرتِ

فقابل القصر والحلاوة بالطول والمرارة. ومثل قول الآخر:

وإذا حــديث سـاءني لم أكتئب وإذا حــديث ســرّني لم آشَــرِ

فقد جعل بإزاء «سرني» «ساءني» وبإزاء الاكتئاب الأشر. وهذه المعاني في غاية صحة التقابل. ومثل قول عقيل بن حجاج:

تشتق في حيث لم تبعد مصعدة ولم تصـوّب إلى أدنى مهـاويهـا

فجعل بإزاء «تبعد مصعدة» «أدنى مهاويها». ولو جعل بإزاء الإبعاد في الصعود الهُوِيّ من غير أن يقول «أدنى المهاوي» لكانت المقابلة ناقصة. لكن لما قال «تبعد» قال «أدنى». ولو لم يقل «تبعد» لقُنِعَ منه بأن يقول «تهوي» فقط من غير أن يأتي بالدنوّ. وللطرماح بن حكيم:

أسـرنـاهـم وأنعـمنـا عـليـهـم وأسـقـيـنـا دمـاءهـم التـرْابا
فمـا صبـروا لبـأس عنـد حـرب ولا أدوا لـحـسـن يــد ثــوابــا

فجعل بإزاء أن أسقوا دماءهم التراب وقاتلوهم أن يصبروا، وبإزاء أن أنعموا عليهم أن يثيبوا.

وليست صحة المقابلة عند قدامة مقياساً من مقاييس جودة معاني المنظوم فحسب، بل هي كذلك مقياس لجودتها في المنثور.

ومثل قدامة لصحة المقابلة في المنثور يقول القائل: «أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأفن والغش، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة كمن جمع إلى العجز الخيانة.

فإذا تؤملت هذه المقابلات وجدت في غاية المعادلة، لأنه جعل بإزاء الرأي الأفَن، وبإزاء النصح الغش، وفي مقابلة الكفاية العجز، وفي مقابلة الأمانة الخيانة.

ومثل ذلك قول القائل: «ولو أن الأقدار إذ رمت بك من المراتب إلى أعلاها بلغت بك من أفعال السؤدد إلى ما وازاها، لـوازنت مساعيك مراقيك، وعادلت النعمة عليك النعمة فيك. ولكنك قابلت سموّ الدرجة بدنوّ الهمة، ورفيع الرتبة بوضيع الشيمة، فعاد علوّك بالاتفاق، إلى حال دونك بالاستحقاق، وصار جناحك في الانهياض، إلى مثل ما عليه قدرك من الانخفاض، ولا لوم على القَدَر إذ أذنب فيك فأناب، وغلط بك فعاد إلى الصواب».

وإذا تؤمّلت أجزاء هذا الكلام وجدت متقابلة تقابـل تعديـل في الموافقة والمضادة.

وكذلك قول القائل: «شكرتك يد نالتها خصاصة بعد نعمة، وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة». . .

(جواهر الألفاظ) ٥

وانظر (المقابلة) وستأتي في باب القاف.

وانظر (فساد المقابلات) وسيأتي في باب الفاء.

٤٠٨ - صحة التقسيم

وهي أيضاً من نعوت المعاني عند قدامة. وهي أن يبتدىء الشاعر فيضع أقساماً فيها، ولا يغادر قسمًا منها. مثال ذلك قول نُصَيْب:

فقال فريق القوم: لا، وفريقهم: نعمْ، وفريق قال: وَيْحَك لا أدري!

فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام.

ومثال في ذلك أيضاً قول الشَّمَّاخ يصف سنابك الحمار، وشدة وطئه الأرض:

متى ما تقع أرساغة مطمئنة على حجرٍ يرفَضُّ أو يتدحرجُ

فليس في أمر الوطء الشديد إلّا أن يوجد الذي يوطأ رخوا فيرضُّ، أو صلبا فيدفَع. ومثال ذلك أيضاً قول الأسعر بن حُمْران الجُعْفِيّ يصف فرساً على هيئته من جميع جهاته:

أمّا إذا استقبلتَه فكأنّه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق قموص الوقع عارية النّسَا
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول: هذا مثل سِرْحان الغضا

فلم يدع هذا الشاعر قسمًا من أقسام النَّصبة التي تُرى في الفرس إذا رؤي عليها إلّا أتى به.

وقد يظن ظانّ في قولنا إن هذا الشاعر أتى بجميع الأقسام ليس بحق، أنه إذا كان الفرس أحد الأجسام، وكل جسم فله ست جهات، فإذا ذكرت حال أربع منها بقيت جهتان لم تذكرا. وحلّ هذا الشك إن وقع من أحد هو أن هذا الشاعر إنما وصف فرساً لا جسمًا مطلقاً. وللفرس أحوال يمتنع بها من أن ينتصب كل نِصْبَة. ومع ذلك فإن الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان من الفرس إذا كان على بسيط الأرض، وكان

الرجل قائمًا أو قاعداً، إذ كانت هذه الحال هي التي يرى الإنسان عليها الخيل في أكثر الأمر.

فأما مثل أن يكون الإنسان في عليّة فيرى من الفرس متنه فقط، أو يكون نائمًا فيرى بطنه فقط، فما أبعد ما يقع ذلك، ولم يقصده الشاعر، ولا وجه له في أن يقصده. إذ كان ليس فيما يعرف ويعهد من النظر إلى الخيل إلّا ما ذكره، وهو أن تستقبل أو تستدبر أو تستعرض من أحد الجانبين.

ومثال في هذا الباب أيضاً قول أبي زيد الطائي:

يا أسمَ صبرا على ما كان من حدث إن الحوادث مَلْقِيٌّ ومنتظرُ

فليس في الحوادث إلّا أن تكون قد لُقيت أو يتنظر لَقيها.

(نقد الشعر) **٧٢**.

والتقسيم الصحيح عند أبي هلال العسكري، هو أن تقسّم الكلام قسمة مستوية، تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه.

فمن ذلك قول الله تعالى: «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً». وهذا أحسن تقسيم، لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، ليس فيهم ثالث.

ومن القسمة الصحيحة قول أعرابي لبعضهم: «النعم ثلاث: نعمة في حال كونها، ونعمة تُرْجَى مستقبلة، ونعمة تأتي غير محتسبة، فأبقى الله عليك ما أنت فيه، وحقق ظنّك فيما ترتجيه، وتفضّل عليك بما لم تحتسبه». فليس في أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى هذه الأقسام. ووقف أعرابي على مجلس الحسن، فقال: «رحم الله عبداً أعطى من سَعة، أو آسَى من كَفاف، أو آثر من قلة». فقال الحسن: ما ترك لأحد عذراً!. (الصناعتين) **٣٤١**.

وانظر (التقسيم) وسيأتي في باب القاف.

وانظر (فساد التقسيم) وسيأتي في باب الفاء.

٤٠٩ ـ التصحيف

من التجنيس. ومن العلماء من يسميه (جناس الخط). وهو ما تماثل ركناهُ خطّاً واختلفا لفظا. والمقـدَّم في هذا قوله تعالى: «والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين». أو بعبارة أُخرى، هو أن يتغير الشكل والنقط مثل قوله تعالى: «وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنْعاً».

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «قصِّر ثوبك، فإنه أنقى، وأتقى، وأبقى». وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلاً ينشد على سبيل الافتخار – وقيل سأله عن نسبه – فقال:

إني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعةَ آبائي ولا مضُرِ

فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ذلك والله أَلأَمُ لَجِدِّكَ، وأقلّ لِجَدِّك». ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كنت تاجراً ما اخترت غير العطر، إن فاتني ربحه لم تفتني ريحه». ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته: فأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة أنفس الأموال، كما أن سيوفكم آفة أَنْفُس الأبطال». ومثاله من المنظوم قول الشاعر:

فإن حلُّوا فليس لهم مقرٌّ وإن رحلوا فليس لهم مفرٌّ

ومثله قول أبي فراس:

من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعترف

وقال الحريري في إحدى مقاماته:

زُيّنَتْ زَيْنَبُ بقدٍّ يقدّ وتلاه ويلاه نَهْدٌ يَهُدُّ

وهذا الجناس اجتمع فيه التصحيف والتحريف.

٤١٠ - المصحّفات

هذا النوع يلحق بالصناعات، لأن المدار فيه على القصد والتعمّل، فتجيء بالألفاظ توهم المدح، فإذا صحّفت خرجت ذمّاً وقدحاً، كما تقول: هو كاتب أمين، فإذا صحّفته قلت: هو كاذب أفين، مثلاً. فذلك كالهجو في معرض المدح الذي يعرفه البديعيون. وهو من مستخرجات ابن أبي الأصْبُع، ولكن ذلك في الألفاظ بما يدل ظاهرها وباطنها باعتبار مواقعها في الكلام لا غير، وكان المولى شمس الدين المتوفي في حدود التسعمائة ينظم القصائد العربية والفارسية والتركية، ويمدح بها الأكابر ويرسلها إليهم. وكل قصيدة إذا صحفت من أولها إلى آخرها يحصل منها هجو.

وقد ينظمون الأبيات إذا قرئت صدورها وأعجازها كانت مدحاً. فإذا أفردت الصدور خرجت منها أبيات في الذمّ، وأبيات أُخرى إذا قرئت معكوسة الألفاظ كانت هجاءً، وهي في طردها مديح.

٤١١ - التصدير

عند بعض البلاغيين هو (ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها) وقد سبق في باب الراء.

٤١٢ - صدق الخبر وكذبه

ذهب جمهور العلماء إلى أن الخبر إما صدق وإما كذب، أو هو ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه.

وقد اختلفوا في تفسير الصدق والكذب:

(١) فقيل (صدق الخبر) مطابقة حكمه للواقع، وهو الخارج الذي يكون لنسبة الكلام الخبريّ.

و(كذبه) عدم مطابقته للواقع.

وذلك أن الشيئين اللذين أوقعنا بينهما نسبة كلامية في نحو قولنا «عليٌّ مسافر» أوَ «علي غير مسافر» وهي ثبوت السفر لعلي أو نفيه. إما أن تكون النسبة الخارجية بينهما مطابقة للنسبة الكلامية، ثبوتاً في الأول، وسلباً في الثاني فيكون الخبر (صدقاً) وإما أن تكون إحداهما ثبوتية، والأُخرى سلبية، فيكون الخبر (كذباً).

(٢) وقيل (صدق الخبر) مطابقته لاعتقاد المخبر، ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع. و(كذبه) عدم مطابقته لاعتقاد المخبر، ولو كان مطابقاً للواقع. فقول القائل «السماء تحتنا» معتقداً ذلك (صدق) وقوله «السماء فوقنا» غير معتقد ذلك (كذب).

والمراد بالاعتقاد الحكم الذهني الجازم أو الراجح، فيشمل العلم والظن.

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بقوله تعالى «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» فقد وصفهم الله تعالى بالكذب في قولهم «إنك لرسول الله» لعدم مطابقته لاعتقادهم، وإن كان مطابقاً للواقع.

وردّ هذا الاستدلال بأن المعنى: لكاذبون في الشهادة، وادعاءهم أن هذه الشهادة من صميم قلوبهم. فكأنه قيل لهم: دعواكم أن هذه الشهادة من صميم القلب كذب!

فالتكذيب إذن راجع إلى الشهادة، باعتبار تضمنها خبراً كاذباً غير مطابق للواقع، وهو أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد، بدليل أنّ، واللام، واسمية الجملة.

أو إنهم لكاذبون في تسمية هذه الخبر شهادة، لأنّ الشهادة ما يكون على وفق الاعتقاد. أو لكاذبون في المشهود به، لعدم مطابقته للواقع في اعتقادهم، وإن كان مطابقاً للواقع في نفس الأمر.

وعلى ما تقدّم لا يكون الكذب إلّا بمعنى عدم المطابقة للواقع، ولو بحسب زعم المخبر واعتقاده، فلا دليل لأصحاب هذا القول من الآية الكريمة.

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في الصدق والكذب، وأثبت الواسطة. فصدق الخبر عنده: مطابقته للواقع، مع اعتقاد أنه مطابق.

وكذب الخبر عنده: عدم مطابقته للواقع والاعتقاد معاً.

وما عدا ذلك فليس بصدق ولا كذب. وهو أربعة أحوال:

الأول: ما طابق الواقع، مع اعتقاد عدم المطابقة.

الثاني: ما طابق الواقع، ولا اعتقاد أصلا.

الثالث: ما لا يطابق الواقع، مع اعتقاد المطابقة.

الرابع: ما لا يطابق الواقع، ولا اعتقاد أصلا.

واستدلّ الجاحظ على رأيه بقوله تعالى: «أفْترى على الله كذباً أم به جنّة»؟ لأنّ الكفار حصروا إخبار النبيّ صلى الله عليه وسلم بالبعث في أمرين: الافتراء، والإخبار في حال الجنون.

فيكون الثاني غير الكذب، لأنه قسيمه. وقسيم الشيء ينبغي أن يكون غيره. وغير الصدق، لأنهم يعتقدون عدم صدقه. فمرادهم بكونه خبراً حالَ الجِنّة غير الصدق وغير الكذب. وهم عقلاء من أهل اللسان، عارفون باللغة. فيجب أن يكون من الخبر ما ليس بصدق ولا كذب، حتى يكون هذا منه بزعمهم.

وردّ هذا الاستدلال بأنّ معنى قولهم «أم به جنّة»؟ أمْ لم يَفْتَرِ! فعبّر عن عدم الافتراء بالجنّة، لأن المجنون لا افتراء له. إذ الافتراء هو الكذب عن عمد، ولا عمد للمجنون. فالثاني ليس قسيمًا للكذب، بل لما هو أخصّ منه، وهو الافتراء. فيكون ذلك حصراً للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه: أعني الكذب عن عمد، والكذب من غير عمد.

قال صاحب (البرهان): و(الكذب) إثبات شيء لشيء لا يستحقه، أو نفي شيء عن شيء يستحقه. و(الصدق) ضد ذلك، وهو إثبات شيء لشيء يستحقّه، أو نفيُ شيء عن شيء لا يستحقه.

و(الخُلْف) في القول إذا كان وعداً دون غيره، وهو أن يعمل خلاف ما وعد، فيقال: «أخلف فلان وعده» ولا يقال «كذب».

وقد يخلف الرجل الوعد بفعل ما هو أشرف منه، فلا يقال «أخلف وعده» وذلك كرجل وعد رجلاً بثوب، فأعطاه ألف دينار. وإن كان عمل به خلاف ما وعده. فلا يسمى ذلك مخلفاً لوعده. وبهذا تعلّق من أبطل الوعيد، فزعموا أن الوعد كرم، وأن إخلاف الوعيد عفو وتفضّل. وأنشدوا:

وكنتُ إذا أوعدْتَه أو ووعدْتُهُ لأخلِفَ إيعادي وأنجز موعدي

وانظر (الخبر) وقد تقدّم في باب الخاء.

٤١٣ - التصريحية

الاستعارة، بمعنى اللفظ المستعار، إن كانت مذكورة في نظم الكلام لفظاً أو تقديراً فهي استعارة مصرّحة، أي مصرح بها، ويقال لها (استعارة مصرح بها) على الأصل، و(استعارة تصريحية) نحو «أسد» في قولك: عندي أسدٌ يرمي. ونحو «أسد» المدلول على الجملة الواقع فيها بنعم، الواقعة في جواب من قال: أعندك أسدٌ يرمي؟.

فالأولى استعارة مصرَّحة مذكورة لفظاً. والثانية مصرحة مقدّرة، إذ تقدير الكلام «عندي أسد يرمي» بقرينة السؤال.

وإذا لم يكن اللفظ المستعار مذكوراً سميت الاستعارة (استعارة مكنية) وستأتي في باب الكاف.

٤١٤ - التصْريع

من نعوت القوافي عند قدامة. قال: وهو أن يُقصَد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأوّل من القصيدة مثل قافيتها، فإنّ الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخّوْن ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه. وربمّا صرّعوا أبياتاً أخر من القصيدة بعد البيت الأوّل. وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسَعة بحره. وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحلّه من الشعر، فمنه قوله:

قِفَا نبْكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحوْمَلِ

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات، فقال:

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التّدلّلِ   وإن كنتِ قد أزمعْتِ صَرْمي فأجْمِلي

ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت، فقال:

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلِ   بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

وقال في قصيدة أُخرى أولها:

ألا انْعَمْ صباحا أيها الطّلَلُ البالي   وهل ينعمنْ من كان في العُصُر الخالي

وقال بعد بيتين من هذا البيت:

ديار لسلمى عافياتٌ بذي الخالِ   ألحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هَطّالِ

ثم قال بعد أبيات أخر:

ألا إنني بالٍ على جمل بال   يقود بنا بالٍ ويتبعنا بالِ

وقال في قصيدة أُخرى أولها:

غَشِيتُ ديار الحيّ بالبكراتِ   فَعَارِمَةٍ فبرقة العِيَرَاتِ

وأتى ببيتين ثم قال:

أعِنّي على التّهْيامِ والذّكراتِ ... يبتن على ذي الهمِّ مُعْتكراتِ

وقد سلك هذا السبيل غير امرىء القيس شعراء كثيرون...

ومن الشعراء مَنْ رُبّما أغفل (التصريع) في البيت الأول، فأتى به في بعض الأبيات من القصيدة فيما بعد. قال ابن أحمر الباهلّي قصيدة أولها:

قد بكَرَتْ عاذلتي بُكرَةً ... تزعمُ أني بالصبا مُشْتَهَرْ

فلم يصرع أول القصيدة، وأتى ببيتين بعد الأول، ثم قال:

بل ودعيني طَفْلَ إني بَكُرْ ... وقد دنا الصبح فما أنتظرْ

وقال ابن أحمر أيضاً من قصيدة أولها:

لَعَمْري ما خُلّفْتُ إلا لما أرى ... وراء رجال أسلموني لما بيا

فأتى بالبيت الأول غير مصرع، وقال أبياتاً بعده ثم قال:

فأمسى جنابُ الشَّوْلِ أغبر كابيا ... وأمسى جنابُ الحيِّ أبْلَجَ واريا

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل في باب الشعر، وأخرج له عن مذهب النثر. (نقد الشعر) **٢٣**.

وعقد ابن رشيق باباً سمّاه (بابُ التقفية والتصريع) وقال: هذا باب يشكل على كثير من الناس علمه... فأما (التصريع) فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته، نحو قول امرىء القيس في الزيادة:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... ورسم عَفَتْ آياته منذ أزمانِ

وهي في سائر القصيدة «مفاعلن». وقال في النقصان:

لمن طلل أبصـرتُـهُ فشجـانـي كخط زبـور في عسيب يمـاني

فالضرب «فعولن» والعروض مثله لمكان التصريع، وهي في سائر القصيدة «مفاعلن» كالأولى، فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرع.

قال: واشتقاق التصريع من مصراعي الباب، ولذلك قيل لنصف البيت «مصراع» كأنه باب القصيدة ومدخلها،وقيل هو من الصرعين، وهما طرفا النهار.

قال أبو اسحاق الزجّاج: الأول من طلوع الشمس إلى استواء النهار، والآخر من ميل الشمس عند كبد السماء إلى وقت غروبها. قال شيخنا أبو عبدالله :وهما العصران. وقال قوم: الصِّرْع المثل.

وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية، ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر.

وربما صرع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه. وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع التصريع. وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة إلّا أنه إذا كثر في القصيدة دلّ على التكلف... وإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسوِّر الداخل من غير باب...

(العمدة)١/١١٥.

قال ابن سنان: والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت رويّ القصيدة وقافيتها. ولذلك قال أبو تمام:

وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنما يروقك بيت الشعـر حين يُصَرَّعُ

فأمّا إذا تكرر التصريع في القصيدة فلست أراه مختاراً. وهو عندي يجري مجرى تكرار الترصيع والتجنيس والطباق وغير ذلك.. وإن هذه الأشياء إنما يحسن منها ما قلّ وجرى منها مجرى اللمعة واللمحة. فأما إذا تواتر وتكرّر فليس ذلك عندي مرضياً...

(سر الفصاحة) **٢٢٢**.

وانظر (التقفية) وستأتي في باب القاف.

والنظر (التجميع) وقد تقدم في باب الجيم.

٤١٥ - الصَّرف

قال صاحب البرهان: وأما (الصرف)، فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة، كقوله عزّ وجل: «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»، وكقول الشاعر:

وتلك التي لا وصل إلا وصالها ... ولا صَرْم إلا ما صَرَمْتِ يضير

وقال آخر:

يا لهف نفسي كان جدةُ خاله ... وبياض وجهك للتراب الأعفرِ

(البرهان) ٧٠.

وانظر (الالتفات) وسيأتي في باب اللام.

٤١٦ - التصرف

هو أن يتصرف المتكلم في المعنى الذي يقصده، فيبرزه في عدة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطوراً بلفظ التشبيه، وآونة بلفظ الإرداف، وحينا بلفظ الحقيقة. كقول امرىء القيس يصف الليل:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكلِ

فإنه أبرز هذا المعنى بلفظ الاستعارة، ثم تصرف فيه، فأتى بلفظ التشبيه، فقال:

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدّت بيذبل

ثم تصرف فيه، فأخرجه بلفظ الإرداف، فقال:

كأن الثريا علّقت في مصامها بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمّ جندلِ

ثم تصرف فيه، فعبر عنه بلفظ الحقيقة، فقال:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

وهذا يدل على قوة الشاعر وتمكنه.

٤١٧ - التصريف

ذكره أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في أقسام البلاغة. وهو تصريف المعنى في المعاني المختلفة، لتصريفه في الدلات المختلفة، وهي عقدها به على جهة التعاقب.

فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصرف في مالك وملك، وذي الملكوت، والمليك. وفي معنى التمليك والتمالك، والإملاك، والتملّك، والمملوك.

وهذا (التصريف) يأتي لوجوه من الحكمة، منها:

التصرّف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة.

ومنها تمكين العبرة والموعظة.

ومنها حلّ الشبهة في المعجزة.

٤١٨ - التصريف

انظر (المضارع) وسيأتي في باب الضاد.

وانظر (اللاحق) وسيأتي في باب اللام.

٤١٩ - التصريف

هو من الجناس غير التام. وهو أن تختلف الكلمتان المتجانستان كل منهما عن الأخرى بحرف واحد.

٤٢٠ - الاصطراف

هو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه. فإن صرفه إلى نفسه على جهة المثل سمي هذا (اجتلابا) كما يسمى (استلحاقا) وهذا نحو قول النابغة الذبياني:

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها   تصفّق في راووقها حين تقطب

تمزّزتها والديك يدعو صباحه   إذا ما بنو نَعْشٍ دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال:

وإجّانة ريّا السرور كأنها   إذا غُمستْ فيها الزجاجة كوكبُ

تمزّزتها والديك يدعو صباحه   إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا

وكان أبو عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيبا.

قال ابن رشيق: سمعت بعض المشايخ يقول (الاصطراف) في شعر الأموات مثل (الإغارة) على شعر الأحياء، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله.

٤٢١ - الإصلاح

لا يسمّى سرقة عند العلماء، لأنه قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة.

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي:

لو كان ما تعطيهم من قبل أن تعطيهُم لم يعرفوا التأميلا

وقول ابن نباتة السّعدي:

لم يُبْقِ جُودك لي شيئاً أؤمِّله تركتْني أصحبُ الدنيا بلا أملِ

وشتّان ما بين القولين. ويسمّى هذا أيضاً (تهذيبا).

٤٢٢ - تصوير الشرط

تصوير الشرط في صورة ما لا ينبغي أن يقع إلا على سبيل الفرض والتقدير. وهو من الأغراض البلاغية التي تسوّغ استعمال (إنْ) في حالة الجزم بوقوع الشرط، خلافا للأصل.

وانظر (إنْ) وقد تقدمت في باب الهمزة.

٤٢٣ - صون المسند إليه عن اللسان

وهو من الأغراض البلاغية التي ترجح حذف المسند إليه. وذلك يكون بقصد تعظيم المسند إليه كقولك: «مقرّرٌ للشرائع، وموضح للدليل، فيجب اتباعه» تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تذكره تعظيمًا وصوناً له عن لسانك، وكقول الشاعر:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلّتِ
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زَلّتِ

والبيتان لأبي الأسود الدؤلي يمدح عمرو بن سعيد العاصي.

وكذلك قول الآخر:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزعَ ثاقبه
نجوم سماء كلّما انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

وقد يكون ذلك لتحقير المسند إليه بعدم ذكره، مثل قوله تعالى: «صُمٌّ بكمٌ عمي». وكقول الشاعر:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهَه وليسَ إلى داعي الندى بسريعِ

باب الضاد

٤٢٤ - التّضاد

من وجوه التقابل، مثل الشـريـر للخّـير، والحارّ للبـارد، والأبيض للأسود. ووصف الأشياء بالمتضادّين في آن واحد معيب في الشعر والأدب، وهو من عيوب المعاني.

وانظر (الاستحالة والتناقض) وقد تقدمت في باب الحاء.

٤٢٥ - التضادّ

هو (الطباق) وسيأتي في باب الطاء.

٤٢٦ - التضادّ

من أنواع التقابل.
انظر (الطباق) وسيأتي في باب الطاء.
وانظر (المقابلة) وستأتي في باب القاف.

٤٢٧ - المضادة

قال ابن رشيق: ومن (التصدير) نوع سماه عبدالكريم بن إبراهيم النهشلي (المضادة) وأنشد للفرزدق:

أصدرْ همومَك لا يغلبك واردُها فكـل واردة يـومـا لهـا صَـدَرُ

وخص هذا البيت باسم (المضادة) دون أن يجعله تصديرا. ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومي:

ريحانها ذهب على دُرَرٍ وشرابهم درر على ذهب

قال: والكتّاب يسمون هذا النوع (التبديل) حكاه أبو جعفر النحّاس...

(العمدة) ٢/٦

٤٢٨ - أضرب الخبر

إذا كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبر فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة حذراً من اللغو.

وأضرب الخبر ثلاثة على حسب حال المخاطب.

(١) الضرب الابتدائي: وقد تقدم في باب الباء.

(٢) الضرب الطلبي: وسيأتي في باب الطاء.

(٣) الضرب الإنكاري: وسيأتي في باب النون.

٤٢٩ - المضارع

من الجناس غير التام الذي يختلف اللفظان المتجانسان فيه في أنواع الحروف، واشترطوا في اللفظين إذا اختلفا في نوعية الحروف أن يشتمل كل من اللفظين على حرف لم يشتمل عليه الآخر من غير أن يكون مزيداً، وإلاّ كان من (الناقص).

واللفظان إذا اختلفا في نوعية الحروف على هذا الوجه فلا يكون الإتيان بهما من البديع الجناسي إلاّ بشرط، وهو ألا يقع ذلك الاختلاف

بأكثر من حرف واحد. فإن وقع بأكثر من حرف كاثنين فأكثر لم يكن من التجنيس في شيء، لبعد ما بينهما عن التشابه الجناسي، إذ لولا ذلك لم يخلُ غالب الألفاظ من الجناس.

ويختص باسم (المضارع) ما إذا كان الحرفان المختلفان في اللفظين المتجانسين متقاربين في المخرج، كأن يكونا حلقيين معاً، أو شفويين معاً.

وإنما سمي مضارعاً لمضارعة المباين في اللفظين لصاحبه في المخرج.

والمضارع ثلاثة أقسام، لأن الحرف المباين لمقابله إما أن يكون:

(١) **في أول اللفظين**، نحو قول الحريريّ: بيني وبين كِنيٍّ ليل دامِس، وطريق طامس[١]، فـ «دامس» و«طامس» بينهما تجنيس المضارعة، لأن الطاء والدال المتباينين متقاربان في المخرج، لأنهما من اللسان مع أصل الأسنان.

(٢) **أو في وسط المتجانسين**، نحو قوله تعالى: «وهم يَنْهَوْن عنه وينأوْن عنه» فـ «ينهَوْن» و«ينأوْن» بينهما تجنيس المضارعة، لأن الهاء والهمزة وهما المتباينان في اللفظين متقاربان»، إذ هما حلقيان معاً، وقد وُجِدَا في الوسط.

(٣) **أو في آخر المتجانسين**، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة». فبين «الخيل» و«الخير» تجنيس المضارعة، لتقارب مخرج الرّاء واللام، إذ هما من الحنك واللسان.

وانظر (اللاحق) وسيأتي في باب اللام.

٤٣٠ - ضعف التأليف

مما يُخلُّ بفصاحة الكلام. وهو أن يكون تأليف الكلام على خلاف

(١) الكن بكسر الكاف المنزل، والدامس المظلم، والطامس المطموس العلامات لا يهتدى فيه إلى المراد.

القانون النحوي الذي استمده العلماء مما ألفه العرب في لغتهم، وتداولته ألسنتهم في الكثير الغالب.

وذلك كالإضمار قبل الذكر لفظاً ورتبة في قولك «ضرب غلامُه زيدا» ومن هذا قول حسّان:

ولو أن مجداً خلّد الدّهرَ واحدا من الناس أبقى مجدُه الدهرَ مطعِما

فإن الضمير في «مجدُه» راجع إلى «مُطْعِمًا» وهو متأخر في اللفظ، ومتأخر في الرتبة، لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

ومثله قول الآخر:

جزى بَنُوه أبـا الغِيلان عن كِبَـرٍ وحُسْنِ فعْـل كما يُجْـزى سِنِمَّارُ

فإن أصله «جزى أبا الغيلان بـنُوه » وقد أرجع الضمير في «بنوه» إلى «أبا الغيلان» وهو متأخر في اللفظ كما ترى، ومتأخر في الرتبة، لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح.

٤٣١ - المضاعفة

مما استخرجه أبو هلال العسكري. قال: وهو أن يتضمن الكلام معنيين: معنى مصرّحاً به، ومعنى كالمشار إليه. وذلك مثل قول الله تعالى «ومنهم من يستمعون إليك، أفأنت تسمع الصمَّ ولو كانوا لا يعقلون. ومنهم من ينظر إليك، أفأنت تهدي العُمْيَ ولو كانوا لا يبصرون».

فالمعنى المصرَّح به في هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهدي من عَميَ عن الآيات، وصمّ عن الكلم البينات، بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها. والمعنى المشار إليه أنه فضل السمع على البصر، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل، ومع العمى فقدان النظر فقط.

ومن نثر الكتاب ما كتب به الحسن بنُ وهب: «كتابي إليك، وشطر

قلبي عندك، والشطر الآخر غير خِلْوٍ من تذكرك، والثناء على عهدك. فأعطاك الله بركة وجهك، وزاد في علو قدرك، والنعمة عندك، وعندنا فيك».

فقوله «بركة وجهك» فيه معنيان: أحدهما أنه دعا له بالبركة. والآخر أنه جعل وجهه ذا بركة عظيمة، ولعظمها عدل إليها في الدعاء عن غيرها من بركات المطر وغيره.

ومثله قول أبي العيناء: «سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك». فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبح ردّه. ومن المنظوم قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبَهُمُ قالوا لأمهم بولي على النار

فأخبر عن إطفاء النار فدل على بخلهم، وأشار إلى مهانتهم ومهانة أمهم عندهم. وقول أبي تمام:

يُخرج من جسمك السّقَامَ كما أُخْرج ذمُّ الفعالِ من عنقكْ
يَسحُّ سَحّاً عليك حتى يرى خَلْقَك فيها أصحَّ من خُلُقكْ

فدعا له بالصحة، وأخبر بصحة خلقه. فهما معنيان في كلام واحد. ومن هذا الباب نوع آخر، وهو أن تُورد الاسم الواحد على وجهين، وتضمِّنه معنيين، كل واحد منهما معنى، كقول بعضهم:

أفدي الذي زارني والسيف يخفره ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له حتى لبست نجاداً من ذوائبه

فجعل في السيف معنيين: أحدهما أنه يخفره، والآخر أن لحظه أمضى من مضاربه.

وضرب منه آخر، قول ابن الرومي:

بجهلٍ كجهل السيفِ، والسيفُ منتضًى وحلمٍ كحلْم السيفِ، والسيفُ مغمدُ

وضرب منه قول مسلم:

وخالٍ كخال البدر في وجه مثله لقينا المنى فيه فحاجزنا البذلُ

٤٣٢ - الإضمار

من الجناس المعنوي. و(الجناس المضمر) هو أن يضمر الناظم أحد ركني التجنيس، ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه. فإن تعذر المرادف أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى، كقول أبي بكر بن عبدون المشار إليه، وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها إلى الليل، فصارت خلا.

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها «الصهباء» والشنفرى قال:-

أسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي من بعد حالي لخلُّ

والخل هو الدقيق المهزول، فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران في صهباء وصبهاء وخلّ وخلّ وهما في صدر البيت وعجزه. ومن هنا أخذ الشيخ صفي الدين الحلّي وقال:

وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزنٍ في فتكه بالمعنّى أو أبي هرم

فابن ذي يزن اسمه «سيف»، وأبو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الألفاظ الظاهرة.

٤٣٣ - الإضمار

هو (الحذف) وقد تقدم في باب الحاء.

٤٣٤ - الإضمار

من الجناس المعنوي، وهو قريب من الفن السابق، إلا أن المتكلم هنا يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر. وذلك اللفظ المُضْمَر يراد به غير معناه بدلالة السياق كقول:

منعّم الجسم تحكي الماءَ رقتُه وقلبه «قسوةً» يحكي أبا أوس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب واسم أبيه حَجَر، فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه وهو «حجر» وهو غير مراد. وإنما المراد الحجر المعلوم. وقد ولع به المتأخرون، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زهير:

وجاهلٍ طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي
أبغض للعين من الأقذاء أثقل من شماتة الأعداء
فهو إذا رأته عينُ الرائي أبو معاذٍ أو أخو الخنساء

٤٣٥ - الإضمار على شريطة التّفْسير

ومثاله: أكرمني وأكرمت عبدالله، أي: أكرمني عبدُالله وأكرمت عبدالله.

ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة إذا جاء بعد لو، فإن كان مفعولها أمراً عظيمًا أو غريباً فالأولى ذكره، كقوله:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته عليه، ولكنْ ساحة الصبر أوسعُ

فإن بكاء الإنسان دماً عجيب. وإن لم يكن كذلك فالأولى حذفه، كقوله تعالى: «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» والتقدير: ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم. وكذلك قوله تعالى: «فلو شاء الله لهداكم

أجمعين» وقوله: «فإن يشأ الله يختم على قلبك» و«من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم».

وقد تترك الكناية إلى التصريح، لما فيه من زيادة الفخامة. كقول البحتري:

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجد والمكارم مِثلا

المعنى: قد طلبنا لك مثلاً، ثم حذف لأن هذا المدح إنما يتم بنفي المثل فلو قال: قد طلبنا مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده لكان قد أوقع نفس الوجود على ضمير المثل، فلم يكن فيه من المبالغة ما إذا أوقعه على صريح المثل، فإن الكناية لا تبلغ مبلغ التصريح.

٤٣٦ - ضمير الفصل

يؤتى بعد المسند إليه بضمير فصل لأغراض بلاغية:

منها التخصيص، أي قصر المسند على المسند إليه، حيث لم يكن في الترتيب ما يفيد القصر سوى الإتيان بضمير الفصل. نحو قوله تعالى: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده».

ومنها توكيد التخصيص أي تأكيد قصر المسند على المسند إليه، أو قصر المسند إليه على المسند، حيث كان في التركيب ما يفيد القصر كلام الجنس، نحو «إنه هو التواب الرحيم». ونحو: إنما الكرم هو التقوى. فالأول لتأكيد تخصيص الخبر بالمبتدأ، أي لا تواب إلا الله دون غيره.. والثاني لتأكيد تخصيص المبتدأ بالخبر، أي لا كرم إلا التقوى دون غيرها. ومن هذا قول أبي الطيب:

إذا كان الشباب السكر والشيْـ ـبُ همًّا فالحياة هي الحِمام

أي لا حياة حينئذ إلا الموت، أي أن الإنسان إذا كان في شبابه

كالسكران المسلوب العقل غافلا عن عواقب الأمور، وفي الشيب حزيناً بسبب ضعفه وعجزه عن ضروريات نفسه واكتساباته المنجية له، فلا خير في الحياة، بل هي الموت لا غير، لعدم الانتفاع بها.

٤٣٧ - المضمر

يسمّى التشبيه الذي ذكرتْ فيه الأداة (مُظْهَراً) والذي لم تذكر فيه (التشبيه المضمر).

وهذا التشبيه المضمر الأداة ينقسم أقساماً:

فمنه ما يقع فيه المشبه والمشبه به موقع المبتدأ وخبره المفرد، كقولك: وجهه بدر. ولا يصعب تقدير الأداة.

ومنه ما يقع فيه المشبه موقع المبتدأ، وخبره مضاف ومضاف إليه وهو المشبه به. كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الكمأة جدريّ الأرض». وهذا يتنوع نوعين:

(أ) إذا كان المضاف إليه معرفة كهذا الخبر النبوي، فإنه لا يحتاج في تقدير أداة التشبيه إلى تقديم المضاف إليه، بل إن شئنا قدمناه وإن شئنا أخرْناه، فقلنا: الكمأة للأرض كالجدريّ، أو الكمأة كالجدري للأرض.

(ب) وإذا كان المضاف إليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقرير أداة التشبيه، فمن ذلك قول البحتري:

غمام سحاب لا يُحَبُّ له حياً ومسعر حرب لا يضيع له وِتْرُ

فإذا قدرنا أداة التشبيه هنا قلنا: سماح كالغمام. ولا يقدر إلا هكذا. والمبتدأ في هذا البيت محذوف، وهو الإشارة إلى الممدوح، كأنه قال: «هو غمام سماح» ومن هذا النوع قول أبي تمام:

أي مرعى عينٍ ووادي نسيبِ لَحبَتْهُ الأيامُ في ملْحُوبِ

ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسناً ثم زال عنه حسنه. فقال بأن العين كانت تلتذ بالنظر إليه كالتذاذ السائمة بالمرعى، فإنه كان يشبب به في الأشعار لحسنه وطيبه.

وإذا قدرنا أداة التشبيه هنا قلنا: كأنه كان للعين مرعى، وللنسيب منزلاً ومألفاً... وكقول الفرزدق يهجو جريرا:

ما ضرّ تغلب وائلٍ أهجوتها أم بُلْتَ حين تناطح البحران

فشبه هجاء جريرٍ تغلبَ وائل ببوله في مجمع البحرين، فكما أن البول في مجمع البحرين لا يؤثر شيئاً، فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يؤثر شيئاً. وهو من الأبيات التي أقرّ الناس له بالإحسان فيها. وكذلك ورد قوله أيضاً:

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناءَ فَيُفْعَمُ

فإنه شبه القوارص التي تأتيه محتقرة بالقطر الذي يملأ الإناء على صغر مقداره، يشير بذلك إلى أن الكثرة تجعل الصغير من الأمر كبيراً.

٤٣٨ - التضمّن

من أقسام (الدلالة اللفظية).

انظر (الدلالة) وقد تقدمت في باب الدال.

٤٣٩ -تضمين الكلام

من أقسام البلاغة عند الرماني. وهو حصول معنى في الكلام من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه:

وهو على وجهين:

الأول: ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، كذكرك الشيء بأنه محدث. فهذا يدل على المحدث دلالة الإخبار.

والآخر: التضمين الذي يدل عليه دلالة القياس، فهو إيجاز في كلام الله عزّ وجلّ خاصة، لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دلّ عليها من كل وجه يصح أن يدل عليه. فمن ذلك «بسم الله الرحمن الرحيم» قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرّك به، والتعظيم لله بذكره، وأنه أدب من آداب الدين، وشعار للمسلمين.

٤٤٠ - التّضْمِين

من عيوب الشعر والكلام عند أبي هلال العسكري. وهو أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني، والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير، كقول الشاعر:

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى ... بلَيْلَى العامريّة أو يُراحُ

قَطاةٌ غرّها شركٌ فباتَتْ ... تجاذبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فلم يتم المعنى في البيت الأول، حتى أتمه في البيت الثاني، وهو قبيح.

ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم: «وجعل سيّدنا آخذاً من كل ما دُعِيَ وَيدْعَى به في الأعياد، بأجزلِ الأقسام وأوفر الأعداد».

وقال ابن رشيق: (التضمين) أن تتعلّق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة الذبياني:

وهمْ وردُوا الجفارَ على تميم ... وهمْ أصحاب يومِ عكاظ إنّي

شهِدْتُ لهمْ مواطِنَ صادقاتٍ ... وثقتُ لهمْ بحسْن الظنّ منّي

وكلّما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين. ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير:

ديارُ الّتي تَبّتْ حِبَالِي وصرّمتْ ... وكنتُ إذا ما الحبلُ من خلةٍ صُرِمْ

فزعتُ إلى وجناءَ حَرْفٍ كأنما ... بأقرابِها قارٌ إذا جلدُها استَحمْ

وأخفّ من هذا قول إبراهيم بن هَرْمة:

إمّـا تَـرَيْني شـاحبـاً متبـذّلاً ... كـالسيّف يخلقُ جَفْنُه فيضيـعُ

فـلرُبَّ لَـذّةِ ليلةٍ قـدْ نلتُهـا ... وحـرامُهـا بحـلالهـا متبُـوعُ

وليس منه قول متمّم بن نُويرة:

لَعمْري وما دهري بتأبين هـالكٍ ... ولا جَـزِعاً ممـا أصابَ فـأوجَعَـا

لقـدْ كفّن المِنهـالُ تحتَ ردائِـهِ ... فتًى غيـرَ مبْـطان العشيّـة أرْوَعَـا

وربّما حالت بين بيتي التضمين أبياتٌ كثيرة بقدر ما يتسع الكلام، وينبسِطُ الشاعر في المعاني. ولا يضرّه ذلك إذا أجاده.

٤٤١ - التّضمين

من محاسن الكلام عند ابن المعتز ما سمّاه (حسن التضمين) مثل قول الأخيطل:

ولقـدْ سمـا للخُـرَّميّ فلم يقـلْ ... بعد الوغَى: لكن تضايق مقدَمي[١]

وقال:

إذا دلّه عزمٌ على الجود لم يقلْ: ... غداً عَوْدُها إن لم تعقْها العوائقُ

ولكنـه مـاضٍ على عـزم يـومـه ... فيفعـل ما يـرضـاه خلقٌ وخـالقُ

وقال آخر:

عــوّذَ لـمـا بـتُّ ضـيـفـاً لـه ... أقــراصَــهُ بــخــلاً بـيـاسـيـنِ

فـبِـتُّ والأرض فـراشــي وقـد ... غنّت «قفـا نبـك» مصـاريـنـي

(١) الخرمي هو بابك الخرمي الذي استولى على جبال طبرستان في عصر المأمون عشرين عاماً، حتى انتدب له الأفشين القائد التركي، فظفر به وأسره وأحضره إلى المعتصم فقتله سنة ٢٢٣هـ. والبيت تضمين لبيت عنترة:

إذ يتقـون بي الأسنة لم أخم ... عنها ولو أني تضـايق مقدمي

قال أبو هلال العسكري: وقد تسمى استعارتك الأنصافَ والأبيات من شعر غيرك، وإدخالك إيّاه في أثناء أبيات قصيدتك (تضميناً) وهذا حسن... كقول ابن الرومي في مغنٍّ:

مجلسُه مأتم اللذاذة والـ ـقَصْفِ وعُرْسُ الهموم والسقمِ
يُنشدنا اللهو عند طلعته «من أَوحشتْه الديار لم يُقِمِ»

وكقول جَحْظة:

أصبحت بين معاشر هجروا الندى وتقبّلوا الأخلاق عن أسلافهمْ
قومٌ أحاول نَيلَهم فكأنما حاولتُ نتف الشّعْرِ من آنافهمْ
هاتِ اسقنيها بالكبير وغنِّني «ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهمْ»

والتضمين عند ابن رشيق هو قصدك إلى البيت من الشعر والقسيم، فتأتي به في آخر شِعْرك أو في وسطه كالمتمثل. نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب:

يا خاضبَ الشيب والأيامُ تظهره هذا شبابٌ لَعمرُ الله مصنوعُ
أذكرتني قول ذي لُبّ وتجربة في مثله لك تأديبٌ وتقريعُ
إن الجديد إذا ما زيد في خَلَق تبيّن الناس أن الثوب مرقوعُ

فهذا جيد في بابه، وأجود منه أن لو لم يكن في البيت الأول والآخر واسطة، لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسّرقة، أو على أن هذا البيت مشهور، وليس كذلك، بل هو كالشمس اشتهاراً ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً، لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلّا في المعنى، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين، فإنما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له:

ولا سوء لي إن ساء ظنك بعدما وفيتُ لكم، ربي بذلك عالمُ
وهأنذا مستعتبٌ متنصلٌ كما قال عبّاس وأنفيَ راغمُ
تحمّلْ عظيم الذنب عمّن تحبُّهُ وإن كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالمُ

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله:

وصبّ أصاب الحبُّ سوداءَ قلبه فأنحله والحبُّ داءٌ ملازِمُ
تحمّلْ عظيم الذَّنْبِ عَمّنْ تحبُّهُ وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالمُ
فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى يفارقْك من تهوَى وأنفك راغمُ

فهذا النوع من التضمين جيد... وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمِّنُ وجه البيت المضمَّن عن معنى قائله إلى معناه، نحو قول ابن الروميّ:

يا سائلي عن خالدٍ عهدي به رطبَ العجانِ وكفُّه كالجلمدِ
كالأقحوان غداةً غبّ سمائِهِ جفّتْ أعَاليهِ وأسفلهِ نَدِ

فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر:

تجلو بقادِمَتَيْ حمامة أيكةٍ بردٌ أُسفَّ لثاته بالإثمِدِ
كالأقحوان غداة غبّ سمائِهِ جفّت أعاليه وأسفله نَدِ

إلى معناه الذي أراد. ومن الشعراء من يضمن قسيمًا، نحو قول بعضهم، أظنه الصوليّ:

خلقْتُ على باب الأمير كأنني قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
إذا جئتُ أشكو طول ضيق وفاقةٍ يقولون لا تهلك أسى وتحمّلِ
ففاضت دموع العين من سوء ردهمْ على النحر حتى بل دمعيَ محملي
لقد طال ترداي وقصدي إليكُم فهل عند رسم دارسٍ من مُعَوَّلِ

ومنهم من يقلب البيت، فيضمنه معكوساً، نحو قول العباس بن الوليد بن عبدالملك بن مروان لَمسْلَمَة بن عبدالملك:

لقد أنكرْتَني إنكارَ خَوْفٍ يضمُّ حشاك عن شتمي وذحْلِي
كقول المرء عمروٍ في القوافي لقيس حين خالف كل عَذْلِ
عذيرك من خليلك من مُرادٍ أريد حياته ويريدُ قتلي

والبيت المضمّن لعمرو بن معد يكرب، يقوله لابن أخته قيس بن زهير المرادي، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة، وحقيقته في شعر عمرو:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُرَادِ

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا رأى ابنَ مَلجم تمثل بهذا البيت.

ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول علي بن الجهم يعرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنان المغني، وكانا يتعاشقان، فإذا غنىّ بنان:

اسمعي أو خبّرينا يا ديار الظاعنينا

غنت هي كالمجاوبة له عما يقول:

ألا حييتِ عنّا يا مدينا وهل بأسٌ بقول مسلّمينا

فقال عليٌّ منبهاً عليهما في ذلك:

كلما غنّى بنانٌ اسمعي أو خبّرينا
أنشدت فضْلٌ ألا حُيْـ ـيتِ عنّا يا مدينا
عارضت معنى بمعنى والندامى غافلونا
أحسنتْ إذ لم تجاوبـ ـهُمْ ديار الظاعنينا
لو أجابتهمْ لصرنا آيةً للسائلينا
واستعاد الصوت مولا ها وحثّ الشاربينا
قلت للمولى وقد دا رت حُمَيّا الكأس فينا
ربّ صوتٍ حسنٍ يُنـ ـبت في الرأس قرونا

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة، ويشيره به إشارة، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيه به، وذلك كقول بعضهم في معنى قول ابن المعتز

«كما قال عباس وأنفي راغم» أنه لم يرد الأبيات المقدم ذكرها، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة:

لا بد للعَاشق من وقفةٍ تكون بين الوصل والصّرْمِ
حتى إذا الهجر تمادى به راجعَ من يهوَى على رَغْمِ

فهذا النوع أبعد التضمينات كلها، وأقلها وجوداً.

وانظر (الاقتباس) وسيأتي في باب القاف.

٤٤٢ - الضمني

التشبيه (الضِّمْني) هو تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من الصُّور المعروفة، بل يلمح المشبّه والمشبّه به، ويفهمان من المعنى. ويكون المشبّه به برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبّه. كقول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يسْهُلِ الهوانُ عليه ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

أي أن الذي اعتاد الهوانُ يسهل عليه تحمّله، ولا يتألّم له، وليس هذا الادّعاء باطلاً، لأنّ الميت إذا جُرح لا يتألم.

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة. وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

٤٤٣ - الإضافي

أحد قسمي (القصر): الحقيقي، والإضافي.

والقصر **الإضافي**: هو ما كان المتخصص فيه بحسب **الإضافة** -أي النسبة- إلى شيء معين، بألا يتجاوز المقصور عليه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر. نحو: ما خالدٌ إلا شُجاع، أي أنه لا يتجاوز الشجاعة إلى الجبن، لا بمعنى أنه لا يتجاوزها إلى صفة أخرى مثلاً.

وقد لا يتجاوزه إلى شيء آخر، كما إذا اعتبر القصر في مثل قول القائل «لا إله إلّا الله» بالنسبة إلى آلهة بعض البلدان، فهو إضافي مع عدم التجاوز لشيء آخر أصلاً.

والقصر الاضافي أنواع:

(١) قصر إفراد: في باب الفاء.
(٢) قصر قلب: في باب القاف.
(٣) قصر تعيين: في باب العين.

٤٤٤ - التضايُف

من أنواع التقابل، كتقابل الأبوّة والنبوّة. وسيأتي في (الطباق) في باب الطاء.

٤٤٥ - المضاف

معنى المضاف الشيء الذي يقابل بالقياس إلى غيره، مثل الضِّعف بالنسبة إلى نصفه، والمولى إلى عبده، والأب إلى ابنه، فكل واحد من الأب والابن، والمولى والعبد، والضعف والنصف، يقال بالإضافة إلى الآخر. وهذه الأشياء كلّ واحد منها يقال بالقياس إلى غيره، فهي من المضاف. وكلّ واحد منها بإزاء صاحبه كالمقابل له، فهو من المتقابلات.

وانظر (الاستحالة والتناقض) وقد تقدمت في باب الحاء.

٤٤٦ - المضاف

من التجنيس، ذكره القاضي الجرجاني في (الوساطة). قال: التجنيس المضاف كقول البحتري:

أيـا قمـرَ التمـام أعنْتَ ظلمـاً عليّ تـطاول الليـل التمـام[1]

«ومعنى التمام» واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يعد تجنيساً، ولكن أحدهما صار موصولاً بالقمر، والآخر بالليل، فكانا كالمختلفين.

وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف. وقد تكون الإضافة اسمًا ظاهراً ومكنياً، وقد تكون نسباً، ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد:

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب وإن كان مرضياً فقل شعر كاتب

قال ابن رشيق في هذا البيت: وهو داخل عندي في باب (الترديد)، إذ كان قوله عند السخط «شعر كاتب» إنما معناه التقصير به، وبسط العذر له، إذ ليس الشعر من صناعته... وقوله عند الرضا «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له، وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة، لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات، فقد ضادّ، وطابق في المعنى، وإن كان اللفظ تجنيساً مردداً.

انظر (الوساطة) ٤٣.

وانظر (العمدة) ٢/٤.

٤٤٧ - التضييق

هو (لزوم ما لا يلزم) وسيأتي في باب اللام.

٤٤٨ - التضييق والتوسيع

اشترط العلماء بصناعة الأدب أن تكون الألفاظ على أقدار المعاني، ولا يكون اللفظ أطول من المعنى ولا أقصر منه. ولذلك قالوا: خير الكلام

(١) أتم القمر: اكتمل، وهو بدر تام بفتح التاء وكسرها، ويرى ابن دريد أنه بكسرها. وليل التمام: أطول ليالي الشتاء.

ما كانت ألفاظه قوالب لمعاني. ومتى كان اللفظ أكثر من المعنى كان الكلام واسعاً وضاع المعنى فيه. والتضييق هو أن يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من اللفظ.

قلتُ: الإيجاز قوة وبلاغة، وفي بعض تعريفات البلاغة أنها الإيجاز. ويبدو أن العلماء الذين تحدثوا عن التضييق والتوسيع يقصدون بالتضييق ما يسميه البلاغيون (الإخلال) وهو الذي ينشأ عنه فساد المعنى، كما أنه يُقصد بالتوسيع ما يسمونه (التطويل) وهو زيادة في الكلام لغير فائـدة، بعكس (الإطناب) فإنه زيادة لفائدة.

باب الطـــاء

٤٤٩ - الطِّبَاق

هـو «المـطابقـة» وستـأتي، ويسمى أيضـاً «التـطبيق» و«التضـــاد»، و«التكافؤُ».

وهو الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، بأن يكون بينهما تقابل وتنافٍ ولو في بعض الصور، سواء كان التقابل حقيقياً، كتقابل القِدم والحدوث، أو اعتبارياً كتقابل الإحياء والإماتة، فإنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الصور، وهو أن يتعلق الإحياء بحياة جِرم في وقت، والإماتة بإماتته في ذلك الوقت. وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما، ولا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت. وسواء كان التقابل الحقيقي (تقابـل التضاد) كتقابل الحركة والسكون على الجِرم الموجود بناء على أنهما وجوديان، أو تقابل (الإيجاب والسلب) كتقابل مطلق الوجود وسلبه، أو تقابل (العدم والملكة) كتقابل العمى والبصر، والقدرة والعجز - بناء على أن العجز نفي القدرة عمّن من شأنه الاتصاف بالقدرة - أو تقابل (التّضايُف) كتقـابل الأبـوّة والنبوّة، وقيل إن الأبوة والبنوة من باب (مراعاة النظير) - وقد تقدم في باب الرّاء - ورُدَّ ذلك بأن مراعاة النظير فيـها لا تنافي فيـه كالشمس والقمـر بخلاف ما فيه التنافي كالأبوّة والبنوّة. أو تقابل ما يشبه شيئاً مما ذكر مما يشعر بالتنافي، لاشتماله بوجه ما على ما يوجب التنافي مثل «هاتا» و«تلك» في قول الشاعر:

مَهَا الوحش إلا أنَّ هـاتا أوانسٌ ... قَنَـا الخطِّ إلا أن تلك ذوابـلُ

لما في «هاتا» من القرب و«تلك» من البعد.

وكما في قوله تعالى: «أُغْرِقوا فأُدْخِلوا ناراً» لما يُشعر به الإغراق من الماء المشتمل على البرودة غالباً، ويشعر به إدخال النار من حرارة النار.

ويكون ذلك الجمع:

١ - إما بلفظين من نـوع واحد من أنواع الكلمة:

اسمين: كقوله تعالى: «وتحسبُهم أيقاظاً وهم رُقُودٌ».

أو فعلين: كقوله تعالى: «تُؤتي الملك مَنْ تشاءُ وتنـزِع الملكَ ممّن تشاءُ». وقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: «إنكم لتكثُرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع».

وقول أبي صخر الهذلي:

أَما والّذي أبكَى وأضْحَكَ والذي أمـاتَ وأحْيا والـذي أمرُه الأمـرُ

وقول بشار:

إذا أَيْقــظَتْــك حــروبُ العِــدا فَـنَـبِّــه لــهــا عُـمَــراً ثُــمَّ نَــمْ

أو حرفين: كقوله تعالى: «لها ما كَسَبتْ وعليها ما اكتسبتْ» لأن اللام تُشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع، و«على» تشعر بالعلو المشعر بالتحمل والثقل المؤذن بالتضرر، فصار تقابلهما كتقابل النفع والضر، وهما ضدان، وكقول الشاعر:

على أنني راضٍ بأن أَحملَ الهوى وأخلُصَ منــه لا عَلَيَّ ولا. ليــا

٢ - وإما بلفظين من نوعين: كقوله تعالى: «أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناه» أي ضالاً فهديناه. وكقول طُفيل:

بساهمِ الوجـه لم تُقطع أبـاجلُه يُصان وهو ليـومِ الرّوع مبـذولُ

والطباق ضربان:

١ - طباق الايجاب - كما مَرّ.

٢ - طباق السّلْب - وقد تقدّم في باب السين.

ومن الطباق ما سمّاه بعضهم (التّدْبيج) وقد تقدم في باب الدال، و(الُمخالِف) وقد تقدم في باب الخاء. ويُلحق بالطباق شيئان:

أحدُهما: أن يُجمع بين معنيين ليس أحدهما مقابلاً للآخر، ولكن يتعلق بما يقابل الآخر نوع تعلّق مثل السببية والّلزوم، نحو قوله تعالى: «محمّد رسولُ الله والذين معه أشدَّاء على الكفّار رُحَمَاءُ بينهم» فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدّة، لكنها مسبّبة عن الّلين الذي هو ضد الشدَّة.

وعليه قوله تعالى: «ومن رحمتِه جعلَ لكم الليلَ والنهارَ لتسكنُوا فيه ولتبتغُوا من فضلِه» فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادَّة للسكون والعُدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لأن الحركة ضربان:

حركةٌ لمصلحة، وحركة لمفسدة. والمراد الأولى لا الثانية. ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيّب:

لِمنْ تطْلُب الدّنيا إذا لم تُرد بها   سرورَ مُحبٍّ أو إساءةَ مُجْرِمِ

لأن ضد الُمحِبّ هو المُبْغِض، والمجْرمُ قد لا يكونُ مبغِضاً.

والثاني: ما يسمى (إيهامَ التضادّ) وسيأتي في باب الواو.

ويدخل في الطباق ما يختص باسم (المقابلة) وستأتي في باب القاف. وسمّى أصحاب صناعة الشعر ما كان قريباً من التضاد (الُمخالِف).

وقسّم بَعضهم التضاد، فسمّى ما كان فيه لفظتان معناهما ضدّان كالسواد والبياض (المطابق). وسمّى تقابل المعاني والتوفيق بين بعضها وبعض، حتى تأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة

(المقابلة). وسمّى ما كان فيه سَلْبٌ وإيجاب (السّلب والايجاب) وجعله باباً مستقلاً، ولم يلحقه بالطباق.

وأصحاب صناعة الشعر لا يجعلون الليلَ والصبح ضِدَّين، بل يجعلون ضدَّ الليل النهار، لأنهم يراعُون في المضادَّة الألفاظ. وأكثر ما يُقال الليل والنهار، ولا يقال الليلُ والصبحُ. وبعضهم يقول في مثل هذا (مطابقٌ مَحْض) و(مطابقٌ غيرُ مَحْض) فالليل والصبح عنده في مثل قول المتنبي:

أَزُورهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأَنْثَنِي وبياضُ الصبح يُغْرِي بي

طباقٌ غيرُ محض... (سرّ الفصاحة) ٣٣٦

ونقل ابن أبي الأصبع أن الطباق على ضربين:

حقيقي ومجازي، وكل من الضربين على قسمين: لفظي ومعنوي.

فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقَوا عليه اسم (الطباق).

وما كان منه بألفاظ المجاز أو بعضه (التكافؤ) بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد.

فإن كان الضدان أو الأضداد لموصوفين والألفاظ حقيقية فهو (الطباق) إن كان الكلام جامعاً بين ضدين فَذَّيْن. وإن كان الأضداد أربعة فصاعداً كان في ذلك مقابلة.

فالفرق بين الطباق والمقابلة إذن من وجهين:

أحدهما أن الطباق لا يكون إلّا بالجمع بين ضدين فَذَّيْن فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الضدين من الأربعة إلى العشرة.

والوجه الثاني أنّ المقابلة تكون بالأضْداد وبغير الأضداد.

قال: وعلى هذا فلا بد أن يأتي في الكلام المتضمِّن (التكافؤ)

استعارة، فإن لم تكن فيه استعارة فلا تكافؤ. وأمّا الطباقُ الذي يأتي بألفاظ الحقيقة فهو على ثلاثة أقسام:

١ - **طباق السلب**: نحو قوله تعالى: «وإن يَروا سبيلَ الرُّشْدِ لا يتّخذُوه سبيلاً وإن يَرْوا سبيلَ الغَيِّ يتخذوه سبيلاً...».

وقوله تعالى: «إن الذين كفرُوا سواءٌ عليهم أأنذرتُهَمْ أم لم تنذرْهم لا يؤمنون» وقوله عز وجل: «تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك».

٢ - **طباق الإيجاب**: ومنه قوله تعالى: «وأنّه هُو أضْحَك وأبْكى، وأنّه هو أماتَ وأحْيا، وأنه خلق الزَّوجين الذكرَ والأنثى» فانظر إلى فضل هذا الطباق، كيف جمع إلى الطباق البليغ التسجيع الفصيح، لمجيء المناسبة التامة في فصل الآي. ومما جاءت المطابقة فيه على انفرادها من هذا القسْم قوله تعالى: «اللهُ يعلمُ ما تحمل كل أنْثى وما تَغِيضُ الأرحامُ وما تزداد» أي ما تنقصُ الأرحامُ وما تزيد.

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى: «الذينَ هُمْ في صلاتهم خاشِعون والّذين هُمْ عن اللّغْوِ مُعْرِضون» فجمع سبحانه للمؤمنين في هذا الوصف بين الفعل والترك، إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو. وهذا كله من طباق الإيجاب المعنوي.

٣ - **طباق الترديد**: وقد سبق في باب الراء.

وقد جاء للطباق قسم غير ما تقدم ذكرُه، وهو (ائتلاف الطباق والتكافؤ). وقد سبق في باب الهمزة.

وانظر (المطابقة) وستأتي.
وانظر (التكافُؤ) وسيأتي في باب الكاف.
وانظر (المقابلة) وستأتي في باب القاف.
وانظر (صحة المقابلات) وقد تقدمت في باب الصاد.

وانظر (الايجاب) وسيأتي في باب الواو.
وانظر (السّلب) وقد تقدم في باب السين.
وانظر (المخالف) وقد سبق في باب الخاء.

٤٥٠ - التطبيق

هو (الطباق) وقد سبق.

٤٥١ - المطابق

هو (الطباق) وقد سبق، و(المطابقة) وستأتي.

٤٥٢ - المطابق

عند قدامة بن جعفر هو (الجناس التام) عند سائر البلاغيين.

قال: وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس، وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى. ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة، وألفاظ متجانسة مشتقة. فأما (المطابق) فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها، مثل قول زياد الأعجم:

ونُبِّئتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بكاهِلٍ وللُّؤْمِ فيهمْ كاهِلٌ وسَنَامُ[1]

وقال الأفوه الأودي:

وأقطعُ الهَوْجَلَ مُسْتَأنِساً بِهَوْجَلٍ عَيْرانَةٍ عنتريسْ[2]

(١) كاهل الأول اسم رجل، والثاني المراد به الحارك وهو ما بين الكتفين. قلت: مثل بهذا البيت ابن المعتز للتجنيس، والمطابق عند قدامة هو الجناس التام عند ابن المعتز والبلاغيين كما ذكرت.

(٢) العيرانة السريعة. والعنتريس الغليظة الوثيقة.

فلفظة الهَوْجَل» في هذا الشعر واحدة، قد اشتركت في معنيين، لأن الأولى يراد بها الأرض، والثانية الناقة. وكذلك قول أبي داؤد الإياديّ:

عَهِدْتُ لها منزلاً دَاثراً وآلاً على الماءِ يحملْن آلا

فالآل الأول في المعنى غير الثاني، لأن الأول أعمدة الخيام، والثاني من السراب...

(نقد الشعر) ٩٣

وحكى أبو علي محمد بن المظفر الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، قال: قلتُ لأبي الحسن علّي بن سليمانَ الأخفش: أجدُ قَوماً يخالفون في الطباق، فطائفة تزعمُ -وهي الأكثر- أنه ذكْرُ الشيء وما يقابلُه، وطائفةٌ تخالف في ذلك وتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد. فقال: مَنْ هو الذي يقول هذا؟ فقلت: قدامة! فقال: هذا يا بنيَّ هو التجنيس، ومن زعم أنه طباق فقد ادّعى خلافاً على الخليل والأصمعيّ...

(سرّ الفصاحة) ٢٣٤

٤٥٣ - المطابقة

هي الباب الثالث من البديع عند ابن المعتز، ونقل عن الخليل رحمه الله: يقال: طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حَذْوٍ واحد، وكذلك قال أبو سعيد.

فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسّع فأدخلتنا في ضيق الضّمان[١]، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب.

وقال الله تعالى «ولكمْ في القِصَاصِ حياةٌ».. وقال عيسى بن طلحة

(١) ضمن الشيء ضماناً تكفل به.

لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله: إنْ ذهبَ أَهْوَنُكَ علينا فقد بَقِيَ أعزُّكَ علينا! فطابق كما ترى بين العز والهوان[١].

وقال أُدَدُ بنُ مالكِ بن زَيد بن كهْلان، وهو طائي، في وصيته لوُلْده: لا تكونوا كالجراد أكلَ ما وجدَ، وآكلهُ من وَجَدَه!.

وقيل لابن عمر رضي الله عنهما: ترك فلان مائة ألف، فقال لكنها لا تتركه. وقال الحجاج في خطبته: إن الله كفانَا مَئُونَةَ الدنيا وأمرَنَا بطلب الآخرة، فليت اللهَ كفانا مَئُونةَ الآخرة، وأمرَنا بطلب الدّنيـا. وقال: من العملِ ما هو تَرْكُ العمل، ومِنْ تَرْكِ العمل ما هو عملٌ.

ومن المطابقة قول الحسن المشهور: ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشْبَه بشَكٍّ لا يقين فيه من الموتِ. وقال الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيانَ للحسَين، وهو حوالي المدينة في بعض منازعاتهم: ليتَ طُولَ حِلمنا عنْك لا يدعُو جهلَ غيرنا إليك! وقال أبو الدَّرداء: معروفُ زماننا منكرُ زمانٍ قد فاتَ، ومنكَرُه معروفُ زمانٍ لم يأتِ. وقال الحسن رضي الله عنه-وقد أُنكر عليه الإفراط في تخويف الناس-: إنَّ من خَوَّفَكَ حتى تبلغَ الأمنَ خيرٌ ممّن آمنك حتىّ تبلغ الخوفَ!. ولما حضر بشرَ بنَ منصور الموت فرح!، فقيلَ له: أتفرحُ بالموت؟ فقال: أتجعلون قُدومي على خالقٍ أرجُوه كمقامي مع مخلوقٍ أخافُه؟ . . .

(كتاب البديع) ٧٦

وقال أبو هلال العسكري: قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد. وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة إيراد لفظتين

---

(١) قلت: وكذلك طابق بين ذهب وبقي.

متشابهتين في البناء والصيغة، مختلفتين في المعنى، كقول زياد الأعجم «ونبئتهم.. البيت» وسمي الجنس الأول (التكافؤ).

وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه (المطابقة) التعطُّف. قال وهو أن يذكر اللفظ ثم يكرّره، والمعنى مختلف...

(الصناعتين) ٣٠٧

وقال ابن رشيق: المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه. قال: (والمطابقة) عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر، إلَّا قدامة ومن اتبعه، فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً.

وقال الرمّاني: (المطابقة) مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان.

قال ابن رشيق: هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره، وأجمعه لفائدة، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً. وأما قول الخليل: إذا جمعت بينهما على حذو واحد، وألصقتها فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان، كما قال الرمّاني: يشهد بذلك قول لبيد:

تعاورْنَ الحديثَ وطبّقتهُ كما طَبّقْتَ بالنعلِ المثالا

ومنه طبّقت المفصل، أي أصبته فلم أزد في العضو شيئاً، ولم أنقصْ منه، وكذلك قول الأصمعي: أصلها من وَضْع الرِّجل موضعَ اليد في مشي ذوات الأربع، وهو مساواة المقدار أيضاً.

وانظر (التكافُؤ) وسيأتي في باب الكاف.

وانظر (التجنيس) وقد تقدم في باب الجيم.

وانظر (الطِّباق) وقد سبق في هذا الباب.

٤٥٤ - المطابقة

من أقسام (الدلالة اللفظية) وقد سبقت في باب الدال.

٤٥٥ - المطابقة

البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والحال، ويسمى (المقام) هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.

والمقتضَى، ويسمّى (الاعتبار المناسب) هو الصورةُ المخصوصةُ التي نورد عليها العبارة.

ففي المدح مثلاً: المدحُ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطَب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز.

فكلّ من المدح حالٌ ومقام.

وكل من الإطناب والإيجاز (مُقتضَى).

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز (مطابَقة للمقتضَى).

٤٥٦ - الإطِّرَاد

الاطّراد في اللغة مصدر اطَّـرَدَ الماء وغيره إذا جرى من غير توقّف.

ومعناه في الاصطلاح أن يذكر الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب بشرط ألَّا يخرج عن طرق السهولة، ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته لم يعد إطراداً، فإن المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة جريانه واطّراده كجريان الماء في اطّراده. فمتى جاء كذلك دلّ على قوة الشاعر وتمكّنه وحسن تصرّفه.

ولم يزد العلماء في ذلك على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه، ولكن صفيّ الدين الحلّي نقل في شرح بديعته أن (الاطّراد) عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجدّه وقبيلته، ليزداد الممدوح تعريفاً، وشرط أن يكون ذلك في بيت واحد، من غير تعسُّف ولا تكلّف ولا إنقطاع بألفاظ أجنبيّة، وأورد على ذلك قول بعضهم:

مُـؤيّـدُ الـدّيـنِ أبـو جَـعـفـرٍ محمّـدُ بنُ العلقميّ الـوزيـر

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو القدر الذي قرره صفيّ الدين الحلّي

(خزانة الأدب) ١٦١

أمّا غيره فقد قالوا إن (الإطّراد) أن يطّرد الشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفاً لا تكون إلاَّ أسماء آبائه تأتي منسوقة غير منقطعة من غير ظهور كلفة على النظم، كاطّراد الماء، لسهولته وانسجامه، كقوله:

أقيسَ بنَ مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنتَ الذي ترجـو حِباءَكَ وائـلُ

وأحسن منه قول دريد، لكون الأسماء المطّرِدة جاءت في عجز البيت:

قَتَلْنـا بعبـدالله خيـرَ لِـدَاتِـهِ ذُؤابَ بنَ أَسماءَ بن زيدِ بنِ قاربِ

ويقال إنَّ عبدالملك بن مروان قال لما سمع هذا ابيت: لولا القافية بلغ به آدم. وقال ابن أبي الأصبع: وقد أرْبىَ على هؤلاء بعض القائلين:

مَنْ يكنْ رامَ حاجةً بَعُـدتْ عَنْـ ـهُ وأعيتْ عليـه كـلَّ العَيَـاءِ

فلها أحمدُ المرجّى بنُ يحيى بْـ ـنِ معـاذ بنِ مسْلم بنِ رَجـاءِ

- لو لم يقع فيهما التضمين، والفصْل بين الأسماء بلفظة «المَرجّى» قال: وكتب شيخنا مجد الدين بن الظهير الحنفي على إجازة:

أجـازَ مـا قـد سـألـوا بـشـرط أهـلِ الـسّـنَـدِ

مـحـمـدُ بـنُ أحـمـدَ بْـ ـنِ عُـمَـرَ بـن أَحْـمَـدِ

فلم يدخل بين الأسماء في البيت لفظة أجنبيّة.

وُصِف أبو الطيّب المتنبي بالتعسّف في قوله لسيف الدولة:

فأنْتَ أبو الهيجا ابن حمدانَ يابْنَهُ تشـابَـه مـولـودٌ كـريمٌ ووالـدُ

وحمدانُ حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحـارثُ لقمـانٌ ولقمـانُ راشـدُ

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء في بيتين، وأنّه جعلهم أنياب الخلافة في قوله:

أولئـك أنيابُ الخلافة كـلِّهـا   وسـائـرُ أمـلاكِ البـلادِ الـزوائـدُ

وهم سبعة بالممدوح، والأنياب في المتعارف أربعة، إلَّا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر، فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية! إلَّا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة، فإنه يصحّ. وفيه من الزيادة على ما قبله أَنه زاد واحداً في العدد؛ فإنه جعل كلّ ابن هو أبوه في الخلافة إلى أن بلغ راشداً، فلم يقصد إلى ذلك أحدٌ من أصحابه، وإنما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد، وهي أربعة أسماء.

٤٥٧ - الاسْتطراد

الاستطراد في اللغة مصدر استطرد الفارس من قِرْنـه في الحرب، وذلك أن يفرَّ من بين يديه يوهمه الإنهزام، ثم يعطف عليه على غِرَّة منه، وهو ضربٌ من المكيدة.

ومعناه في الاصطلاح: أن يكون الشاعر في غرض من أغراض الشعر يوهم أنه مستمرّ فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما. ولا بد من التصريح باسم المستطرد به، بشرط ألَّا يكون قد تقدّم له ذكر، ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام، فلا يكون المستطرد به آخر كلامك.

وهذا هو الفرق بينه وبين (المخْلَص)، فإن الاستطراد يُشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به. والأمران معدومان في (المخلَص)، فإنه لا يرجع إلى الأوّل، ولا يقطع الكلام، بل يستمرّ إلى ما يخلص إليه.

وأوجز صاحب «الإيضاح» في حدّ **الاستطراد**، فقال: هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني.

وذكر الحاتمي في «حلية المحاضرة» أنه نقل هذه التسمية من البحتري. وذكر غيره أن البحتريّ نقلها عن أبي تمام.

وقال ابن المعتّز إن الاستطراد هو الخروج من معنى إلى معنى.. فمنه قوله تعالى «ألاَ بُعْداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدتْ ثمود». فذكرُ ثمود استطراد.

وقيل إن أول شاهد ورد في هذا النوع قول السّموءل:

وإنّا لقومٌ لا نرى الموت سبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلولُ

فقد خرج من الفخر إلى هجاء عامرٍ وسَلُول.

ومنه قول حسّان بن ثابت رضي الله عنه:

إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتني فنَجوْتِ مَنْجى الحارث بن هشامِ
تَرَكَ الأحبّةَ أنْ يقاتل دونهم ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجامِ [1]

فقد استطرد من الغزل إلى هجو الحارث بن هشام. ومنه قول البحتريّ من قصيدة في وصف فرس:

كالهيكل المبنيِّ إلَّا أنه في الحسْنِ جاءَ كصُورة في هيْكلِ
ملَكَ العيونَ فإن بدا أعطيتَه نظرَ المحبِّ إلى الحبيب المقبِلِ
ما إنْ يَعافُ قذىً ولو أوردته يوماً خلائق «حمدويه» الأحولِ

و(الاستطراد) عند أبي هلال العسكري هو أن يأخذ المتكلم في معنى، فبيْنا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه، كقول الله عزَّ وجلَّ: «ومن آياتِه أنّك تَرى الأرض خاشعةً فإذا أنزلْنا عليها الماءَ اهتزَّتْ وربَتْ»، فبيْنا يدلّ الله سبحانه على نفسِه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال: «إنَّ الذي أحْياها لمحْيِي الموْتى» فأخبر عن قدرته

(١) الطمر بتشديد الراء الفرس الجواد، وقيل المستفز للوثب، والأنثى طمرة.

على إحياء الموتى بعد إفنائها. . وقد جعل ما تقدّم من ذكر الغيث والنّبات دليلاً عليه. ولم يكن في تقدير السّامع لأول الكلام إلّا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر، دون الدلالة على الإعادة، فاستوفى المعنيين جميعاً. .

ومن (الاستطراد) ضرب آخر، وهو أن يجيء بكلام يظنّ أنه يبدأ فيه بزُهدٍ، وهو يريد غير ذلك، كقول الشاعر:

يا مَنْ تَشاغَل بالطَّلَلْ أقْصِرْ فقدْ قَرُب الأجَلْ
وَاصِلْ غَبُوقَك بالصَّبُو حِ، وَعَدٍّ عن وَصْفِ المَلَلْ

قال ابن رشيق: الاستطراد أن يرى الشاعر أنّه في وصف شيء، وهو إنّما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه، فذلك (استطراد)، وإن تمادى فذلك (خروج). وأكثر الناس يسمّي الجميع (استطراداً).

قال الحاتميّ: وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح، كقول زهير:

إنَّ البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كان ولَـ ـكِنّ الجوادَ على علاّتِه هَرِمُ

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون، وفي يده كتاب من عمرو بن مسعَدَة يردّد فيه النظر. فقال: لعلّك فكرت في ترديدي النظر في هذا الكتاب! قال: نعم! يا أمير المؤمنين. قال: إني عجبتُ من بلاغته واحتياله لمراده: «كتبتُ كتابي إلى أمير المؤمنين أعزّه الله، ومَنْ قِبَلي من قوّاده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعةُ جندٍ تأخّرت أرزاقهم، واختلّت أحوالهم» ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار، وإعفاء سلطانه من الإكثار؟ ثم أمر لهمْ برزق ثمانية أشهر!

وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب!

٤٥٨ - المطّرد

من التشبيه. وضدّه (المنعكس) وسيأتي في باب العين.

قال العلوي: اعلم أن المبالغة في التشبيه لا يمكن حصولها إلَّا إذا كان المشبه به أدخلَ في المعنى الجامع بينهما، إما بالكبر كقوله تعالى: «وله الجواري المُنْشئَات في البحر كالأعلام» فمثّلها بالجبال لما كانت الجبال أكبر من السفن. وهكذا القول في السواد، والبياض، والحمد، والذم، والإيضاح، والبيان، إلى غير ذلك من الأوصاف الجارية في التشبيه.

وآية ذلك وعلامته أنه لا بد من أن تكون لفظة «أفعل التفضيل» جارية في التشبيه. وهذا يدل على ما قلناه من اعتبار زيادة المشبه به على المشبه في تلك الصفة الجامعة بينهما. فإن لم يكن الأمر على ما قلناه من الزيادة كان التشبيه ناقصاً، وكان معيباً، ولم يكن دالاً على البلاغة.

وهكذا الحال إذا كانا حاصلين على جهة الاستواء، فلا مبالغة في ذلك. فإذاً لا بد من اعتبار الزيادة كما أشرنا إليه. وهو في ذلك على أربعة أوجه:

أولها: تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى: «كالفَراش المبثوث» شبه الناس يوم القيامة في الضعف والهوان بالفراش، لما فيه من الدقة وضعف الحال، وقوله تعالى: «وتكون الجبال كالعِهْنِ المنفوش» شبه الجبال ـ مع اختصاصها بالصلابة والقوة ـ بأضعف ما يكون وأرخاه، وهو الصوف، لأنه ألين ما يكون عند نفشه.

وثانيها: تشبيه معنى بمعنى كقولك: زيد كالأسد في شجاعته، وكالأحنف في حلمه، وكإياس في ذكائه، وكحاتم في جوده، وكعنترة في شجاعته[1] إلى غير ذلك من التشبيهات المعنوية.

(1) قلت: لا أدري كيف يكون هذا التشبيه معنى لمعنى فإن المعنى فيما نحن بصدده يقصد به الجامع بين الطرفين، وإن كان المعنى هنا قد تحقق في المشبه به الذي تحول من ذات إلى معنى، فاكتسب صفة المعنى من الذات التي اشتهرت به. أما المشبهات فيما استشهد به العلوي في هذا الوجه فإنها لم تخرج عن ذواتها. ولعل الوجه الرابع الذي سيأتي أقرب إلى ما أراد العلوي من تشبيه المعنى بالمعنى.

وثالثها: تشبيه معنى بصورة، وهذا كقوله تعالى: «والـذين كفروا أعمالهُم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف». وقوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بِقِيعَةٍ».

ورابعها: تشبيه صورة بمعنى. وهذا كقول أبي تمام:

وفتكتَ بالمال الجـزيل وبـالعدا   فتْـكَ الصبابـة بالمحبِّ المغـرَمِ

فشبّه فتكه بالمال وبالعدا، وذلك من الصورة المرئية، بفتك الصبابة وذلك أمر معنوي ليس محسوساً.

وقد يقال: إسلام كنور الشمس، وجهل كظلمة الليل، وحجة كضوء القمر. وكل ما أوردناه على اتساعه ووضوح أمره جارٍ على الاطّراد في تشبيه الأدنى بالأعلى، والأقل بالأكثر، والفاضل بالأفضل، والخيرّ بالخيرّ، ومنه قول امرىء القيس في وصف الفرس:

كـأنه سـراته لـدى البيت قـائمـا   مَدَاكُ عروسٍ أو صـلايَةُ حنـظل

(الطراز) ١/٣٠٨.

وانظر (المنعكس) وسيأتي في باب العين..

٤٥٩ - الـطّرْدُ والـعَـكْس

هذه تسمية ضياء الدين بن الأثير للتشبيه المقلوب. قال هو أن يجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به.

ومما جاء منه قول البحتري:

في طلعةِ البدر شيء من محاسنها   وللقضيب نَـصيـبٌ من تـثنِّـيهـا

وقول عبدالله بن المعتز في تشبيه الهلال:

ولاح ضـوء قُمْيـر كـاد يفضَحُنـا   مثل القُلامة قدْ قُدَّتْ من الظُفُرِ

٤٦٠ - التطريز

وهو أن يبتدىء المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرُّر واتحاد، لا تعداد تغاير، وذلك كقول ابن الرومي:

أموركمُ بني خاقان عندي عُجابٌ في عُجابٍ في عُجابِ
قرون في رءوسٍ في وجوهٍ صِلابٌ في صِلابٍ في صِلابِ

وكقوله:

وتسقيني وتشربُ من رحيقٍ خليق أن يشبّه بالخلوق
كأن الكأس في يدها وفيها عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقِ

وكقول ابن المعتز:

فثوبي والمُدامُ ولونُ خدّي شقيقٌ في شقيقٍ في شقيقِ

٤٦١ - التطريز

وهو من الفنون التي استخرجها أبو هلال العسكري. ومعناه عنده أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطراز في الثوب.

وهذا النوع قليل في الشعر. وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر:

إذا أبو قاسمٍ جادت لنا يدُه لم يُحْمَد الأجودان: البحر والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرّته تضاءل الأنوران: الشمسُ والقمرُ
وإن مضى رأيهُ أو حدُّ عزمته تأخّر الماضيان: السيف والقدَرُ
من لم يكن حذرا من حدِّ صولته لم يدرِ ما المزعجان: الخوف والحذَرُ

فالتطريز في قوله «الأجودان»، «الأنوران»، «الماضيان»، «المزعجان»
ونحوه قول أبي تمام:

أعوام وصل كاد يُنسي طولُها ... ذِكْرَ النوى فكأنّها أيامُ
ثم انبرتْ أيامُ هجر أردفت ... نجوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنهم وكأنها أحلامُ

وقال في مرثية:

أصبحتْ أوجُهُ القبورِ وِضاءً ... وغدت ظلمة القبور ضياءَ
يوم أضحى طريدةً للمنايا ... ففقدنا به الفتى والفتَاءَ
يوم ظل الثرى يضم الثّريا ... فعدمنا منه السنى والسناءَ
يوم فاتتْ به بوادرُ شؤمٍ ... فرُزينا به الثرى والثراءَ
يوم ألقى الردى عليه جراناً ... فحُرمنا منه الجدى والجداءَ
يوم ألوتْ به هَنَاتُ الليالي ... فلبسْنا به البلى والبلاءَ

ومن ذلك قول زيادٍ الأعجم:

ومتى يؤامرْ نفسَه مستلحباً ... في أن يجود لذي الرجاء يقل: جُدِ
أو أن يعود له بنفحة نائل ... يُعِدْ الكرامةَ والحياءَ يقل: عِدِ
أو في الزيادة بعد جزل عطيّة ... للمستزيدين العُفَاةِ يقل: زِدِ

وانظر (التوشيع) وسيأتي في باب الواو.

٤٦٢ - التطريز

من الصنعة البديعية. وذلك أن بعضهم كانوا إذا أرادوا أن ينظموا في مدح «أحمد» مثلاً جعلوا أوائل الأبيات على حسب حروف هذا الاسم، فيبدءُون بالألف، ثم بالحاء، ثم بالميم، ثم بالدال، وهو نوع كان يعرف في القرن الحادي عشر بالمشجّر.

وربما جاءوا بالتشجير في المصراعين، فتكون أوائل الشطور الأولى على حروف الاسم المشجَّر به، وكذلك أوائل الشطور الثانية.

وانظر (المشجّر) وقد سبق في باب الشين.

وانظر (محبوك الطرفين) وقد جاء في باب الحاء.

٤٦٣ - طرفا التشبيه

هما الركنان الأساسيان في التشبيه. ولا يقال تشبيه إلا إذا كانا فيه، وهما المشبه والمشبه به.

وأساس التشبيه عند قدامة أنه يقع بين شيئين، بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء يتفرَّد كل واحد منهما بصفتها. وعلى هذا فإن أحسن التشبيه عنده ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما التشبيه إلى حال الاتحاد.

ويمنع أن يشبه الشيء بنفسه، ولا بما يغايره من كل الجهات، لأن الشيئين إذا تشابها في كل الوجوه اتحدا، فصار الاثنان شيئاً واحداً.

وهذا يوافق قول ابن رشيق في العمدة: إن المشبه لو ناسب المشبه به مناسبة كلية لكان إياه. ألا ترى أن قولهم «خدٌّ كالورد» إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه؟ وكذلك قولهم «فلان كالبحر» أو «فلان كالليث» إنما يريدون أنه كالبحر سماحة، وكالليث شجاعة، ولا يريدون ملوحة البحر وزعوقته، ولا شتامة الليث وزهومته[1].

وقول أبي هلال: يصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإنما شابهه من وجه واحد، مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر، وإن لم يكن

(١) شتامة الأسد: عبوسه. وزهومته: ريحه المنتنة.

مثلهما في ضيائهما وعلوهما،وإنما شبّهه بها لمعنى يجمعها وإياه،وهو الحسن. . .
ولو أشبه الشيءُ الشيءَ من جميع جهاته لكان هو هو.

وعلى هذا قول السكاكي: لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس. فالأول كالإنسانية إذا اختلفا طولاً وقصراً،والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنساناً وفرسا. وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد، فيبطل التشبيه، لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر، والشيء لا يتصف بنفسه، كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف.

قلتُ: خلاصة هذا الكلام أنه لا بد أن يكون في التشبيه نواح للاتفاق بين الطرفين. وهي التي تجمعهما وتقارب بينهما، ونواح أُخرى للاختلاف، وهي التي تميّز كلًّا منهما بحقيقته، وتجعل له وجوداً مستقلاً عن الآخر.

فإذا لم تكن هنالك جهات للاتفاق بين الشيئين فلا مجال لعقد التشبيه بينهما، لأن العبارة الأدبية روابط وعلاقات بين أجزائها، وروابط وعلاقات بين معانيها. فإذا انعدمت هذه العلاقات بين الأشياء امتنع التشبيه، وكان من العبث أن يعقد الأديب في عباراته صوراً لعلاقات غير موجودة في الطبيعة، ولا متصوَّرة في الأذهان، لأن الأديب حينئذ يحاول أن يصور ما لا يتصور. وليس الأدب عبثاً أو إكراهاً للأشياء على أن تخرج على طبائعها وحقائقها.

ويبقى الخلاف بعد ذلك في كثرة وجوه الاتفاق أو كثرة وجوه الاختلاف بين الطرفين، وأيهما الذي يُعدُّ أجود من الآخر؟ أو بعبارة أُخرى أي التشبيهين أجود؟ التشبيه الذي كثرت جهات الاتفاق بين طرفيه، أم

الذي كثرت فيه جهات الاختلاف بينهما؟ والذي أراه في ذلك أنه كلما كثرت جهات الاختلاف بين الطرفين كان التشبيه أجود لأنه يدل حينئذ على أن الأديب أكثر إحساساً وإدراكاً لحقائق الأشياء، وإنه بما أوتي من فطنة يستطيع أن يفطن إلى علاقات بين الأشياء لا يفطن إليها غيره من الناس، ولكنهم يسلمون له بما اهتدى إليه. بعكس الأديب الذي يصور علاقات ظاهرة معروفة لكثرتها، فلا يكون لـه شيء من الفضل في استخـراجها، ولا يقرون له بشيء من العظمة أو القدرة على الإبداع[1].

أما هذان الطرفان فيكونان:

أ - حسِّيَّين: والمراد بالحسيّ ما يدرَك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس.

(١) فيكون الطرفان من المبصرات، كقوله تعالى: «وعندهم قاصرات الطرف عِين كأنهن بيضٌ مكنون» والجامع بينهما البياض. وقوله تعالى: «كأنهن الياقوت والمرجان» فالجامع الحمرة، ونحو تشبيه الخد بالورد في البياض المشرب الحمرة، والشعر بالليل في سواده، وكقول الشاعر:

وكأن أجرام السماء لوامعاً ... درر نُشرن على بساطٍ أزرقِ

فشبه أديمَ السماء في صفاء زرقته وبياض النجوم بدرر منثورة على بساط أزرق.

(٢) ويكونان من المسموعان، وهذا نحو تشبيه صوت الخلخال بصوت الصنج، وتشبيه أواخر الميس بأصوات الفراريج في قول الشاعر:

كأن أصوات من إيغالهن بنا ... أواخر الميس إنقاضُ الفِراريج[2]

---

(١) انظر كتابنا (علم البيان: دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ص ٥٤ من الطبعة الثالثة.

(٢) الميس شجرة تتخذ منه الرحال، للينه وقوته، ويطلق على الرحال نفسها، وهو المراد هنا والبيت لذي الرمة.

تقدير البيت: كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا، ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله «من إيغالهن بنا» وهذا عيب من ناحية التركيب، مع دقة الصورة في التشبيه. ونحو تشبيه الأسلحة في وقعها بالصواعق.

(٣) ويكونان في المذوقات، وهذا نحو تشبيه الفواكه الحلوة بالعسل والريق بالخمر، قال الشاعر:

كأن المُدام وصوبَ الغمام وريحَ الخُزَامَى وذَوْبَ العسلْ
يُعلُّ به بردُ أنيابها إذا النجمُ وسط السّماء اعتدلْ

(٤) ويكونان في المشمومات، وهذا نحو تشبيه النكهة بالعنبر، وتشبيه شم الريحان بالكافور والمسك، ومثال تشبيه الرياحين المجتمعة في الريح بالغالية، لكونها مجموعة من أنواع طيبة.

(٥) ويكونان في الملموسات، وهذا نحو تشبيه الجسم الناعم بالحرير، قال الشاعر:

لها بشر مثلُ الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نَزْرُ

ويدخل في الحِسِّيّ «الخيالي» وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من عدة أمور، فأدركت أفراده بالحس، أي أجزاء كل جزئي منه، ولم تدرك هيئته الاجتماعية، فيكون ملحقاً بالحس، لاشتراك الحس والخيال في أن المدرك بهما صورة لا معنى، ومثله قول الشاعر:

وكأن محمرّ الشقيـ ـق إذا تصوَّبَ أو تصعّدْ
أعلام ياقوت نُشِرْ ن على رماح من زبرجد

فالهيئة التركيبية التي قصد التشبيه بها، وهي هيئة نشر أعلام مخلوقة من الياقوت على رماح مخلوقة من الزبرجد لم تشاهد قط، لعدم وجودها،

ولكن هذه الأشياء التي اعتبر التركيب معها التي هي مادة أي أصل تلك الهيئة، وهي العلم والياقوت والزبرجد، شوهد كل واحد منها لوجوده، فهو محسوس.

وقول الشاعر:

كـلُّنـا بـاسط الـيـد نـحـو نـيـلوفـر نـدي
كـدبـابـيس عـجـسـد قُـضـبـهـا مـن زبـرجـد

(ب) **عقليين**: لا يُدرك واحد منهما بالحس، بل بالعقل، كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت.

ويدخل البلاغيون في العقلي ما يسمونه «الوهمي» وهو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يكن مدركاً إلا بها، كما في قول الله تعالى في شجرة الزقوم «طلعُها كأنه رُءُوسُ الشياطين».

وقول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

والشياطين والغول وأنيابها مما لا يدركه الحس لعدم تحققها، مع أنها لو أدركت لم تُدْرَكْ إلا بحس البصر. ويدخل في العقلي أيضاً ما أُدرك بالوجدان كاللذة والألم والشبع والجوع.

(ج) **مختلفين**: بأن يكون أحدهما عقلياً والآخر حسياً، كتشبيه المنية بالسبع، والمعقول هو المشبه، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، والمعقول هو المشبه به.

٤٦٤ - الْطُرْفة

انظر (الاستغراب) وسيأتي في باب الغين.

٤٦٥ - المطرَّف

من الجناس غير التام. وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول. وهذا هو الفرق بينه وبين (المذيّل) فإن الزيادة في (المذيل) تكون في آخره. وأما «المطرَّف» فتكون زيادته في أوله، لتصير له كالطرف. وقد يسمى «الناقص»، و«المرْدَف». وفي تسميته اختلاف كثير. ومثاله قوله تعالى: «والتفّت الساق بالساقُ إلى ربك يومئذ المساق».

والزيادة تارة تكون في أول الركن الثاني كما تقدم، وتارة في أول الركن الأول كقول أبي الفتح البَسْتي:

أبـا العبـاس لا تحسب بـأني ... بشيء من حُلاَ الأشعـار عـاري
فـلي طبـعٌ كـسلسـال مَـعيـنٍ ... زلال من ذرا الأحجـار جـاري
إذا مـا أكـبـت الأدوارُ زَنْـداً ... فـلي زَنْـدٌ عـلى الأدوار واري

ومثله قول الشاعر:

وكم سبقتْ منـه إليّ عـوارفٌ ... ثنـائي على تلك العوارف وارفُ
وكم غـررٍ من بـرِّه ولـطائـف ... فشكري على تلك اللطائف طائفُ

٤٦٦ - الْمطرَّف

من السجع هو اتفاق الفواصل في الأعجاز من غير وزن كقوله تعالى: «مالكم لا ترجون لله وَقاراً، وقد خلَقكم أطوارا».

وكقول بعض البلغاء «من حسنت حاله استحسن مُحَالُه».

٤٦٧ - الْطّفْر

كانت العرب عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله يقولون «دَعْ ذا» و«عدِّ عن ذا» ويأخذون فيما يريدون، أو يأتون بإنّ المشددة

ابتداء للكلام الذي يقصدونه. فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله، ولا متصلاً بقوله «دع ذا» و«عدّ عن ذا» ونحو ذلك سمي ظفراً وانقطاعاً.

وكان البحتري كثيراً ما يأتي به، نحو قوله:

لولا الرجاء لُمتُّ من ألم الهوى   لكنّ قلبي بالرجاء موكّلُ
إن الرعيّة لم تزل في سيرة   عُمَريّة مذ ساسها المتوكلُ

ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة «إلى فلان قصدتْ»، و«حتى نزلتْ بفناء فلان» وما شاكل ذلك: (العمدة) ١/١٥٩.

وانظر (الخروج) وقد سبق في باب الخاء.

وانظر (التخلص) وقد سبق في باب الخاء.

وانظر (الاستطراد) وقد سبق في هذا الباب.

وانظر (الإلمام) وسيأتي في باب اللام.

٤٦٨ - الطلب

قال صاحب البرهان (الطلب) كل ما طلبته من غيرك، ومنه: الاستفهام، والدعاء، والتمني. لأن ذلك كله طلب، فإنك تطلب من الله بدعائك ومسألتك، وتطلب من المنادي الإقبال عليك أو إليك، وتطلب من المستفهم منه بذل الفائدة لك.

٤٦٩ - الطَّلبي

الإنشاء (الطلبي) هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة:

(١) الأمر - وقد تقدم في باب الهمزة.

(٢) والنهي - وسيأتي في باب النون.

(٣) والاستفهام - وسيأتي في باب الفاء.
(٤) والتمني - وسيأتي في باب الميم.
(٥) والنداء - وسيأتي في باب النون.
وانظر (غير الطلبي) وسيأتي في باب الغين.

٤٧٠ - الطلبي

هو الضرب الثاني من أضرب الخبر. وهو الذي يحسن تقويته بمؤكد واحد، إذا كان المخاطب متردداً في الحكم طالباً له، بأن حضر في ذهنه طرفَا الحكم وتحير في أن الحكم بينهما وقوع النسبة أو لا وقوعها. واستحسن تقويته بمؤكد واحد! ليزيل تردده ويتمكن الحكم، مثل قوله تعالى: «قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا، ولا يأتـون البأس إلّا قليلا».

ومن ذلك نرى أن التأكيد يحسن عند التردد والطلب، ومتى كان حسناً حينئذ فأولى أن يكون حسناً إذا كان للمخاطب ظن في خلاف الحكم المؤكد. وذهب الجرجاني في «دلائل الإعجاز» إلى أنه إنما يحسن التأكيد إذا كان للمخاطب ظن في خلاف الحكم المؤكد لا عند الطلب. واعتبار النفي هنا كاعتبار الإثبات، فتقول للطالب: ما عليٌّ بخائن، مؤكداً بالباء الزائدة.

٤٧١ - الإطلاق

إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزأيها (المسند إليه والمسند) فالحكم (مطلق) وذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجـوه، ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

٤٧٢ - المطلق

من التجنيس، ويسميه السكاكي وغيـره (المتشابـه) و (المتقارب).

والجناس المطلق، لشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه أن أصلهما واحد، وليس كذلك، كقوله تعالى: «وإن يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله».

وكقوله تعالى: «ليُرِيَه كيف يواري سوءة أخيه»، ومنه ما كتب المأمون في حق عامل له، وهو «فلان ما ترك فضة إلّا فضَّها، ولا ذهباً إلّا أذهبه، ولا مالاً إلّا مال عليه، ولا فرساً إلّا افترسه، ولا داراً إلّا أدارها ملكاً، ولا غلة إلّا غلَّها، ولا ضيعة إلّا ضيَّعها، ولا عقاراً إلّا عقره، ولا حالا إلا أحاله، ولا جليلاً إلّا أجلاه، ولا دقيقاً إلّا دقَّه» فهذه الأركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان إلى أصل واحد كالمشتق، ومن هذا قول النابغة:

وأقطع الخرْق بالخرقاء قد جعلتْ   بعد الكلال تشكّى الأينَ والسأمَا

وقول الشّنفري:

فَبِتنا كأن الموتَ فُجِّر فوقَنَا   بريحانة ريحتْ[1] عشاءً فطُلّتِ

وقول رؤبة:

* أحضَرتَ أهلَ حَضْـرمَوْتَ موْتا *

فجانس في موضعين في بيت رجز، وكقول أبي تمام:

تطُل الطلولُ الدمعَ في كل موقف   وتمثلُ بالصبر الديارُ المواثلُ

فجانس في المصراعين.

وانظر (المحقَّق) وقد تقدم في باب الحاء.

وانظر (التجنيس) وقد تقدم في باب الجيم.

(١) ريحت: أصابتها ريح فجاءت بنسيمها.

٤٧٣ - المطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار ملائمها إلى ثلاثة أقسام:
(١) الاستعارة المطلقة.
(٢) الاستعارة المجردة: وقد سبقت في باب الجيم.
(٣) الاستعارة المرشحة: وقد سبقت في باب الراء.
والاستعارة (المطلقة) هي التي لم تقترن بما يلائم المستعار له أو المستعار منه، نحو قولك: ظمئي إلى لقاء من أُحبُّ شديد.

وكقوله تعالى: «إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» ففي الأول شبه الشوق بالظمأ، وفي الآية الكريمة شبهت الزيادة بالطغيان. وليس في العبارتين شيء يلائم أحد الطرفين.

والاستعارة المطلقة أيضاً هي التي تقترن بما يلائمهما معاً، كقول كثيِّر عزَّة:

رمتني بسهم ريشةُ الكحْلُ لم يَضِرْ ظواهر جلدي وهو للقلب جارحُ

فقد استعار السهم للطرف بجامع التأثر من كل. والريش من ملائمات المشبه به، والكحل من ملائمات المشبه..

٤٧٤ - المُطْمِع

هو (التسهيم) وقد تقدم في باب السين.
وهو: أن يتقدم من الكلام، ما يدل على ما يتأخر. و (المطمع) تسمية ابن وكيع.

٤٧٥ - الإطناب

هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد.

وقولهم في التعريف «زيادة اللفظ على المعنى» عام في الإطناب، وفي الألفاظ المترادفة كقولنا: ليث وأسد، فإنه من زيادة اللفظ على معناه.

وقولهم «لفائدة» يخرج عنه (التطويل) الذي هو زيادة من غير فائدة.

وقولهم «جديدة» تخرج عنه الألفاظ المترادفة، فإنها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغوية، ولكنها ليست جديدة.

وقولهم «من غير ترديد» يحترز به عن التواكيد اللفظية في مثل «اضرب اضرب» فإنها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة وهي التأكيد، لكنه ترديد اللفظ وتكريره، بخلاف الإطناب فإنه خارج عن التأكيد.

وحاصل الإطناب الاشتداد في المبالغة في المعاني أخذاً من قولهم: أطنبت الريح إذا اشتد هبوبها، وأطنب الرجل في سيره، إذا اشتد فيه.

والإطناب مقابل للإيجاز، لأن الإيجاز دلالة اللفظ على معناه من غير نقصان فيخلّ، ولا زيادة فيملّ. وأما التطويل والإطناب فهما متساويان في تأدية المعنى خلا أن الإطناب مختص بفائدة جديدة، ولأجلها كان ممتازاً عن التطويل، ومثال ذلك كمن سلك لطلب مقصد من المقاصد ثلاث طرق، فإنها كلها موصلة إلى ما يريده، فأحدها أقرب الطرق، وهو نظير الإيجاز، والطريقان الأخريان متساويان في الإطالة وهما نظير الإطناب، والتطويل، خلا أن أحدهما مختص إما بمتنزه حسن، أو بمياه عذبة أو زيارة صديق، أو غير ذلك من الفوائد، فهو نظير الإطناب، أما التطويل فإنه لا فائدة وراءه، وهو مذموم في الكلام.

وأصدق مثل في الإيجاز والإطناب والتطويل ما حكاه ابن الأثير، وهو أن المأمون لما وجه طاهر بن الحسين في عسكر لحرب عيسى بن ماهان فقتله، وهزم عسكره واستولى على جنده، ثم كتب إليه طاهر يخبره بذلك فقال: «كتابي إلى أمير المؤمنين - ورأس عيسى بن ماهان بين يدي، وخاتمه في يدي، وعسكره متصرف تحت أمري، والسلام». فهذا كتاب قد أوجز فيه غاية الإيجاز، وأتى فيه بالغرض المقصود من غير تطويل ولا إطناب، لاشتماله على القصة وإجمالها، وهو من أحسن أمثلة الإيجاز.

وإن وجّهته على جهة الإطناب فإنك لتشرح القصة مفصلة، وتودع التفاصيل مزيداً من تعظيم المأمون، وقوة سلطانه، ونهضة جند الإسلام، واستطالته على الكفار، وتحكي صفة الواقعة وما كان. فما هذا حاله يكون إطناباً لاحتوائه على ما ذكر من الفوائد.

وإن حكاها بصفة التطويل العريّ عن الفوائد بأن يقول: صدر الكتاب يوم كذا من مكان كذا في شهر كذا. والتقى عسكرنا بعسكره، وتزاحف الجمعان، وتطاعن الفريقان، وحمي القتال، واشتد النزال مع تفاصيل كثيرة.. فهذا يقال له (التطويل).

قال أصحاب الإطناب: المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع،والشفاء لا يقع إلّا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلّا بالاستقصاء،والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن..

والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ..

وأمر يحيى بن خالد بن برمك اثنين أن يكتبا كتاباً في معنى واحد، فأطنب أحدهما، واختصر الآخر، فقال للمختصر - وقد نظر في كتابه -: ما أرى موضع مزيد! وقال للمطيل: ما أرى موضع نقصان!

وقال غيره: البلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل، وقال الخليل: يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم. وقيل لأبي عمرو بن العلاء. هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم! كانت تطيل لِيُسمع منها، وتوجز لِيُحفظ عنها!

والإطناب قد يكون واقعاً في الجملة الواحدة، وقد يرد في الجمل المتعددة:

(١) **فما يكون في الجملة الواحدة** يرد تارة على جهة الحقيقة، وتارة على جهة المجاز.

(أ): ما يرد من الإطناب على **جهة الحقيقة**، وهذا كقولنا: رأيته بعيني وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي، وذقته بلساني، إلى غير ذلك من تعليق الأفعال بأدواتها. وقد يظن الظانّ أن التعليق بهذه الآلات إنماهو لغو لا حاجة إليه، فإن تلك الأفعال لا تفعل إلّا بها، وليس الأمر كما يظن، بل إن هذا يقال في كل شيء يعظم مناله، ويعسر الوصول إليه، فيؤتي بذكر هذه الأدلة على جهة **الإطناب**، دلالة على إمكان نيله، وأن حصوله غير متعذر.

وعلى هذا ورد قوله تعالى «ذلكم قولكم بأفواهكم» وقوله تعالى «إذ تلقونه[1] بألسنتكم» لأن هذا إنما ورد في شأن الإفك، وفي جعل الزوجات أمهات، وفي جعل الأدعياء أبناء، فأعظم الله الرد والإنكار في ذلك بقوله: «وتقولون بأفواهكم» على أهل الإفك في الرمي بفاحشة الزنا لمن هي ظاهرة العفاف والستر، وبقوله: «ذلكم قولكم بأفواهكم» على من قال لزوجته هي عليه كظهر أمه، أو لمن قال لمملوكه: يا بني! فبالغ في الرد بهذه المقالة والإنكار عليها عن أن تكون الزوجة أماً، والعبد ابناً، وأن هذا يكون محالاً، وهو أن يجمع بين الزوجية والأمومة، وبين البنوَّة والعبودية.

ومن هذا قوله تعالى «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» فقد علم أن القلب لا يكون إلّا في الجوف، ولكن الغرض المبالغة في الإنكار بأن يكون للإنسان قلبان فأكد بقوله «في جوفه».

---

(١) تلقونه أي تقبلونه وتقولونه، وتلقونه (بكسر اللام بعد تاء مفتوحة) من الولق وهو الكذب في القراءة الأخرى.

ومن هذا قوله تعالى «فخرَّ عليهم السقف من فوقهم» فإن المعلوم من حال السقف أنه لا يكون إلّا فوق، وإنما الغرض المبالغة في الترهيب والتخويف والإنكار والردّ، كما أشار إليه بقوله «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد» يعني بالخراب والهدم فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، تشديداً في الأمر وتهديداً لهم، وإعظاماً لحامله. وهكذا قوله تعالى في سورة الحاقة «نفخة واحدة» و«ودُكّتا دَكّة واحدة» فإن التاء مؤذنة بالوحدة، ولكنه أتى على جهة المبالغة بالإطناب في فخامة الأمر وعظمه.

(ب): وما يرد على **جهة المجاز** في الإطناب، وهذا كقوله تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» فالفائدة بذكر الصدور هنا، وإن كانت القلوب حاصلة في الصدور على جهة الإطناب بذكر المجاز. وبيانه أنه لما علم وتحقق أن العمى على جهة الحقيقة إنما يكون في البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يذهب نورها ويزيله، واستعماله في القلوب إنما يكون على جهة التجوز بالتشبيه، فلما أريد ما هو على خلاف المتعارف من نسبة العمى إلى القلوب ونفيه عن الأبصار، احتاج الأمر فيه إلى زيادة تصوير وتعريف، ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، ولو قال فإنها لا تعمى الأبصار ولكنها تعمى الأبصار التي في الصدور لكان مفتقراً إلى ذكر الصدور كافتقار القلوب، لكن القلوب أدخل في الحاجة، ولهذا وردت الآية عليه، لأنه قد يتجوز بلفظة الأبصار في العقول، ولا يتجوز بالقلوب عن العقول، ولهذا كان ذكر قوله «في الصدور» عقيب «القلب» أحسن من ذكرها عقيب الأبصار.

(٢) وما يرد في الجمل المتعددة يرد على صور مختلفة:

(أ): ما يرد عن طريق النفي والإثبات: بأن يذكر الشيء على جهة النفي ثم يذكره على جهة الإثبات، أو بالعكس من ذلك، ولا بد أن يكون

في أحدهما زيادة فائدة ليست في الآخر تؤكد ذلك المعنى المطلوب، وإلاّ كان تكريراً ومثاله قوله تعالى «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم». . ثم قال «إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون».

فالآية الثانية كالآية الأولى إلا في النفي والإثبات، فإن الأولى من جهة النفي، والثانية من جهة الإثبات، فلا مخالفة بينهما إلا فيما ذكرناه، خلا أن الثانية اختصت بمزيد فائدة، وهي قوله «وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» إعلاماً بحالهم من عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنهم في وجل وإشفاق من تكذيبهم، حيارى في ظلم الجهل، لا يخلصون إلى نور وهدى. ولولا هذه الفائدة لكان ذلك تكريرا. ومن ذلك قوله تعالى: «وعْدَ الله لا يُخْلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهمْ عن الآخرة هم غافلون» فقوله «يعلمون» بعد قوله «لا يعلمون» نفى فيه عنهم العلم بما خفي عنهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا، فكأنه قال: علموا وما علموا، لأن العلم بظاهر الأمور ليس علمًا على الحقيقة، وإنما العلم هو ما كان علمًا بطريق الآخرة ومؤديا إلى الجنة.

(ب): أن يصدّر الكلام بذكر المعنى الواحد على الكمال والتمام، ثم يردف بذكر التشبيه على جهة الإيضاح والبيان، ومثاله قوله البحتري:

ذاتَ حُسْن لو استزادتْ من الحسْـ ـن إليه لما أصابت مزيدا
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللَّدْ نِ قَدًّا والرئم طرفا وجيدا

فالبيت الأول كان كافيا في إفادة المدح وبالغاً غاية الحسن، لأنه لما قال «لو استزادت لما أصابت مزيدا» دخل تحته كل الأشياء الحسنة، خلا أن

للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويراً وتخييلاً لا يحصل من المدح المطلق. وهذا الضرب له موقع بديع في الإطناب. وهكذا ورد قوله:

تردَّد في خُلقَي سؤدد سماحاً مُرجّىً وبأساً مهيبا
فكالسيف إن جئتَه صارخاً وكالبحر إن جئتَه مستثيبا

فالبيت الأول دال على نهاية المدح، لكن البيت الثاني موضح ومبين لمعناه، لأن البحر للسماح، والسيف للبأس المهيب، مع اختصاصه بالتشبيه الفائق الذي يكسب الكلام رونقاً وجمالاً، ويزيده قوةً وكمالا، وله وَقْع في البلاغة وتأكيد في المعنى...

(ج): أن يذكر الموصوف فيؤتى في ذلك بمعانٍ متداخلة خلا أن كل واحد من تلك المعاني مختصٌّ بخصِّيصةٍ لا تكون للآخر، ومثاله قول أبي تمام يصف رجلا أنعم عليه:

مِنْ مِنّةٍ مشهورة وصنيعة بِكْرٍ وإحسان أغرَّ مُحَجّلِ

فقوله: مِنّة مشهورة، وصنيعة بكر، وإحسان أغرّ محجَّل، معان متداخلة، لأن المنّة والإحسان والصنيعة كلها أمور متقاربة في بعضها من بعض. وليس ذلك من قبيل التكرير، لأنها إنما تكون تكريرا لو اقتصر على ذكرها مطلقة من غير صفة، كأن يقول مِنّة وصنيعة وإحسان. ولكنه وصف كل واحدة منها بصفة تخالف الأخرى، فأخرجها ذلك عن حكم التكرير، فقال «مِنّة مشهورة» لكونها عظيمة الظهور لا يمكن كتمانها، وقوله: «صنيعة بكْر» وصفها بالبكارة أي أن أحدا من الخلق لا يأتي بمثلها، وقوله: «وإحسان أغرّ محجّلِ» فوصفه بالغُرَّة ليدلّ على تعداد محاسنه وكثرة فوائده.

فلما وصف هذه المعاني المتداخلة الدالة على شيء واحد بأوصاف متباينة صار ذلك إطنابا. وكقول أبي تمام أيضاً:

ذكيٌّ سجاياه، تُضِيفُ ضُيُوفُه ويُرْجَى مُرجيِّه ويُسأل سائلُهْ

فإن غرضه فيما قاله ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء، فوصفه بأوصاف متعددة، فجعل ضيوفه تُضيف، وراجيه يُرجّى، وسائله يُسْأل، وكل واحد منها دالٌّ على خلاف ما دلّ عليه الآخر، لأن ضيفَه يستصحبُ ضيفاً طمعاً في كرم مضيفه، وسائله يُسأل أي يُعطي السائلين عطاء جزلا يصيرون به مُعطين غيرهم، وراجيه يُرجّى، أراد إذا تعلق به رجاء راج فقد ظفر بنجاح حاجته، وفاز بإنجاز مطلبه. وهذا أعظم وصف وأبلغه.

(د): ومن الإطناب أن المتكلم إذا أراد الإطناب فإنه يستوفي معاني الغرض المقصود من الرسالة أو الخطبة أو تأليف كتاب أو قصيدة أو غير ذلك من فنون الكلام. وهذا أصعب هذه الضروب الأربعة وأدقها مسْلكاً. وبه تتفاضل المراتب، ويتفاوت الأدباء في أساليب النظم والنثر.

وقد يوصف الكلام بالإيجاز أو الإطناب باعتبار قلة حروفه وكثرتها بالنسبة لكلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى. فيقال للأكثر حروفاً إنه مُطْنَب، وللأقل إنه موجَز. كقول الشاعر:

يصدُّ عن الدنيا إذا عن سؤْدَدٌ ولو برزت في زيّ عذراء ناهِدِ

وقول الآخر:

ولست بنظّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر

فالبيت الثاني إطناب بالنسبة إلى المصراع الأول في البيت الأول. ويقرب من ذلك قوله تعالى: «لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون».

وقول السموءل:

ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا يُنكرون القولَ حين نقول

فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت.

وإنما قلنا «يقرب» لأن ما في الآية يشمل كل فعل، والبيت مُختص

بالقول، فالكلامان لا يتساويان في أصل المعنى، بل كلامه سبحانه وتعالى أجلّ وأعلى.

ويكون الإطناب بأمور كثيرة منها:

(١) الإيضاح بعد الإبهام: وسيأتي في باب الواو.

(٢) عطف الخاص على العام: وسيأتي في باب العين.

(٣) عطف العام على الخاص: وسيأتي في باب العين.

(٤) التكرير: وسيأتي في باب الكاف.

(٥) الإيغال: وسيأتي في باب الواو.

(٦) التذييل: وقد تقدم في باب الذال.

(٧) التكميل: وسيأتي في باب الكاف.

(٨) التتميم: وقد تقدم في باب التاء.

(٩) الاعتراض: وسيأتي في باب العين.

٤٧٦ - الطاعة والعصيان

هذه التسمية هي تسمية أبي العلاء المعري عندما نظر في شعر المتنبي، وتكلم عليه في كتابه المترجم «بمعجز أحمد» يعني المتنبي فأتى على قوله:

يـردّ يداً عن ثـوبهـا وهـو قـادرٌ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقدُ

وقال: أراد المتنبي الطباق، فعصاه وأطاعه الجناس. فإنه أراد أن يقول يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ، فعصاه ذلك لامتناع دخوله في الوزن، فقال «وهو قادر» لأن القادر مستيقظ وزيادة، ليكون بينها وبين القافية تجانس.

ورأى ابن أبي الأصبع أن (الطاعة والعصيان) كل كلام وقع فيه تكميل للوزن والمعنى، وذكر له أمثلة من الكلام ومن الكتاب العزيز، كما وقع في قوله تعالى: «أيود أحدكم» إلى قوله: «فاحترقت» فإن هذه الآية وقع فيها التكميل والتتميم من عشرة أوجه ذكرها في باب التتميم. وقال إن ما كان فيها من التكميل فهو شاهد باب (الطاعة والعصيان). فإن المتكلم البليغ يقصد المساواة في كل ما يتكلم به، فإذا عصته المساواة إما لضرورة أو لاعتراض ما هوْ أهم منها لبلاغة أو سلامة النظم من الدّخل، أتى بذلك في لفظ يعطي المعنى كمالاً بعد تمامه، كما وقع في هذه الآية الكريمة، فإن قوله فيها «من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار» كله تكميل أي بعد تمام المعنى المراد وكذلك قوله: «وله ذرية ضعفاء» وأمثال ذلك.

(بديع القرآن) ١١١.

قلت: لعلّ تعلق ابن أبي الأصبع بالصنعة البديعية ومحاولته استخراج ما يستطيع منها من كتاب الله هو الذي ورّطه في هذا التناقض إذ أن التتميم والتكميل باب واحد أو بابان عنده وعند علماء البلاغة، ولكل واحد منهما، أو لهما معاً مفهوم مستقل يعرفه البلاغيون، ويعرفه ابن أبي الأصبع أيضا.

وما كنت أحب له أن يتمادى فيما ذهب إليه، فيذهب إلى أن في القرآن ما عصى ثم أطاع. فإن كلام المعري في بيت أبي الطيب لا غبار عليه في رأينا، ولا بأس من أن يرد مثله في شعر الشعراء، أو كتابة الكتاب الذين قد يستبدلون باللفظ أو بالمعنى ما تدعوهم الضرورة إليه. وليس في كتاب الله موضع لضرورة من ضرورات القول. ثم إن هذه (الطاعة والعصيان) في رأينا عيب من عيوب الكلام، وليس فنّاً جميلا يعده ابن أبي الأصبع من البديع، ثم يحاول أن يستخرج من القرآن شواهد له. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا. . .

٤٧٧ - التطويل

التطويل نقيض الإيجاز. وهو مخالف لجانب البلاغة، وبمعزل عن مقاصد الفصاحة. وحاصله أن يورد المتكلم في الكلام ألفاظاً إذا أسقطت بقي الكلام على حاله في الإفادة. وأكثر ما يكون ذلك في الأشعار لحرص قائليها على استقامة الوزن.

والفرق بين الإطناب والتطويل: أن الإطناب زيادة لفائدة، ولذلك كان معدوداً من بلاغة الكلام. أما التطويل فإنه زيادة لغير فائدة، وهو صفة مذمومة في الكلام.

والبلاغيون يفرقون بين نوعين من الكلام:

الذي فيه زيادة لغير فئدة، فيجعلون ما كانت الزيادة فيه غير متعينة قسماً مستقلاً ويخصونه باسم (التطويل).

أما إذا كانت الزيادة متعينة فإنهم يخصونه باسم (الحشو) وقد سبق في باب الحاء.

وقد مثل البلاغيون للتطويل بقول عديّ بن زيد العبادي من قصيدة طويلة يخاطب بها النعمان بن المنذر حين كان حابساً له، ويذكّره فيها حوادث الدهر، وما وقع لجذيمة الأبْرَش، وللزّباء:

وقَدّدَتْ الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينا[1]

فإنهم قالوا إن الكذب والمين واحد، فإن الزائد هو «كذبا» أو «مَيْناً» ولا يتعين أحدهما للزيادة ولا، يترجّح.

وقد اعترض على ذلك أحد البلاغيين فقال: إن ذكر الشيء مرتين فيه فائدة التأكيد، وقد قال النحاة: إن الشيء يعطف على نفسه تأكيداً، وعدم تعين الزائد لا يدفع الفائدة وهي التأكيد. والفائدة التأكيدية معتبرة

(١) الراهشان عرقان في باطن الذراع.

في الإطناب. واعترض أيضاً على قولهم إن الزائد لم يتعين فإن الأول مترجح أو متعين، لأنه السابق لتكملة الكلام، ولأن الثاني مؤكد، والمؤكِّد متأخر عن المؤكدَّ أبداً.

٤٧٨ - الطّيّ والنشر

الطّيّ والنشر أن يُذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتمادا على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، وردّه إلى ما هو له.

وهو نوعان:

(أ) إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطيّ، نحو قوله تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليلَ والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله» فقد جمع بين الليل والنهار، ثم ذكر السكون لِلّيل، وابتغاء الرزق للنهار، على الترتيب. وكقول الشاعر:

عيونٌ وأصداغٌ وفرعٌ وقامةٌ وخالٌ ووجناتٌ وفرق ومرشفُ
سيوفٌ وريحانٌ وليل وبانةٌ ومسكٌ وياقوتٌ وصبحٌ وقرقفُ

وكقوله:

فعل المُدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقِه

(ب) وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطيّ، نحو قوله تعالى: «فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة، لتبتغوا فضلاً من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب».

ذكر ابتغاء الفضل للثاني وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب. كقول الشاعر:

ولحظُه ومحيّاه وقامتُه بدر الدجى وقضيب البان والراحُ

فبدر الدجى راجع إلى «المحيّا» الذي هو الوجه و«القضيب البان» راجع إلى «القامة»، و«الراح» راجع إلى «اللحظ».

ويُسمّى (اللّفّ والنّشْر).

* * *

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه المجلّد الأول من (معجم البلاغة العربية) ويليه المجلد الثاني، وأولّه (باب الظاء).

* * *

وكان الفراغ من مراجعة الطبعة الثانية من هذا المجلد الأول صباح يوم الخميس المبارك الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠١هـ واليوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨١م بمدينة الرياض حاضرة المملكة العربية السعودية. ولله الحمد في الأولى والآخرة.

بدوي أحمد طبانه

ثبت المجلّد الأول
من (معجم البلاغة العربية)

تابع باب الهمزة

تابع باب الباء	الرقم		الصفحة

باب التاء

الرقم		الصفحة
١٤٠-	الجملة الظرفية	١٦١
١٤١-	الجملة الفعلية	١٦١
١٤٢-	المجمل - من التشبيه	١٦٢
١٤٣-	المجنب	١٦٢
١٤٤-	المجنّح - من الجناس	١٦٢
١٤٥-	الجناس	١٦٢
١٤٦-	الجناس اللفظي	١٦٣
١٤٧-	الجناس المعنوي	١٦٥
١٤٨-	التجنيس	١٦٥
١٤٩-	تجانس البلاغة	١٦٦
١٥٠-	المجانس	١٦٧
١٥١-	التجاهل	١٦٧
١٥٢-	تجاهل العارف	١٦٨
١٥٣-	الجهامة	١٦٩
١٥٤-	جودة الفاصلة	١٦٩
١٥٥-	المجاورة	١٧٢
١٥٦-	المجاورة	١٧٣
١٥٧-	الإجازة	١٧٣
١٥٨-	الإجازة	١٧٥
١٥٩-	التجاوز	١٧٦
١٦٠-	المجاز	١٧٦
١٦١-	المجازي	١٨٠

تابع باب الجيم

الرقم		الصفحة
١٦٢-	محبوك الطرفين	١٨٣
١٦٣-	الاحتجاج	١٨٤
١٦٤-	الأحجية	١٨٤
١٦٥-	المحاجاة	١٨٥
١٦٦-	المحذور	١٨٥
١٦٧-	الحذف - من الاشارة	١٨٥
١٦٨-	الحذف - من الايجاز	١٨٥
١٦٩-	حذف المسند	١٨٩

باب الحاء

تابع باب الحاء

تابع باب الخاء	الرقم		الصفحة
	٢٣٠ -	الاستخدام	٢٣٧
	٢٣١ -	الخروج	٢٣٧
	٢٣٢ -	الخروج من النسيب	٢٣٧
	٢٣٣ -	خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	٢٣٩
	٢٣٤ -	إخراج المحمود بما يوهم غيْره	٢٤١
	٢٣٥ -	المخترع	٢٤٢
	٢٣٦ -	الاختصار الذي ينوب عن الإطالة	٢٤٣
	٢٣٧ -	التخصيص	٢٤٣
	٢٣٨ -	تخصيص المسند إليه	٢٤٤
	٢٣٩ -	تخصيص المسند	٢٤٤
	٢٤٠ -	المختصّ	٢٤٤
	٢٤١ -	الخاصيّة - الاستعارة	٢٤٤
	٢٤٢ -	الخط - من التجنيس	٢٤٥
	٢٤٣ -	الخط - من الدلالة	٢٤٥
	٢٤٤ -	الخطاب العام	٢٤٦
	٢٤٥ -	التخفيف	٢٤٧
	٢٤٦ -	الاختلاس	٢٤٧
	٢٤٧ -	التخلّص	٢٤٨
	٢٤٨ -	التخليع	٢٤٩
	٢٤٩ -	الخلف	٢٥٢
	٢٥٠ -	المخالف	٢٥٢
	٢٥١ -	المخالف - من التجنيس	٢٥٢
	٢٥٢ -	المخالفة	٢٥٣
	٢٥٣ -	مخالفة العرف	٢٥٣
	٢٥٤ -	مخالفة ظاهر اللفظ معناه	٢٥٣
	٢٥٥ -	مخالفة القياس	٢٥٧
	٢٥٦ -	الخلل	٢٥٧
	٢٥٧ -	الإخلال	٢٥٧
	٢٥٨ -	الإخلال	٢٥٨
	٢٥٩ -	التخميع	٢٥٨

الرقم | الصفحة

تابع باب الشين

باب الصاد

تابع باب الطاء